المعيار

مجلة الدراسات العربيةالعالمية

العدد الثاني المجلد الأ ول، مارس 1434هـ 2015م

ISSN 2360-7750

قسم اللغة العربية

كلية الآداب ـ جامعة أحمد بلّو زاريا، نيجيريا

عنوان المراسلات:

قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة أحمد بلّو زاريا، نيجيريا

البريد الإلكتروني:

arabic@abu.edu.ng

جامعة أحمد بلو زاريا – كادونا نيجيريا

© **Department of Arabic,** Faculty of Arts, ABU, Zaria**,** 2015

All rights reserved. No part or whole of this book is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner

ISSN 2360-7750

Ahmadu Bello University Press Limited,
Zaria,
Kaduna State, Nigeria.
Tel.: 08065949711, 069-879121
E-mail: abupresslimited2005@yahoo.co.uk
or
abupress2013@gmail.com
Website: www.abupress.org

هيئة التحرير

الأستاذ/الدكتور غرب طن ظوهو زاريا
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا رئيساً
الأستاذ/الدكتور مسعود راجي
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضواً
الأستاذ/الدكتور محمد الأول عمر
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضواً
الأستاذ/الدكتور محمد الأول أمين
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضوا
الأستاذ/الدكتور محمد الشفيع عبد الله
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضواً
الدكتور بشير حسن أبوبكر
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضواً
الدكتور آدم سعيدخالد
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضواً
الدكتور يهوذا سليمان إمام
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضواً
الدكتور أحمد جعفر عبد الملك
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا عضوا
الدكتور إلياس عباس
جامعة أحمد بلّو زاريا - نيجيريا سكرتيراً

الـمستشـارون

الأستاذ/الدكتور محمد أول أبوبكر
جامعة بايرو كانو- نيجيريا عضواً
الأستاذ/الدكتور صالح بلا ألجناري صوكتو
جامعة عثمان طن فوديو صكتو- نيجيريا عضواً
الأستاذ/الدكتور كمال جاه الله
جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم- السودان عضواً
الأستاذ/الدكتور أشرف سعيد العزازي
جامعة القاهرة - مصر عضواً
الأستاذ/الدكتورمحمد مسعود جبران
كلية الدعوة الإسلامية، جامعة طرابلس- ليبيا عضواً
الأستاذ/الدكتور م. ت. يحيى
جامعة جوس - نيجيريا عضواً
الأستاذ/الدكتور تجاني المسكين
جامعة ميدغري- نيجيريا عضواً
الأستاذ/الدكتورمحمد صالح حسين
جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم- السودان عضواً

قـو ا عـد الــنـشر

يشترط في نشر البحوث في هذه المجلة أن تستوفي الشروط الآتية:

- ✓ التمييز في الكيف والاتجاه.
- ✓ الموضوعية والأصالة في تناول الموضوع ومعالجته، واجتناب الحشو والاستطراد، وسلامة اللغة من حيث التعبير والأسلوب.
- ✓ أن تكون البحوث أو المراجعات باللغة العربية الفصحى.
- ✓ الالتزام بقواعد ومناهج البحث العلمي الأكاديمي.
- ✓ أن لا تقل صفحات البحث عن عشر صفحات وأن لا تزيد على عشرين بمقاس (A4) وعلى وجه واحد من الورقة. وأن يكون حجم الطباعة 18 وبخط TraditionalArabic، والهوامش في حجم 16.
- ✓ أن تشتمل معلومات غلاف المقال على اسم الباحث، ورتبته العلمية، ومؤسسته العلمية، وعنوان البريدي الإلكتروني والهاتف.
- ✓ أن يلزم الباحث أو المراجع استخدام ضمير الغيبة.
- ✓ أن يجتاز البحث أو المراجعة (المعايير العلمية والفنية حين التحكيم من العلماء) تقييم المتخصصين الخبراء الجامعيين.
- ✓ أن ترسل المقال المصحح عبر البريد الإلكتروني ونسخة مطبوعة مع القرص.

كلمة التحرير

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الأول الآخر الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد بن عبد الله الذي شحّذ العقول والنفوس بروح النظر والتدبر في الكائنات بحثا ودرسا، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعه ب إحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

يشرفني أن أكتب هذا التقديم لهذا الإصدار الثاني لهذه المجلة المتميزة ***المعيار*** لسببين؛ الأول: كونه منشورًاثانيًا أكاديميًا يقوم به هذا القسم الذي لم يزل ناشئ. والثاني: إنه لا يزل إنجازًا باهرًايحقّقه القسم في مجال البحث وخدمة المجتمع.

ويتميز هذا الإصدار بما تتمتع به من توسع وشمولية فريدة بالإضافة إلى البح وث المعمّقة في الموضوعات التي تدور غالب يتها حول القضايا الحديثة و المعاصرة. فإن المقالات – حقا – مثيرة ومحمِّسة لروح البحث والدراسة في الحقل الثقافي والنقدي لما فيها من غنًى في المادة ذات العلاقة بالدراسات العربية محليا وعالميا. وأنتهز هذه الفرصة لأقدم تقدير لجنة التحرير فأشكر كل المساهمين، وخاصة العلماء الأكفاء والبرافسة الأجلاء الذين يحتضن هذا الإصدار مقالاتهم.

وكذلك مستشاري هذه المجلة يستحقون مثيل الشكر والتقدير لإسهامه م الأكاديمي والمعنوي الدسم. وأقدم نفس التقدير لجميع أعضاء القسم بصفة عامة، وللجنة المجلة بصورة خاصة لقيام كلٍّ بالدور الإيجابي تجاه تحقيق هذا الهدف النبيل.

وفي هذا الصدد، أقدم دعوةً إلى الباحثين والدارسين في مختلف ميادين المعرفة أن يقدموا مقالاتهم في مجالات اللغة العربية وآدابها وثقافاتها، أو في أيٍّ من مجالات الآداب أو العلوم الإنسانية ذات العلاقة بالدراسات العربية لنشرها في الطبعات اللاحقة لهذه المجلة.

أ.د. غرب طن ظوهو زاريا

رئيس لجنة التحرير ورئيس القسم

الـمسـا هممـو ن

1. الدكتورأبو بكر عثمان الربوي: جامعة عثمان بن فودي صكتو.
2. الدكتورغمبو حسن: قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو.
3. الدكتورمحمد الثالث يعقوب: كلية أحمد رفاعي للقانون والدراسات الإسلامية. الدكتور| محمد
4. أرزكا طن زاكى: قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو.
5. الدكتورإلياس عباس: قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلّو، زاريا.
6. الدكتورأسامة موسى إمام: معهد التربية، جامعة أحمد بلّو زاريا – نيجيريا.
7. الدكتور علي إبراهيم كاري: معهد التربية، جامعة أحمد بلّو زاريا – نيجيريا.
8. السيد جابر عبد الله، كلية التربية الفدرالية يولا، و شيخ عمر عبد الله، زاريا.
9. الدكتور أبوبكر علي عباس زغي– زغي: قسم الآداب والعلوم الإجتماعية،كلية التربية، جامعة أحمد بلّو زاريا – نيجيريا.
10. الدكتور أحمد جعفر عبد الملك: قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا – نيجيريا.

11. الدكتور ناصر مرتضى إبراهيم: قسم اللغة العربية,كلية الآداب, جامعة ولاية كدونا – نيجيريا.

12. الدكتوريهوذا سليمان إمام: قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا.

13. الدكتو محمد الثاني إبراهيم : شعبة اللغة العربية، في قسم الآداب والعلوم الاجتماعية،كلية علوم التربية، بجامعة أحمد بلو، زاريا

14. الدكتور نوح طاهر تاج الدين: قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا.

15. السيد محمد خامس محمد: المحاضر بكلّيّة المنار كدونا، نيجيريا.

الـمحتويـات

هيئة التحرير ت

المستشارون ج

قواعد النشر كلمة التحرير ح

المساهمون ذ

صور من مسائل النعت لدى النحاة: دراسة تحليلية 1
أبو بكر عثمان الربوي

أَفْعَلَ التفضيل المقرون بألْ ومطابقته لما قبله دراسة نحوية 15
تحليلية لنماذج منه في القرآنالكريم
د. غمبو حسن

ظاهرة التعدد اللغوي: وكيف عاملها الإسلام 35
د. محمد أرزكا طن زاكى

العدول في النحو العربي: دراسة تحليلية 52
دكتور إلياس عباس

المماثلةالصوتية في اللغة العربية مظاهرها وقوانينها **69**
عند القدماء والمحدثين & دايهوذا سليمان إمام

قصيدة ذكرى الإبادة الجماعية في ولاية بلاتيو 88

رائية السيد آدم بن عثمان : دراسة تحليلية
الدكتور محمد الثالث يعقوب

ظاهرة الانزياح الدلالي في قصيدة "أعلى مكانتك الإله الأكبر" للشاعر الدكتور محمد الثاني عمر رِجِيَرْلَيْمُو: دراسة أسلوبية
جابر عبدالله & شيخ عمر عسدالله زاريا 98

حنين النيجيريين في السودان
الدكتور/ أحمد جعفر عبد الملك **108**

أساليب الطباق بين الفعلين في بعض سياقات النص القرآني
الدكتور اناصر مرتضى إبراهيم **125**

أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا: واقعه وآفاقه
د.محمد الثاني إبراهيم **135**

دور التشبيه الضمنى في تشكيل صور القصائد العشرينيات للالفازازي
الدكتور/ نوح طاهر تاج الدين **152**

الاختيار القرآنيّ في سورة يوسف: دراسة أسلوبيّة
محمد خامس محمد **168**

التربية وتعليم اللغة العربية: دراسة لعملية التدريس والأدوات التعليمية 184
أبوبكر علي عباس زغي– زغي

تطوير المهارة اللغوية لمعلم اللغة العربية في بيئة متعددة اللغات:
نيجيريا نموذجاً 195
الدكتور: أسامة موسى إمام

تأثير الثقافة اللغوية في ترجمة جيهان لنصوص مختارة من كتاب:
بلوغ المرام 218
دكتور علي إبراهيم كار

صور من مسائل النعت لدى النحاة: دراسة تحليلية

أبو بكر عثمان الربوي
الماجستير في اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو

المقدمة:

الحمد لله المنعوت بصفات الكمال والجلال، المتفرد بالأسماء العلى، الذي بيده ملكوت كل شئ وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، الموصوف في التوراة والإنجيل، المتبوع في السموات والأرض، الهادي إلى الجنة الموصوفة بالنعم المؤبدة، وعلى آله وأصحابه وكل الأتباع الكرام إلى يوم الدين.

أما بعد فإن النعت من المباحث النحوية فهو أول باب من أبواب التوابع الخمسة أو الأربعة على اختلاف عبارات أصحاب الفن التي هي النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق والبدل، إلا أن الزجاجي وغيره عدوها أربعة، لكونهم أدرجوا عطفي البيان والنسق تحت قولهم "العطف" وهذه المقالة محاولة طيبة في الإشارة إلى بعض المسائل والقضايا التى تمس النعت والمنعوت في علم النحو، فاحتوت على المقدمة، ولب الموضوع الذي يشمل سبع مسائل المسألة الأولى تعريف النعت، والثانية فوائد النعت، ثم الثالثة أوجه الإتباع، والرابعة جوار الإتباع والقطع، وأما الخامسة ففي النعت بالجملة، السادسة في حذف النعت أو المنعوت، والمسألة السابعة الأخيرة أشارت إلى النعت بالمصدر، ثم تأتي الخاتمة.

وأسأل الله العظيم الوهاب أن يسدد الخطايا ويغفر الزلات، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المسألة الأولى: تعريف النعت: فقد اختلفت عبارات النحاة في تعريف النعت فابن هشام الأنصاري يعرفه بقوله "وهو التابع المشتق أو المؤول به المباين للفظ متبوعة".[1]

وأما ابن مالك فإنه قال في تعريف النعت:

فالنعت تابع متم ما سبق * بوسمه أو وسم ما به اعتلق 2

شرح التعريفين: وقول ابن هشام: وهو التابع "يشمل جميع التوابع الخمسة إلا أن قوله "المشتق أو المؤول به" إخراج لبقية التوابع لكونها لا يشترط فيها الاشتقاق وبعضها لا يجوز فيها الاشتقاق البتة، كعطفي البيان والبدل، نحو جاء زيد أبو عبد الله، فأبو عبد الله علم لا يجوز أن يكون مشتقا، وقوله "المباين للفظ متبوعه" أجرج به التوكيد اللفظي فإنه يكون مشتقا وغير مباين للفظ متبوعه" مثال ذلك: جاء زيد الفاضل الفاضل" فالفاضل الأول نعت والثاني توكيد لفظي المطابق للفظ المتبوع 3. ومنه قوله تعالى "إذا دكت الأرض دكا دكا، وجاء ربك والملك صفا صفا.4

وأما قول ابن مالك: فالنعت تابع: دخل فيه جميع التوابع كذلك، إلا أن قوله "متم ما سبق " البيت إخراج، كذلك لبقية التوابع لأنه ليس شئ منها يدل على صفة المتبوع، بل ولا صفة ما تعلق بالمتبوع، بخلاف النعت فإنه يجب فيه ذلك لذلك وجب أن يكون مشتقا.

فقولك "مررت برجل كريم" فكلمة "كريم" جاءت لتصف الرجل ولتتم الكلام لأنه لوقلت "مررت برجل" وسككت فالسامع لا يدري من الرجل المرور عليه، أهو لئيم أم كريم، ولكن حين وصفته بالكرم زال في أذن السامع أن يكون الرجل لئيما "فأنت ترى في هذا المثال وسمته بوسمه الذي هو الكرم ومعنا ذلك أن الرجل هو الموصوف بالكرم وأما إذا قلت "مررت برجل كريم أبوه "فإنك لم تصف الرجل بالكرم وإنما وصفت أباه بالكرم، فهو معنى قول ابن مالك "أو وسم ما به اعتلق" فالرجل له تعلق بالأب لذلك أتيت بالضمير ليربط بين الرجل وأبيه

وقلت "أبوه" فصرت تصف الرجل بأن أباه كريم 5 فهذا النوع من النعت يسمونه النعت السببي بينما يسمون الأول النعت الحققي[6]

المسألة الثانية : فوائد النعت: فالنحاة يذكرون من فوائد النعت التخصيص، التوضيح، المدح، الذم، الترحم، التوكيد والإبهام[7].

فالتخصيص نحو قولك "جاء رجل كاتب" فرجل نكرة فخصصته بقولك "كاتب" فخرجت بذلك غير الكاتب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى "فتيمموا صعيدا طيبا" 8 وقوله "الحج أشهر معلومات"9 وقوله فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد".[10]

وأما التوضيح: فهو توضيح معرفة فتكون فائدة النعت فيه زيادة التوضيح والبيان لاسم معروف، فمثاله "جاءكم الرجل الكاتب" فالرجل معرفة فأردت أن تزيده إيضاحا مع كونه معروفا وأوضحته بأنه الكاتب المعروف.

ومن أمثلته قوله تعالى : "ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى"[11] ومثله قوله تعالى: "فانصرنا على القوم الكافرين" [12] وقولك مررت بزيدالخياط. وبالرجل النبيل، وبالرجل ذي المال.

واعلم أن العلم الخاص من الاسماء يوصف بثلاثة أشياء، بالمضاف إلى مثله نحو: "مررت بزيد أخيك" فزيد علم، فوصعته بأخيك فهو معرفة لإضافته إلى ضمير المخاطب، وبالألف واللام نحو: مررت بزيد الطويل. وما أشبه ذلك من الإضافات. وبالأسماء المبهمة نحو: مررت بزيد هذا أو عمرو ذاك".[13]

وأما المدح: فكقولك "مررت بالرجل الحكيم" فالرجل معرفة فوصفته بالحكمة وهذا الوصف مدح فصار فائدة الوصف مدح الموصوف، ومنه قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾[14]. وقوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

الرحيم:– هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يصفون﴾[15].... الخ.

وأما الذم : فيمثل بقوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [16]. فقد وصف ابليس لعنة الله عليه بأنه رجيم. وهو الطرد من الرحمة واللعن وذلك صفة مذمومة غاية الذم. ومثله قولك: "مررت بالرجل اللئيم".

وقوله تعالى: ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾.[17]

وأما الترحم : فكقولك: اللهم ارحم عبدك المسكين" فإنك وصفت العبد بأنه مسكين وهذا الوصف فائدته الترحم على هذا العبد، ومنه "اللهم أعن عبدك الضعيف".[18]

وأما التوكيد : فمثاله قوله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ [19] فقد وصف العشرة بأنها كاملة فأنت ترى أن فائدة هذا الوصف ليس للتوضيح أو التخصيص ولا للمدح أو الذم بله الترحم، وإنما هو لمجرد التوكيد. ومنه قوله تعالى ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾.[20]

وأما الإبهام : مثاله قولك: تصدق بصدقة، قليلة أو كثيره، فقولك "قليله أو كثيره" نعت للصدقة، إلا أن هذا النعت لم يأت ليوضح المنعوت ولا ليمدحه أو يذمه ولا ليعمه، لأنه عام قبل أن تنعته لأن كلمة "صدقة نكرة، التى تفيد العموم. وإذن هذا النعت جاء لمجرد الإبهام والتخير، كقولك مررت بقوم تجار أو رعاء.

وهذه هي بعض النكت للنعت.

المسألة الثالثة: أوجه الإتباع: للإسم عشرة أحوال وهي:

أوجه الإعراب الثلاثة – رفع نصب جر– ثم أحوال التعداد الثلاثة كذلك. –افراد تثنية جمع،– فهذه ستة أوجه وبحسب التنكير والتعريف حالتان، وبحسب التأنيث والتذكير حالتان كذلك، فهذه الأحوال هي أحوال الإسم العشرة الكاملة، ولا يتأتى للإسم أن يكون عليها كلها في الوقت الواحد لما في بعضها من التضاد.

وإنما يجتمع في الإسم منها في الوقت الواحد أربعة أمور وهي واحد من كل قسم، قسم الإعراب، وقسم التعداد، وقسم المعرفة – التنكير والتعريف،– وقسم الجنسية –التأنيث والتذكير،– فالنعت يتبع منعوته في هذه الأحوال على التفصيل الآتى.[21]

فالنعت لا بد أن يتبع منعوته في واحد من أوجه الإعراب الرفع والنصب والجر – نحو جاء رجل فاضل ومررت برجل فاضلٍ ورأيت رجلا فاضلا". [22] وواحد في قسم المعرفة –التعريف والتنكير – وأما بقية الأحوال التى في قسمي التعداد والجنسية فحكمه فيها حكم الفعل، فإن رفع ضميرا مستترا تبع المنعوت في أربعة من الاحوال العشرة واحد من كل قسم. نحو "جاء رجل حسن" "ورأيت رجلا حسنا" "ومررت برجل حسن" فإنه بمصابة "رجل حسن" فاتبع النعت المنعوت في ألقاب الإعراب، وفي قولك "الزيدان رجلان حسنان، والزيدون رجال حسان، فقد طابق المنعوت في التثنية والجمع كما يطابقه فيها إذا أتيت بمكان النعت فعلا. وقلت: الزيدان رجلان حسنا والزيدون رجال حسنوا. وكذلك قولك: هند امرأة حسنة، والهندان امراتان حسنتان والهندات نساء حسنات، فقد وافق النعت المنعوت في التأنيث كما يوافق الفعل ذلك بقولك هند امرأة حسنت، وامرأتان حسنتا ونساء حسنَّ.[23]

وأما إذا رفع النعت اسما ظاهرا فإنه بالنسبة إلى التذكير والتأنيث كان على حسب ذلك الإسم الظاهر. إن أسند إلى مؤنث أنّث وإن كان المنعوت مذكرا والعكس مثال ذلك "مررت بامرأة حسن أبوها" فإنك ذكرت النعت وهو "حسن" مع أن المنعوت مؤنث وهو "امرأة" لماذا؟ ولا شك أنك ذكّرته لكونك أسندته إلى الأب وهو مذكر، وعكس ذلك قولك: "مررت برجل حسنة أمه" فأنَّثت النعت (حسنة) مع أن منعوته مذكر (رجل) لإسناده إلى المؤنث (الام).[24] ومنه قوله تعالى ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾[25].

وأما بالنسبة إلى الإفراد والتثنية والجمع فالنعت يكون مفردا دائما وإن كان المنعوت بخلاف ذلك فتقول مررت برجلين قائم أبواهما.

وبرجال قائم آباؤهم. كما تقول:

مررت برجلين قام أبواهما، وبرجال قام آباؤهم، ويجوز "قاما" و"قاموا" كما يجوز مررت برجلين قائمين ابواهما، وبرجال قائمين آباؤهم. والأفصح قيام آباؤهم".[26]

يقول ابن عقيل:

فالحاصل أن النعت إذا رفع ضميرا طابق المنعوت في أربعة من عشرة، واحد من ألقاب الإعراب وهي الرفع والنصب والجر، وواحد من التعريف والتنكير وواحد من التذكير والتأنيث، وواحد من الأفراد والتثنية والجمع، وإذا رفع ظاهرا طابقه في اثنين من خمسة، واحد من ألقاب الإعراب وواحد من التعريف والتنكير، وأما الخمسة الباقية وهى التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع فحكمه فيها حكم الفعل إذا رفع ظاهرا، فإن أسند إلى مؤنث أنث وإن كان المنعوت مذكرا وإن أسند إلى مفرد أو مثنى أو مجموع أفرد وإن كان المنعوت مؤنثا، وإن أسند إلى مفرد أو مثنى أو مجموع أفرد وإن كان المنعوت بخلاف ذلك.[27]

المسألة الرابعة: جواز الإتباع والقطع في النعت:

إذا كان المنعوت معلوما – حقيقة أوادعاء – قبل النعت يجوز فيه أمرين: الاتباع والقطع، ومعنى ذلك أن النعت يجوز أن يتبع المنعوت في الإعراب رفعا ونصبا وجرا، وأن يخالفه في ذلك وهو القطع مثال ذلك "الحمد لله الحميد" فالحميد نعت يجوز فيه الجر على الإتباع والنصب بتقدير "أمدح" والرفع بتقدير هو كما ذكره سيبويه، ومنه القراءة ﴿الحمد لله ربَّ العلمين﴾ بنصب "رب" وتقديره أمدح ربَّ العلمين. وربُّ العلمين" بالرفع "بتقدير هو.

وأما قراءة الجمهور ربِّ العلمين" بالجر فهي على الإتباع، ومثاله قوله تعالى ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ بالرفع على الإتباع وهي قراءة الجمهور وقرأ عاصم بالنصب على القطع وتقديره "أذم" ومثله: "مررت بزيد المسكين" وبزيد التاجر" ويجور في المسكين والتاجر الجر على الإتباع والرفع والنصب على القطع بتقدير هو في الرفع وأعنى أو أرحم في النصب.

وفي ذلك يقول ابن هشام: ويجوز قطع صفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعا بقدير هو ونصبا بتقدير أعنى أو أمدح أو أذم أو أرحم.[28] والإتباع هو الأصل إلا أنه يجوز القطع لسبب بلاغي ويتخلى النعت عن مهمته، لتوجيه الذهن وتركيزه إلى النعت المنقطع وإبراز معناه.

وفي ذلك يجوز نصب النعت إذا كان المنعوت مرفوعا ورفعه إذا كان المنعوت منصوبا ولا يجوز قطعه إلى الجر إذا كان المنعوت منصوبا أو مرفوعا، وأما إذا كان المنعوت مجرورا فيجوز فطعه إلى النصب وإلى الرفع فمثال ذلك قولك: جاء محمد العالم. فيجوز نصب العالم على القطع بتقدير أمدح، مع أن المنعوت (محمد مرفوع، كما يجوز رفع النعت في قولك: "رأيت محمدا العالم" بتقدير المبدأ المحذوف، تقديره "رأيت محمدا هو العالم" ولا يجوز في هذين المثالين القطع إلى الجر، وأما إذا كان المنعوت مجرورا فيجوز قطعه إلى النصب والرفع نحو: انتفعت بمحمد العالم "بجر العالم على الإتباع، وبالنصب والرفع على القطع بتقدير أمدح أو أذم أو ما شاكل ذلك في النصب، أو بتقدير المبدأ المحذوف في الرفع، وفي ذلك يقول عباس حسن:

"**إن النعت المقطوع لا بد أن يخالف في حركته حركة المنعوت السابق، فإن كان المنعوت مرفوعا وأردنا قطع النعت لداع بلاغي قطعناه إلى النصب، مفعولا به لفعل محذوف، تقديره أمدح أو أذم أو على حسب السياق. وإن كان المنعوت منصوبا وأردنا قطع النعت قطعناه إلى الرفع، على اعتباره خبرا لمبتدأ محذوف، تقديره مثلا، هو. ولا يجوز القطع إلى الجر مطلقا فيهما، وإذا كان المنعوت مجرورا واقتضى المقام القطع قطعنا إلى الرفع أو النصب على الإعرابين السابقين، ولا بد في جميع حالات القطع أن يكون المنعوت متعينا.**[29]

وإذا تعددت النعوت يجوز القطع في جميعها أو في بعضها أو قطع بعضها إلى الرفع والبعض إلى النصب نحو: "ما أسفت لشيء قدر أسفي للزميل المتعلم، المتكاسل،

الخامل، المستهين..." فيجوز في هذه النعوت قطعها إما إلى الرفع فقط وإما إلى النصب فقط وإما توزيعها بين هذا وذلك.[30]

وإذا كان المنعوت نكرة تعين في الأول من نعوته الاتباع وجاز في الباقى القطع، كقول الشاعر:-

ويأوي إلى نسوةٍ عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالى[31]

المسالة الخامسة: قد يكون النعت جملة: بشرط أن يكون المنعوت نكرة مثال ذلك: قولك "مررت برجل قام أبوه أو "قائم أبوه" فلا يجوز "مررت بزيد قام أبوه أو أبوه قائم" لأن الجملة مؤولة بالنكرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾[32] فقد وصف "يوما" – وهو نكرة – بحملة "ترجعون فيه إلى الله" ويشترط في الجملة شرطان:

1 –أن تشتمل على ضمير يربطها بالموصوف لفظا أو تقديرا مثاله لفظا، الآية المتقدمة فجملة "ترجعون فيه إلى الله" إشتملت على كلمة "فيه" التي اشتملت على ضمير يربط الجملة بالموصوف، ومثاله تقديرا قوله لعالي: ﴿واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا﴾.[33]

فجملة "لا تجزى نفس عن نفس شيئا" نعت لـ "يوما" وإنك لا تكاد ترى الضمير في الجملة، ولكن من إمكانك أن تقدره بقولك "لا تجزي (فيه) نفس عن نفس شيئا"[34].

2 –أن تكون خبرية أى محتملة للصدق والكذب، ولا يجوز أن تكون انشائية: ولا يجوز "مررت برجل اضربه"، وذلك لأن النعت يقصد به توضيح المنعوت أو تخصيصه كما مر فمن شانه أن يكون معلوما عند السامع قبل، التلفظ به، بخلاف الإنشاء بنوعيه – الطلبى وغير الطلبي – فإنه لا يعرف به إلا عند التلفظ.

والحاصل أن النعت قد يكون جملة بثلاثة شروط: شرط في المنعوت وشرطان في النعت فالشرط الذي في المنعوت هو كونه نكرة إما لفظ ومعنى أو معنى لا لفظا كالمعرف بأل الجنسية.[35]

والشرطان اللذان في النعت هما:

1 -أن تكون الجملة مشتملة على ضمير يعود على المنعوت، إما ملفوظ به أو مقدر.

2 -أن تكون الجملة خبرية أي محتملة للصدق والكذب فلا تكون الجملة الانشائية نعتا، فإن جاء ما ظاهره ذلك يؤول على إضمار القول.

المسألة السادسة: في جواز حذف النعت أو المنعوت: يجوز حذف النعت إذا دل عليه دليل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ [36] وإنهم يعنون الآن جاء موسى بالحق البين" وحذوا "البين" لوضوحه، ومنه قوله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ [37] أى من أهلك الناجين فحذف "الناجين" للدلالة عليه. ومنه قوله "تعالى: ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾ [38] أى كل سفينة صالحة.

كذلك يجوز حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه، إذا دل عليه دليل كقوله تعالى: ﴿أن اعمل سابغات﴾ [39] ومعنى الكلام – والله أعلم – أن اعمل دروعا سابغات" وحذف الدروع للدلالة عليه ومنه قوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ [40] أى من الأعمال الصالحات" فحذف الأعمال فهى المنعوت وأقيم الصالحات – وهى النعت – مقامها. وفي ذلك يقول محمد بن عبد العزيز النجد: "ويجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم".[41] يعنى أن حذف المنعوت المعلوم يأتي في كلام العرب بكثير ويجوز إثباته.

المسألة السابعة النعت بالمصدر: وقد مر بنا أن النعت يجب أن يكون مشتقا وقد يكون فى معني المشتق كأسماء الإشارة غير المكانية، نحو استمعت إلى عالم خطيب هذا، والأسماء الموصولة المبدوءة بهمزة الوصل نحو أنست بصحبة عالم الذي خطبنا بالأمس.

و"ذو" المضافة التي بمعنى صاحب، نحو زرت طبيبا ذا خلق" وكذلك اسم الجامع الدال على النسب نحو "مررت لرجل افريقي" فهذا الأسماء كلها وما شابهها في معنى المشتق تؤدى ما يؤديه المشتق من المعنى.، ومما يشاكلها المصدر فإنه في معنى المشتق ويسمى المشتق تأويلا، يقع نعتا بشروط "أن يكون منكرا صريحا غير ميمي وغير دال على

الطلب وأن يكون فعله ثلاثيا، وأن يلتزم صيغته الأصلية من ناحية الإفراد والتذكير وفروعهما،[42] نحو: "أحب مصاحبة رجل صدق" و"زرت المحكمة فإذا قاضي عدل" وأعجبني نظام المدرسة نظاما رضي" وأنت تريد في هذه الأمثلة رجل صادق وقاض عادل، ونظام مرضي، ولكن لغرض بلاغي جعلت الرجل هو الصدق نفسه، والقاضي هو العدل نفسه والنظام هو الرضى، وهذا أبلغ من أن تأتي باسم الفاعل في ذلك فتقول، أحب مصاحبة رجل صادق، فغاية ما فيه أنه رجل متصف بالصدق ولكن إذا قلت "رجل صدق" فقد ادعيت أن الرجل ليس إلا الصدق بكل الصراحة. فالمصدر هنا وفي ما شابه ذلك وقع نعنا لأنه يؤدى معني المشتق" اسم الفاعل" مثلا.

الخاتمة:

فالمقالة تطرقت إلى ذكر بعض مسائل النعت والمنعوت، مع شئ من التوضيح البسيط، واستطاعت المرور على ست مسائل بعد المقدمة، عرفت النعت في مسألتها الاولى وأردفت بذكر فوائد النعت في مسألتها الثانية، ومن ضمن هذه الفوائد توضيح معرفة والتخصيص والمدح والذم والترحم.

ولم تنس ذكر أوجه الإتباع في المسألة الثالثة. بشئ من التفصيل، وتحدثت كذلك عن مسألة الإتباع والقطع، ورأينا فيها أن النعت قد يكون جملة كما رأينا الشروط في ذلك. كما أن مسألتها السادسة أشارت إلى جواز حذف النعت أو المنعوت للدلالة عليه. ولم تطوي المقالة بساطها إلا بعد ذكر النعت بالمصدر، وهذه النقاط هي التي دار المحور حولها في المقالة.

الهوامش:

1 –ابن هشام الأنصاري، ابو محمد عبد الله جمال الدين: شرح قطر الندى وبل الصدى (القاهر، دار الطلائع) بدون تاريخ، ص، 280.

2 –ابن مالك، أبو عبد الله جمال محمد بن مالك الأندلسى، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، (دار الأقصى) بدون تاريخ ص، 36.

3 –ابن هشام الأنصارى، محمد ابن عبد الله شرح قطر الندي ص 281.

4 –الفجر الآية 21–22.

5 –ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل القرشي الهاشي: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (القاهرة: مكتبة دار التراث) المجلد الثاني ج 3 ص 191. بتصرف

6 –الدكتور أحمد هاشم وآخيرون، مذكرة في النحو والصرف للصف الثاني الثانوي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة الملك فهد الرياض)، سنة 1421هـ ص، 130. بتصرف

7 –مصباح السالك إلى أوضح المسالك، طبع مع أوصح المسالك إلى ألفية بن مالك، دار الفكر بيروت لبنان سنة 1428هـ 2007م. ج3/ص–271

8 –المائدة الآية 6

9 –البقرة الآية 197.

10 – الآحزاب الآية 19.

11 – البقرة الآية 256.

12 – البقرة الآية 286.

13 – سيبويه: أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الهيئة المصدرية العامة للكتب الطبعة الثانية سنة 1979م.

14 – الفاتحة الآية 1

15 – الحشر الآية 22–24

16 – النحل الآية 98.

17 – المسجد الآية 4

18 – ابن عقيل، المصدر السابق بتصرف.

19 – البقرة الآية 196.

20 – الحاقة الآية 14.

21 – ابن هشام الأنصارى، المصدر السابق بتصرف

22 – بن عثيمين، محمد بن صالح، شرح الأجرومية. دار الغد المنصورة الأزهر سنة 1423هـ 2002م ص: 232 بتصرف.

23 – ابن عقيل، المصدر السابق بتصرف ص 93،

24 – ابن هشام الأنصارى، المصدر السابق. بتصرف ص 285

25 – النساء الآية 75.

26 – ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: (بيروت لبنان، دار الفكر) سنة 1428هـ 2007م.

27 – ابن عقيل، المصدر السابق ص 193.

28 – ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى، ص 285.

29 – عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف القاهرة الطبعة الخامسة بلا تاريخ، ج/ 3 ص–490–491

30 – عباد حسن، المصدر السابق.

31 – محمد عبد العزيز النجد، ضياء السالك إلى أوضح المسالك مكتبة بن تيمية القاهرة ج2143/3

32 – البقرة 281.

33 – البقرة الآية 123

34 – ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

35 – ابن هشام الأنصارى، أوضح المسالك، نفس المجزء والصفحة. بتصرف

36 – البقرة الآية 71

37 – هود الآية 46.

38 – الكهف الآية 79.

39 – سبأ الآية 11

40 – الأنبياء الآة 94.

41 – محمد بن عبد العزيز النجد المصدر السابق ص 145

42 – عباس حسن المصدر السابق ج 3 / ص 460–461.

المراجع:

1 – القرآن الكريم

2 – ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل القرشي الهاشي: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (القاهرة: مكتبة دار التراث) المجلد الثاني.

3 – ابن مالك، أبو عبد الله جمال محمد بن مالك الأندلسى، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، (دار الأقصى) بدون تاريخ.

4 – ابن هشام الأنصاري، ابو محمد عبد الله جمال الدين: شرح قطر الندى وبل الصدى (القاهر، دار الطلائع) بدون تاريخ.

5 – بن عثيمين، محمد بن صالح، شرح الأجرومية. دار الغد المنصورة الأزهر سنة 1423هـ 2002م.

6 – الدكتور أحمد هاشم وآخيرون، مذكرة في النحو والصرف للصف الثاني الثانوي (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة الملك فهد الرياض)، سنة 1421هـ

7 – سيبويه: أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الهيئة المصدرية العامة للكتب الطبعة الثانية سنة 1979م

8 – عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف القاهرة الطبعة الخامسة بلا تاريخ.

9 – محمد عبد العزيز النجد، ضياء السالك إلى أوضح المسالك مكتبة بن تيمية القاهرة .

10 -مصباح السالك إلى أوضح المسالك، طبع مع أوصح المسالك إلى ألفية بن مالك، دار الفكر بيروت لبنان سنة 1428هـ 2007م.

أَفْعَلَ التفضيل المقرون بألـ ومطابقته لما قبله دراسة نحوية تحليلية لنماذج منه في القرآن الكريم

د. غمبو حسن

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو

الحمد لله الذي أوضح سبيل الهدى أحمده سبحانه الذي على العرش استوي، استواء يليق بجلاله, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده

ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد الذي هو أفضل الخلائق كلها، وعلى آله وصحبه وسلم.

المقدمة:

إن كتابنا – القرآن الكريم – هو قبلة المؤمنين، يحفظونه في صدروهم، ويجعلونه أمامهم في كل وقت وحين، أقبل عليه العلماء يدرسونه قديما وحديثا ويبحثون فيه ومنهم من أقبل عليه مفسرًا يُبيِّن معاني ألفاظه، ومقصود آياته، ومنهم من عكف على بحث جانب واحد من جوانه الكثيرة، كإعرابه، أو تفسير مشكله، أو تكرار آياته، أو ناسخه ومنسوخه، أو غير ذلك من الفنون العلمية، اقتداء بالعلماء السابقين. فعلى ذلك المثال أراد الباحث إجراء بحثِ جانبٍ من جوانب علم النحو وتطبيقه في القرآن الكريم,وهذا الجانب هو أفعل التفضيل المقرون بأل ومطابقته لما قبله. محتويا على المقدمة، والتعريف، وكيفية صياغته، ومطابقته بما قبله في التعريف والإفراد والتذكير، ومطابقته في التعريف والجمع، ومطابقته في إعرابه رفعا ونصبا وجرا، وبالله التوفيق.

التعريف بأفعل التفضيل:

قال ابن الحاجب في تعريف أفعل التفضيل: "هو ما اشتق من "فَعَلَ" لموصوف بزيادة على غيره وهو "أَفْعَلَ". 1 وقوله: "ما اشتق" 1 صفة يشترك فيها الأسماء المشتقة وقوله "من فَعَلَ"2 هذا امتناع من اشتقاقه من وزن غير "فَعَلَ" ومن اشتقاقه من اسم.

---

[1]– ابن الحاجب: جمال الدين، كتاب الكافية في النحو، مع شرح الإستزابادى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان بلا تاريخ ج3، ص 212

وقوله: "بزيادة على غيره" هو مخرج صيغة اسم الفاعل, لأنه لا يدل على زيادة في غيره. و قوله:"وهو أَفْعَلَ" احترز بنحو فاضل وزائد وغالب، مما فيها معنى الزيادة لكنها ليست على وزن أفعل.

وقال ابن هشام في ذلك: "هو الصفة الدالة على المشاركة والزيادة كأكرم". 3 قولُه: "الصفة" هو جنس شمل كل الصفات المشتقة, وقوله: "الدالة على المشاركة والزيادة". احتراز مما ليس فيه المشاركة قط, كقولهم: الناقض والأشج أعدلا بني مروان.4

وقال الشيخ رضي الدين في ذلك أيضا: "هو ما اشتق من فَعَلَ لموصوف المبنى على أَفْعَلَ لزيادة علي غيره في المعنى المشتق منه"5 وقوله: "أشتق من فَعَلَ" أي من الفعل الثلاثي المجرد، هذا احتراز من بقية الصفات, حيث يجوز اشتقاقها من غير الثلاثي المجرد,

---

[1]– والاشْتِقاقُ مصدر اشتق وهو من شَقَّه يَشُقُّه شقا، معناه أَخْذُ شِقِّ الشيءِ أي بعضه ومن معانى افتعل الإتخاذ ومن هنا نعرف معنى الإشتقاق أَخْذُ الكَلِمَةِ مِن الكَلِمَةِ. اجع القاموس المحيط للفيروزآبادي

[2]– وزن "فَعَلَ" هو أصل وزن الأفعال، والأفعال أصل للأسماء لذلك اكتفى بذكر هذا الوزن لشموله للأفعالللأسماء.

[3]– ابن هشام أبى محمد عبد الله شرح قطر الندى وبل الصدى دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا التاريخ ص: 394 – 395.

[4]– قيل "أعدلا" هنا يحتمل أن يؤول بما لا تفضيل فيه أي عادلا هم لأنهما لم يشاركهما أحد منبني مروان في العدل. وذهب الآخرون إلى أن هذه العبارة أريد بها زيادة مطلقة، لأنه لا ينفى عن بقية أبناء مروان العدل بالكلية.

[5]– الاسترابادى: رضى الدين محمد بن الحسنى، شرح كتاب الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان بلا تاريخ، ج3، ص 212.

أو اسم. وقوله: "المبنى على أَفْعَلَ" احتراز من أوزان بقية الصفات نحو: فاعل، وقوله" "لزيادة على غيره في المعنى المشتق منه" مخرِج معاني بقية الصفات كذلك نحو فاعل, لأن معناه لا تزيد على معنى ما اشتق منه في التفضيلية.

وتحرير القول فيما يعرف به أفعل التفضيل أن يقال: هو صفة مشتقة من "فَعَلَ" لموصوف على وزن أَفْعَلَ لفظًا وتقديرًا دالة على المشاركة والزيادة في الغالب.1

وواضح أن أفعل التفضيل مشتق من الثلاثي المجرد على وزن أَفْعَلَ يدل في الأغلب على شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه، ولا بد أن يكون على وزن أَفْعَلَ، سواء صيغ من لازم كأَكْرَمَ من كَرُمَ يَكْرُمُ أم من متعد كأَضْرَبَ من ضَرَبَه يَضْرِبُه وأَعْلَمَ من عَلِمَه يَعْلَمُه.

إذا اقترن اسم التفضيل بأل صار صفة والصفة تابعة للموصوف في أحواله، وإنما وجب للصفة أن تكون تابعة للموصوف، لأن الصفة والموصوف كالشيء الواحد فصار كلما يلحق بالاسم يلحق بالصفة، وإنما قلنا إنهما كالشيء الواحد لأن الصفة تخرج الموصف من نوع إلى نوع آخر، فالصفة وموصوفها بمنزلة أخص من نوع الموصوف وحده، فالصفة والموصوف بمنزلة إنسان والموصوف وحده بمنزلة حيوان فكما أن الإنسان أخص من الحيوان كذلك الصفة والموصوف أخص من الموصوف وحده.2

طريقة صياغة أفعل التفضيل:

---

[1]– الألوسى أبو الفضل شهاب الدين، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، دار الفكر لبنان

بيروت، بلا تاريخ، ج14، ص 89.

[2]ابن يعيش، المرجع نفسه، ج3 ص 55

يصاغ أفعل التفضيل من مصدر الفعل الذي يراد التفضيل في معناه، بشرط أن يكون هذا الفعل مستوفيا للشروط الآتية كلها.

الشرط الأول: أن يكون له فعل وشذ مما لا فعل له، كقولهم: هو أَقْمَنُ بكذا، أي أَحَقُّ، بنوه من قَمَنٌ.[1]

الشرط الثاني: أن يكون ثلاثيا، فلا يبنى مما زاد عليه، نحو: دَحْرَجَ، وانْطَلَقَ واسْتَخْرَجَ.[2]

الشرط الثالث: أن يكون متصرفا في الأصل تصرفا كاملا قبل أن يدخل في صيغة أفعل التفضيل. فلا يصاغ من ليس وعسى ونعم وبئس ونحوها من الأفعال الجامدة.[3]

الشرط الرابع: أن يكون معناه قابلا للتفاضل والزيادة فلا يصاغ مما لا تفاوت فيه نحو فَنَي وسَقِمَ ومَاتَ وغَرِقَ وعَمِيَ.[4]

الشرط الخامس: ألا يكون الفعل من الأفعال الناقصة ككان وصار فإنهما لا يقبلان التفضيل.[5]

الشرط السادس: أن يكون مثبتا فلا يصاغ من فعل منفى نحو: ما ضَرَبْتُ زيدًا, لئلا يصير مستعملا في الإثبات.[6]

---

[1] ابن عقيل بهاء الدين كعبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية، دار الفكر 1411هـ – 1991م ج3 ص: 124

[2] ابن عقيل المرجع نفسه، ج3، ص 124

[3] ابن عقيل المرجع نفسه، ج3، ص 124

[4] ابن عقيل المرجع نفسه، ج3، ص 124

[5] ابن عقيل المرجع نفسه، ج3، ص 124

[6] ابن عقيل المرجع نفسه، ج3، ص 124

الشرط السابع: ألا يكون الوصف منه على أَفْعَلَ الذي مؤنثه فَعْلاءَ، بأن يكون دالا على لون أو عيب أو حلية لأن الصفة مشغولة بالوصف عن التفضيل [1] وهذا هو مذهب سيبويه من حيث يقول: "هذا باب مالا يجوز فيه ما أَفْعَلُه وذلك ما كان أَفْعَلُ لونًا أو خلقة، ألا ترى أنك لا تقول ما أحمره ولا ما أبيضه، ولا تقول في الأعرج ما أعرجه... وما لم يكن فيه ما أفعله لم يكن فيه أَفْعَلُ منه".[2]

ويرى رضي الدين أنه ينبغي أن يقال من الألوان والعيوب الظاهرة، فإن الباطنة يبنى منها أفعل التفضيل نحو: فلان أبلد من فلان وأجهل منه وأحمق وأرعن وأهوج وأخرق وألد... مع أن بعضها يجئ منه أفعل لغير التفضيل أيضا كأَحْمَقَ وحَمْقَاءُ وأَرْعَنَ ورَعْنَاءُ وأَهْوَجَ وهَوْجَاءُ[3].

الشرط الثامن: ألا يكون الفعل مبنيا للمجهول، نحو ضُرِبَ زيدٌ، فلا تقول: زيد أَضْرَبَ، تريد تفضيل ضَرْبٍ أوقع به، لئلا يلتبس بتفضيل ضرب أوقعه هو، [4] هذا هو المراد بقول ابن مالك:

وصغهما من ذي ثلاث، ص رفا قابل فضل تم، غير ذي انتفاء
وغير ذي وصف يضاهِي أَشْهَلا وغير سالك سبيل فُ عِلا[5].

---

[1] سويد على نائيى، المرجع نفسه – ص 18

[2] سيبويه ابن بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1395هـ ج4 ص: 97

[3] الإستزابادى: المرجع نفسه، ج3، ص 313

[4] ابن عقيل المرجع نفسه، ج 3، ص 124

[5] ابن مالك الإمام أبو عبد الله محمد جمال الدين، الفية، مع شرح ابن عقيلج3، ص: 123.

يطابق اسم التفضيل الموصوف في بعض ما له من الحالات نحو التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، وفي أوجه الإعراب الثلاثة وهي الرفع والنصب والجر. و"أل" التي تفيد التعريف نوعان؛ الأولى: "أل" للعهود وهي ثلاثة أنواعا: نوع يسمى "أل" العهود الذكري وهي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف أي تجعل مدلولها فردًا معينًا بعد أن كان مبهمًا شائعا أي أن تحصره في فرد واحد هو الذي تدل عليه النكرة الأولى، نحو قوله تعالى: "ما أرسلنا إلى فرعون رسولا، فعصى فرعون الرسول"[1]

الثاني: العهود الذهني، أي "أل" التي تحدد المراد من تلك النكرة، وتحصره في فرد معين تحديدا أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام، وليس أساسه ألفاظ مذكورة في الكلام الحالي بل أساسه علم المتكلم والمخاطب، وذلك نحو قوله تعالى: "ثاني اثنين إذ هما في الغار".[2]

الثالث: العهود الحضوري؛ أي "أل" التي تحدد حصول مدلول النكرة وتحققه في وقت الكلام، بأن يبتدئ الكلام خلال وقوع المدلول وفي أثنائه، نحوقوله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

هذا، وقد ذكر ابن عقيل سبعة شروط استنبطها من هذين البيتين لابن مالك، وأضاف الشرط الثامن وهو كون المصوغ منه أفعل التفضيل فعلا ويفهم هذا الشرط في أول البيت الأول حيث قال: "من ذي ثلاث" أي من فعل ذي ثلاث حروف، إذ أنه حذف الموصوف وذكر الوصف.

[1] سورة المزمل الآية: 15–16

[2] سورة التوبة الآية: 40

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[1]

وإذا اتبع أفعل التفضيل الاسم المعرف تعريفا للعهود الذكري أو تعريفا للعهود الذهني أو للعهود الحضوري فإنه يفيد نفس ما يفيد إليه الاسم من هذه المعاني.

الثانية: "أل" الجنسية وهي الداخلة على نكرة تفيد معنى الجنس المحض من غير أن تفيد العهد، وهو على أقسام, أحدها أن يقصد المبالغة في الخبر، فيقصر جنس المعنى على المخبر عنه، نحو قولك: زيد الرجل: أي الكامل في الرجولية، وثانيها: أن يقصر على وجه الحقيقة لا المبالغة، ويسمى تعريف الماهية نحو قوله تعالى: "أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة".[2]

أفعل التفضيل المقرون بـ"أل" ومطابقته لموصوفه في التذكير:

وفيما يلي يذكر الباحث بعض نماذج من القرآن الكريم ثم يحللها تحليلا يظهر هذه الدراسة بالوضوح غن شاء الله:

النماذج:

يقول الله تبارك وتعالى تعالى:"إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ"[3].

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: "الأسفل"مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتذكير والإفراد وفي الإعراب؛ والألف واللام في "الدرك" للعهد الذهني لذلك اتبعه أفعل لأنه صفة له, قال الليث في معنى الدرك: هو أقصى قعر الشيء كالبحر ونحوه فعلى هذا ، فالمراد بالدرك الأسفل في هذه الآية أقصى قعر جهنم، وهو

---

[1]– سورة المائدة الآية 3 .

[2]سورة الأنعام الآية: 89

[3]سورة النساء: الايه 145

بمعنى اللحوق ومنه إدراك الطعام، وإدراك الغلام، فالدرك ما يلحق به من الطبقة وظاهرة أن جهنم طبقات وأن أشدها أسفلها. قال الضحاك الدرج إذا كان بعضها فوق بعض والدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض[1]، قال ابن الأنباري إنه تعالى قال في صفة المنافقين إنهم في الدرك الأسفل، وقال في آل فرعون: چ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ چ[2]. فأيهما أشد عذابا؟ المنافقون أم آل فرعون؟ وأجاب بأنه يحتمل أن أشد العذاب إنما يكون فى الدرك الأسفل وقد اجتمع فيه الفريقان[3].

ويقول الله تبارك وتعالى: " وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ 4".

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: " الأدنى والأكبر"مقرونان بـ"أل"، وقد طابق موصوفهما في التعريف والتذكير والإفراد وفي الإعراب؛ والألف واللام في "العذاب" للعهد الذهني و"الأدنى والأكبر" صفتان للعذاب, ويقال الأدنى الأبعد، والأكبر الأصغر لكن الأدنى يتضمن الأصغر لأنه منقض بموت المعذَّب والتخويف إنما يصلح بما هو قريب وهو العذاب العاجل, والأكبر يتضمن الأبعد لأنه واقع في الآخرة والتخويف بالبعيد إنما يصلح بذكر عظمة وشدته فحصلت المقابلة. وظهر في كل منها بما هو أكد في التخويف.[5]

---

[1] الرازى، المرجع نفسه ،ج3، ص235

[2] – سورة الغافر الآية 46

[3] المرجع السابق

[4] سورة السجدة الايه 21

[5] أبو حيان ، البحر ، ج7، ص 203–204

ويقول الله تبارك وتعالى: " فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَر[1]

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: " الأدنى"مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتذكير والإفراد وفي الإعراب؛ والمعرفة في "عرض هذا" للإضافة لذلك اكتسبت الصفة المعرفة وهي "الأدنى", قال أبو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وأما العرض بسكون الراء فما خالف العين، أعنى الدراهم والدنانير. وجمعه عروض، والمراد بقوله عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها، وفى قوله الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب، وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشوة في الأحكام, ثم حكي تعالى عنهم أنهم يستحقرون ذلك الذنب ويقولون سيغفر لنا[2].

أفعل التفضيل المقرون بـ"أل" ومطابقته في التأنيث في القرآن:

يطابق أفعل التفضيل المقرون بأل للتعريف صاحبه في التأنيث, لأنه صفة, والصفة تابعة لموصوفها, و نماج ذلك كما يلي:

يقول الله تبارك وتعالى: " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ..."[3]

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: " الدنيا"مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ الألف واللام في "ـَ" للجنس والمراد به

---

[1] سورة الاعراف : الايه 169

[2] الرازى المرجع نفسه ،ج4، ص311

[3] سورة يونس: الايه24

الشمول والإحاطة, وهي المؤنث المجازي ولذلك طابقتها صفتها في التأنيث. والدنيا من دَنُوَ. فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها،ثم ركب فيها وزن أَفْعَلَ فصارت الدنيا, وقد كررت هذه الصفة في القرآن الكريم إلى خمس عشر ومائة مرة وكل مرة تُفهِمنا الجديد عن الدنيا. ولتكرار الدنيا إلى تلك المرات فوائد. وهى : لتأكيد المعنى في ذهن السامعين أن الحياة الدنيا لعب ولهو وأنها مهما بلغت من الجمال والزينة والبهاء أن مصيرها إلى الفناء والزوال, وأنها إذا وزنت بالآخرة ليست سوى متاع قليل ذاهب [1]. وكرر مجيء هذها الصفة إلى ذلك العدد المذكور لزيادة التنبيه على ما ينبغي التفهم ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول . وتكررت في بعض الأحايين إذا طال ذكرها تثبيتا وتقريرا لمعانيها في القلوب، وتجديدا لعهدها، أو يكون في مقام التعظيم والتهويل أو في مقام الوعيد والتهديد .أو في مقام التعجب [2] مثال ذلك كله قوله تعالى: "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ"3.ورد هذا الاسم في القرآن الكريم إلى مائتين وإحدى عشر مرة.

ويقول الله تبارك وتعالى: "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ4".

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: " الوثقى"مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ والألف واللام في "العروة" لتعريف العهد الذهني والوثقى صفة للعروة وهي تأنيث الأوثق مثل الوسطى والأوسط وجمعه الوثق . وشُبّه هيئة المؤمن في ثباته على الإيمان بهيئة من أمسك بعروة وثقي أي حبل وهو راكب

---

[1] بدوى، المرجع نفسه، ص334،335

[2] الزركشى ، المرجع نفسه ، ج3، ص 11–18

[3] سورة القصص الاية :60

[4] سورة البقرة الاية:256

على صعب أو في سفينة في هول البحر ، وهى هيئة معقولة شبهت بهيئة محسوسة [1] أي ضُرب هذا المثال لتقريب غائب غير معلوم ولا مشهودا ولا محسوسا بما يماثله من معلوم ومشهود ومحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه [2] وقد أفصح عنه الزمخشري في تفسير سورة لقمان إذا قال : "مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن يستمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون بانقطاعه" [3] فالمعنى أن المؤمن ثابت اليقين سالم من إطراب القلب في الدنيا, وهو ناج من مهاوي السقوط في الآخرة، كحال من تمسك بعورة حبل متين لا ينفصم[4].

ويقول الله تبارك وتعالى: "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ"5.

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: "ال حسنى"مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ اكتسبت النكرة في "كلمت" التعريف لإضافتها إلى معرفة، وكانت هذه المعرفة معرفة لأن الذهن يعلمها وذلك لإضافتها إلى ضمير "ك" لذلك جائت صفتها بألف ولام وهي مؤنث مجازي, فالألف واللام في " ى" للعهد الذهني. "والحسنى" تأنيث الأحسن، وهى صفة للكلمة وكانت الحسنى لأنها وعد محبوب والمعنى على من بقى من مؤمني بني إسرائيل وقوله "بما صبروا" أي: بصبرهم[6].

---

[1] العكبرى: المرجع نفسه،ج1،ص206،وابن عاشور: المرجع نفسه ،ج1، ص414م.

[2] الزمخشرى: المرجع نفسه،ج1،ص387

[3] المرجع السابق :ج3 ،ص235

[4] ابن عاشور :المرجع نفسه،ج1 ،ص414

[5] سورة الأعراف الآية 137

[6] أبو حيان المرجع نفسه ،ج4 ،ص376

ويقول الله عز وجل: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ"[1] ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: " الحسنى"مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ و"الأسماء" جمع اسم وهو جمع غير عاقل يجوز تأنيثه لذلك جائت صفته مؤنثة والألف واللام فيه للعهد الذهني ولذلك فإن الألف واللام في "الحسنى" للتعريف العهد الذهني, والحسنى تأنيث الأحسن ووصف الجمع الذي لا يعقل بما يوصف به الواحدة كقوله : "ولى فيها مأرب أخرى" [2] وهو فصيح ولو جاء على المطابقة بالجمع ، لكانت تركيب ولله الأسماء الحُسَن على وزن الأُخَر، كقوله :"فعتدة من أيام أخر" [3] لان جمع ما لم يعقل يخبر عنه ويوصف بجمع المؤنثات وإذا كان مفرده مذكرًا[4].وردت مثل هذه الصفة في القرآن الكريم في ثلاث عشر آيات.

ويقول الله تبارك وتعالى:''...إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".[5]

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل مرتان وهو قوله: "السفلى والعليا" مقرونان بـ"أل"، وقد طابق موصوفهما في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ و"كلمة" في هذه الآية الكريمة معرفة بالإضافة, وهي مؤنثة مجازي, وكلمة الذين كفروا هى الشرك وهى مقهورة وكلمة الله هي التوحيد وهى ظاهرة, وعن ابن عباس: كلمة الكافرين ما قرروا بينهم من الكيد ليقتلوا

---

[1] سورة الأعراف الآية :180

[2] سورة طه الايه:18

[3] سورة البقرة الايه :184

[4] أبو حيان المرجع نفسه ،ج4،ص428

[5] سورة التوبة 40

رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكلمة الله هي قوله: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَاد"[1] وقيل كلمة الله قولة تعالى: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز [2] وكلمة الذين كفروا هي قولهم فى الحرب : أعلى هبل يعنون صنمهم الأكبر[3].

ويقول الله تبارك وتعالى:"لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى"4

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: "ال كبرى" مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ اكتسبت آيات تعريفها من إضافتها إلى ضمير "نا" لذلك كانت الكبرى معرفة صفة لآيات, ويجوز أن تكون الكبرى نصبا بنُرِيَك "ومن آياتنا"حالا, أي لنريك الآية الكبرى من آياتنا, قال بعض المفسرين لقد رأى من آيات ربه الكبرى هي أنه رأى جبريل علية السلام في صورته, والكبرى تأنيث الأكبر فكأنه تعالى يقول رأى من آيات هن أكبر الآيات.[5]

ويقول الله تبارك وتعالى:"يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ"[6]

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: "ال كبرى" مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ البطشة معرفة بألف ولام للعهد الذهني, وهي المؤنث مجازي لذلك كانت صفتها معرفة ومؤنثة, روى عكرمة عن ابن عباس

---

[1]– سورة غافر الآية 51 .

[2]–سورة المجادلة الآية 21

[3]أبو حيان المرجع نفسه ,ج7 ,451

[4]سورة طه الآية 23

[5]الرازي المرجع نفسه ج7.ص711,والعكبري ,المرجع نفسه ج3 ,ص889

[6]سورة الدخان الآية :16

رضي الله عنهما أنه قال: قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر, ويرى بعض العلماء أن البطشة الكبرى هي يوم القيامة لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذى يوصف به الوصف العظيم ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى:" الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ "[1] ولأن هذه البطشة لما وصفها الله بكونها الكبرى على الإطلاق وجب أن تكون أعظم أنواع البطش, وذلك ليس إلا في القيامة [2] وردت هذه الصفة في القرآن الكريم ست مرات.

ويقول الله سبحانه وتعالى:"قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى"[3].

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: "ال مثلى" مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتأنيث والإفراد وفي الإعراب؛ اكتسبت النكرة تعريفها بإضافتها إلى المعرفة أي الضمير الذي كان معروفا للعهد الذهني ولذلك فإن الألف واللام في صفته "المثلى" للعهد الذهني،والمثلى مؤنث الأمثل وهو اسم تفضيل مشتق من مَثَلَ يَمْثِلُ مَثَالَةً والمذكر منه "الأمثل" وهى حسن الحالة يقال فلان أمثل قومه أي أقربهم إلى الخير وأحسنهم حالا [4].

وأرادوا من هذا إثارة حمية بعضهم غيرةً على عوائدهم , فإن لكل أمة غيرة على عوائدها وشرائعها وأخلاقها , لذلك دعوا إلى ذلك ليجمعوا حيلهم وكل ما في وسعهم أن يغلبوا بموسى.[5]

---

[1] سورة غافر الآية :17

[2] الرازي, المرجع نفسه ج7 ص 451

[3] سورة طه, الآية 63

[4] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، لبنان 1999م– 1420هـ، ص951

[5] ابن عاشور المرجع نفسه ج11.ص255

أفعل التفضيل المقرون بأل ومطابقته في التثنية في القرآن الكريم:

يطابق أفعل التفضيل المقرون بأل للتعريف مع صاحبه في التثنية, لأنه صفة, والصفة تابعة لموصوفها, وذلك في مثال:

يقول الله عز وجل: فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ[1]

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: " الأوليان" مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتنكير والتثنية وفي الإعراب؛ و"الأوليان" صفة لاسم محذوف تقديره "المذكوران" والألف واللام في المحذوف تعريف للعهد الذهني، ومعنى الآية على هذا التقدير إن اطلع القاضي بعد حلف الآخرين{وهما "ءاخران من غيركم" في الآية السابقة لهذه الآية} على ما يدل على خيانتهما أو كذبهما في الشهادة يُحلِف القاضي آخرين من الذين استحقوا الوصية المذكوران الأوليان بالميت، فـ"الأوليان" بدل في هذا التقدير.[2]

أفعل التفضيل المقرون بأل ومطابقته في الجمع في القرآن:

يطابق أفعل التفضيل المقرون بأل للتعريف مع صاحبه في الجمع, لأنه صفة, والصفة تابعة لموصوفها, وذلك في مثال ما يلي:

يقول الله تبارك وتعالى في ذلك:" كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"[3]

---

[1] سورة المائدة الآية :107

[2] جومي ،أبوبكر محمود، رد الأذهان إلى معاني القرآن، مكتبة برهام أيوب كنو نيجيريا ج1, ص159.

[3] سورة البقرة الاية 180

ورد في الآية السابقة أفعل التفضيل وهو قوله: "الأقربين" مقرونا بـ"أل"، وقد طابق موصوفه في التعريف والتذكير والجمع وفي الإعراب؛ و"الأقربين" صفة للموصوف المحذوف وتقديره الإخوة وهو معرفةٌ للعهد الذهني وهو جمع لذلك كانت صفته مطابقة له في التعريف وفي الجمع, وهو جمع الأقرب وهو أفعل التفضيل, فكل من كان أقرب إلى الميت دخل في هذا اللفظ وأقرب الناس إلى الميت الوالدان فصار ذلك تعميما بعد تخصيص فكأنهما ذُكِّرا مرتين توكيدا وتخصيصا على إيصال الخير إليهما هذا مدلول ظاهر لهذا اللفظ. وعند المفسرين الأقربون الأولاد أو من عدا الأولاد أو جميع القرابة أو من لا يرث من الأقارب[1].

الخاتمة:

وجدنا فيما سبق دراسته أن اسم التفضيل المقرون بـ"أل" يأتي صفة تابعة للموصوف في أحواله، واتبع موصوف إذ ثبت أن اسم التفضيل يطابق الموصوف في التعريف كما يطابقه في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، وقد ظهر بالوضوح أسباب تعريف اسم التفضيل، منها الإشارة إلى العهد الخارجي بشرط أن يتقدم الذكر، والعهد الذهني، أي في ذهن المتكلم ومخاطبه، والعهد الحضوري، والجنس وهو على أقسام, أحدها أن يقصد المبالغة في الخبر، فيقصر جنس المعنى على المخبر عنه، وثانيها: أن يقصر على وجه الحقيقة لا المبالغة، ويسمى تعريف الماهية ويطابق أفعل التفضيل لصاحبه في التذكير إذ كان أفعل مقرونا بأل لتعريف. ويتبين لكل من اطلع على هذه الصفحات المتواضعة أن القواعد العربية ما جعلت عفوًا أو تلاعبا بالألفاظ، بل جعلت لتأدية المعاني التي في ذهن المتكلم ويريد أن يخرجها لإفادة السامع، فعلى الدارسين أن يشمروا عن ساعديهم في تحصيل علوم قواعد اللغة العربية، ومحاولة تطبيقها في النصوص القيمة ليتحصلوا على المرونة اللغوية.

---

[1] ابو حيان المرجع نفسة ,ج2 ,ص20

المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

ابن الحاجب: جمال الدين، كتاب الكافية في النحو مع شرح الإستراباذى، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان بلاتاريخ.

ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية،الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع والإعلان، بلا تاريخ.

ابن عقيل:بهاء الدين عبد الله ، شرح بن عقيل على ألفية، دار الفكر، 1411هـ،1991م.

ابن مالك: الإمام أبو عبد الله محمد جمال الدين، ألفية ابن مالك، مع شرح ابن عقيل: دار الفكر، 1411هـ ،1991م. وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : حققه محمد كامل بركاتدار الكاتب العربي، 1387هـ ،1967م.

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، بيروت، دارصادر للطباعة والنشر 1956م.

ابن هشام: أبو محمد عبد الله ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ. وأوضح المسالك إلى ألفية بن مالك : الطابعة السادسة، دارالفكر، بيروت ، 1394هـ ،1974م

بن يعيش : يعيش بن على، شرح المفصل ، علم الكتب ، مكتبةالمتنبى، القاهرة ، بلا تاريخ.

أبو حيان: إثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيانالأندلسي ، البحر المحيط في علم التفسير ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطابعة الثانية ، 1413هـ،1992م. وتفسير النهر المادي من البحر المحيط ، في حاشية البحر المحيط،في علم التفسير، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطابعة الثانية 1413هـ،1992م

الأزهري: الإمام خالد بن عبد الله، التصريح على التوضيح، دارالفكر، بيروت، بلا تاريخ.

الإستربادي: رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح كتاب كافية بنالحاجب في النحو ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلاتاريخ.

الأشموني: على بن محمد ، شرح لأشمونى على ألفية بن مالك ، دارإحياء الكتب العربية ، لعيسى البابي الحلبي وشركاه، بلاتاريخ.

الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين، روح المعانى فى تفسير القرآنالعظيم والسبع المثانى ، دار الفكر اللبناني، بيروت، بلاتاريخ.

إلياس: إلياس أنطون وارور، قاموس إلياس العصري ، إنجليزي– عربي، دار الجيل، بيروت، 1986م. وقاموس إلياس العصري، عربي– إنجليزي، دار الجيل، بيروت 1986م.

بدوى: احمد احمد، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، 1950م

الجرجاني: الإمام عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، مطبعة محمد على صبيح وأولاده، مصر، بلا تاريخ.

جومي. أبوبكر محمود، رد الأذهان إلى معاني القرآن، مكتبة برهام أيوبكانوا نيجيريا بدون تاريخ الطباعة.

حسني,د. عبد الجليل يوسف، تسهيل شرح ابن عقيل, مؤسسةالمختار، الطبعة الأولى 1425 هـ – 2004 م.

الحضري: محمد، حاشية الحضري على بن عقيل، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بلا تاريخ.

الحمصى: ياسين بن زيد الدين، حاشية على شرح الفاكهى لقطرالندى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر الطابعةالثانية، 1390هـ ،1971م، وحاشية على التصريح على الوضوح ، دار الفكر، بلاتاريخ.

الرازي: فخر الدين محمد بن ضياء، التفسير الكبير، دار الفكر،بيروت 1398هـ – 1978م.

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطابعة الثالثة بيروت، 1400هـ.

الزمحشرى: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف في حقائقالتنزيل وعيون الأقاويل ف وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1297هـ، 1977م.

سويد: على نائبي، تعليق لغوى على كلمة الأسقم، الطبعة الأولى،زاوية أهل الفيضة، كانوا نيجريا، 1409هـ – 1988م.

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1395هـ.

الصبان: محمد الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفيةبن مالك ، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

طنطاوي,محمد سيد شيخ الأزهر الشريف،التفسير الوسيط للقرآنالكريم، دار السعادة، بلا التاريخ.

ظاهرة التعدد اللغوي: وكيف عاملها الإسلام

د. محمد أرزكا طن زاكى

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو

Abstract:

This paper attempted to look at multilingualism as a linguistic phenomenon and to explain its causes, forms and effects in order to present the Islamic approach to it. The paper tried to explain that this phenomenon is sometimes misunderstood and associated with a lot of socio-economic conflicts that are mostly non- linguistic. It established that the Islamic approach to multilingualism is a reflection of its view of language; that view which emanates from the general principle of Tawheed which states that Allah the Almighty is the Lord and all human beings are His servants. Thus, all languages are equal and are gifts from Him. This equality was discussed vis a vis the position of Arabic as the language of the Muslims' scriptures. It was established here that Muslim history has shown how that proved to be a manifestation of the equality of all Muslims, irrespective of race; and that Arabization was never a linguistic policy pursued by Islam.

المقدمة:

ليست اللغة مجرد جزء من طبيعة الإنسان، بل إنها ميزة من الم ميزات الأساسية التى يفضل بها الحيوان، فهي نعمة كبرى أنعمها الله عليه.

وإن التعدد اللغوي في المجتمعات الإنسانية ظا هرة واقعية، وأن طبيعة الألفة البشرية تدفع في كل يوم أجناسا مختلفة من الناس إلى الا خـلاط بعضهم ببعض من أجل تبادل المنافع جلبا للخير أو دفعا للضرر، وهذا بطبيعة الحال يؤدى إلى إنشاء مجتمعات ذ ات لغات متعددة يحتك بعضها ببعض احتكاكا يؤدي بدوره إلى صراع بين تلك اللغات.

والتعدد اللغو ي من الموضوعات التى كثرت الإشارات إليها في الدراسات الاجتماعية، غير أن كثيرا ما تشير إليه ا بعض تلك الدراسات إشارة تبدو بها كأنه امشكلة

اجتماعية متطلبة للحل، وأن هذه "المشكلة" عامل كبير من عوامل الصراعات السياسية والاقتصادية والقبلية الكائنة في المجتمعات.

و ستحاول هذه المقالة النظر إلى هذه الظاهرة من منظور الد ارس اللغوي المسلم، بغية إظهارالرؤية الإسلامية فيه، ومحاولة بيان الكيفية التى عامل بها الإسلام هذه الظاهرة. فهل هي مشكلة في أساسها؟ أم المشكلة في سوء استخدامها وعدم تسخيرها لصالح المجتمع – كغيرها من الثروات البشرية؟ وهل الصراع اللغوي مرتبط بال ضرورة بالصراعات السياسية والقبلية الكائنة في المجتمعات ؟ وما طبيعة هذه المسألة في نظر الإسلام ؟ هذه التساؤلات وما شاكلها هي التى تحاول المقالة الإجابة عنها من منظور إسلامي. وستطرق إلى الحديث عن النقاط التالية: مفهوم التعدد اللغوي، وأسبابه وأشكاله وآثاره في المجتمعات، ثم الحديث عن موقف الإسلام منه وبيان مكانة اللغة العربية في هذا الدين.

1. مفهوم التعدد اللغوي[1]

التعدد اللغوي عبارة عن مقدرة الإنسان وتمكنه من إجادة لغات كثيرة أقلها ثلاث، إجادة تمكنه من التخاطب والتواصل بها على مستويات الحياة المختلفة: المستوى الاجتماعي والاقتصادي والديني وغيرها، فيكون قادرا على الفهم والإفهام. والعبرة هنا في القدرة المعرفية وليس في العلاقة الجنسية أو العرقية أو الاجتماعية أو السياسية بين اللغة وبين الم تحدث بها . قد تكون اللغة الأم، وقد تكون قومية وقد تكون أجنبية إلى غير ذلك. وعلى هذا المفهوم، فإن نسبة كبيرة من سكان العالم متعددوا اللغة .[2]وقيل أن نصف سكان أفريقيا متعددو اللغة.[3]

---

[1]- Comrie, Bernard. "*Language*." Microsoft® Encarta® 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation.

2- Tucker, G. R. (1998), Multidisciplinary Perspective on Multilingual Education, ins. Cenoz, J & Fred Genesee, (eds.), Beyond Bilingualism: Multilingualism and multilingual Education – Multilingual Matters; Series 111, pp. 4.

): Language and Society, in: Bernard, H. & Derek, N. (eds.) African Languages-An Introduction.317 03- Wolff, E., (200 CUP. Pp. 46.

وأما التعدد اللغوي في المجتمعات، فهو يختلف عنه في الأفراد، فإنه يعتبر المجتمع متعدد اللغة إذا تكوّن من قوميات لغوية مختلفة وإن لم يكن هناك تبادل الفهم بينها. وبعبارة أخرى، إن الفهم المتبادل للغات الآخرين بين القوميات المشكِّلة للمجتمع ليس شرطا في كون المجتمع متعدد اللغة. وعلى هذا فإن كثيرا من المجتمعات الأفريقية – إن لم يكن أكثرها – متعدد اللغة ومن بينها المجتمع النيجيري.

2. أسباب التعدد اللغوي

يتم الاحتكاك وبالتالي الصراع بين اللغات لأسباب معينة، وقد ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافى في كتابه "علم اللغة"[1] عاملين رئيسين هما سبب الاحتكاك بين اللغات:

أ –نزوح عناصر أجنبية إلى بلد أو منطقة جغرافية ما، فيها قومية لغوية معينة، سواء كان ذلك عن طريق الهجرة أو الاستعمار أو الحرب أو التجارة أو غير ذلك من الأسباب.

ب تجاور شعبين مختلفي اللغة بحيث يتم بينهما التعايش السلمي وتبادل المنافع. ففي كلتا الحالتين تتصارع اللغات المجاورة وي سفر عن ذلك الصراعنتائج وآثار . وفي غالب الأحوال تبقى كل واحدة من تلك اللغات المتصارعة جنبا إلى جنب متأثرة بالأخرى كثيرا أو قليلا، وبالتالى يكون المجتمع متعدد اللغة.

وكلتا الحالتين واقعة في كثير من المجتمعات الإفريقية بما فيها نيجيريا، حيث أفرض الاستعمار على طائفة كبيرة من الشعب تعلم اللغات الأروبية من إنجليزية وفرنسية وبرتغالية وإيطالية. وهذه صورة للحالة الأولى، أما الثانية فهي صورة أصيلة لكثير من المجتمعات الأفريقية حيث استقرت جماعات مختلفة بمناطق معينة وعاشت فيما بينها بسلام تستفيد جميعا من الثروات الطبيعية الموجودة في تلك المناطق كالماء والأراضي الزراعية

[1]– علي عبد الواحد وافي، (د.ت.)، علم اللغة، ط9، دار نهضة مصر، ص:229–248.

والأنهار.[1]وأقطار نيجيريا منذ أمد بعيد قبل مجيء الاستعمار عبارة عن مجتمعات متعددة اللغات.[2]

3. أشكال التعدد اللغوي

للتعدد اللغوي في المجتمعات مظهران رئيسان. المظهر الأول على مستوى المجتمع والثانى على مستوى الأفراد. فالأول عبارة عن تكوّن المجتمع من مجموعات أو قوميات لغوية مختلفة ومتعددة، بحيث تشكل كل مجموعة أو قومية لغ ويةٍ جزءا حقيقيا من المجتمع العام، لكونها عضوا مشاركا مشاركة فعّالة في حياة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ولا يتحتم في مثل هذه الحال أن تكون تلك القوميات المؤلِّفة للمجتمع يجيد بعضها لغات بعض – كما سبق الذكر – وبعبارة أخرى ليس حتما في هذه الحال أن يكون الأفراد في القوميات اللغوية المختلفة لهم معرفة بلغات الآخريين من القوميات. ويعن ي ذلك أن التعدد اللغوي على مستوى المجتمع لا يؤد ي بالضرورة إلى التعدد اللغوي على مستوى الأفراد.3 فالمقياس إذا هو تعدد اللغات الحية في المجتمع، يتم بها النشاط اللغوي الفعال. وقد يقتصر دور بعضها على نطاق ضيق في حين يتوسع نطاق البعض. والمجتمع النيجيري مثال واضح لهذه الحال، فإن نشاط بعض اللغات يتسع عبر الأقاليم وبعضها في حدود الأقاليم وبعض آخر أضيق من ذلك.

والمظهر الثاني عبارة عن تمكن بعض أفراد من إجادة لغات كثيرة. وليس الانتماء إلى مجتمع متعدد اللغات شرطا لحدوث هذا، وإن كان الغالب وجود أفراد متعددي اللغة في

---

[1]–إبراهيم أنيس، (د.ت.) اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، ص:41–42.

[2]-Simore, Gregory Osas: 2003. Developing and Promoting Multilingualism in the Nigerian Public and Social life for modern age. Ins. Ndimile, Ozo-Mekuri (ed.), In the Linguistic Paradise: A festschrift for Nolue E. Emenanjo. Pp 66.

[3]-Cenoz, J. & Genese, F. Psychological Perspective on Multilingualism and Multilingual Education, ins. Cenoz, J &Genesee, F. (eds.), Beyond Bilingualism: Multilingualism and multilingual Education – Multilingual Matters; Series 111, pp16-17.

مجتمعات متعدد ة اللغة، فإن كثيرا اليوم من الأفراد في مجتمعات أحادية اللغة يتمتعون بالقدرة على التواصل بلغات متعددة.

وقد اختلف في مقياس هذه الصورة للتعدد اللغوي، متى يكون الإنسان متعدد اللغة ؟ فالمقياس عند بعضهم هو الكفاءة التواصلية Communicative Competence. فمتى كان قادرا على استخدام اللغة بطريقة صحيحة وفعّالة في ظروف التواصل الاجتماعي،يُحسب له ذلك. وهذا أقل مما ذهب إليه بعض الدارسين حيث اشترط على الإنسان أن يصل في اللغة التي تعلمها إلى مستوى الكفاءة السوشيو لغوية والتداولية وا لنصية والاستراتجية، بالإضافة إلى الكفاءة التواصلية1، وذلك مطلب صعب في نظر البعض، إذ هو محاولة لقياس من تعلم لغة(ثانية) بمن اكتسبها (أولى)، وهي نظرة تأثرت بالنظرية المعروفة في علم اللغة النظري بنظرية المتكلم الأمثل IdealSpeaker –Listener2.

وفي حين تعتبر هذه الصورة – التعدد لدى الأفراد – ميزة يفتخر بها الأشخاص، فإن المجتمعات المتعددة اللغة ينظر إليها بعين ساخرة على أنها تعاني من مشكلة. ولعل الأمر متعلق بكون العالم الغربي صاحب النفوذ والقوة العسكرية والاقتصادية المشار إليه بأنه العالم المتقدم – لكون هذا الغرب متكونا من مجتمعات (بلاد) أحادية اللغة غالبا ، وأن البلاد الأفريقية – المشار إليها بالمتخلفة، بلاد متعددة اللغة.

4. آثار التعدد اللغوي:

للتعدد اللغوي آثار إيجابية كثيرة، يعود بعضها للمجتمعات، وبعضها الآخر لأولئك الأفراد المتعلمين المستخدمين للغات عديدة في عملية التواصل، وتعكس هذه الآثار على مستويات الحياة المختلفة، كالاقتصاد، والاجتماع والثقافة وغير ذلك.

---

[1]- Cenoz, J. & Genese, F., Psychological perspective, pp.17.
2- Cenoz, J. & Genese, F., Psychological perspective, pp.17.

ولعل مصدر تلك الآثار الإيجابية هو ما للتعدد اللغوي من قدرة على تمكين مجتمعاته من النظر إلى العالم وبالتالي إلى الحياة من وجهات مختلفة ، ذلك لأن كل قومية لغوية في ذلك المجتمع تمتلك رؤية إلى الحياة وما يحيط بها، رؤية مغايرة – في الغالب – عن رؤية القوميات الأخرى المكوِّنة معها ذلك المجتمع. فعلى ذلك يكون المجتمع المتعدد اللغة أكثر قدرة على التعامل مع الحياة ومستجداتها من مجتمع أحادي اللغة. وفي ذلك يقول بعض الدارسين:

إن التعدد اللغوي يقدم لنا وجهات نظر ورؤى مختلفة، وبالتالى يمكّننا من فهم أدق لطبيعة العقل الإنساني. فإن مع التعدد اللغوي التوسع وعمق الفهم، ذلك العمق الذي ينتج من التعامل مع الأشياء المختلفة ومقارنتها أو مقابلتها بعضها ببعض، ذلك التعمق في المجال الذي يصبح ممكنا حيث تعبر لغة ما عن العالم بتعبير مغاير عن تعبير اللغة الأخرى فتُدرك غرابة تلك المغايرة.[1]

فإن هناك دراسات تشير إلى وجود انعكاسات إيجابية للتعدد اللغوي على درجة انفتاح الشعوب والأفراد وعلى النمو الاقتصادي للمجتمعات.2

وإضافة إلى هذا، لقد ذهب عدد من الباحثين إلى أن تعلم اللغات العديدة وممارسة عملية التواصل بها له أثر إيجابي على الذاكرة قوة وإدراكا واسترجاعا، وذلك بما يقوم به هذا الأمر (التعدد اللغوي) من تقوية عضلات الدماغ الإنساني. فإن ممارسة اللغات الكثيرة، تعلما وتخاطبا له بالنسبة للدماغ فعّالية شبيهة بفعّالية الرياضة البدنية لعضلات الجسم،

---

[1]- Okwudishu, Appolonia U. 'Globalization, Multilingualism and the new ICT', ins. Ndimile, Ozo-Mekuri (ed.), In the Linguistic Paradise: A festschrift for Nolue E. Emenanjo. Pp. 3.

2- See; 1. Bangura, A., (2009), "Measurable effects of Multilingualism in Africa", IJSL, Vol. 146 issue 1 pp111-118; and 2. Dewaele, Jean-Marc & Wei, Li, (2012), Multilingualism, Empathy and Multicompetence, International Journal of Multilingualism, DOI:10.1080/14790718.2012.714580, PP. 3.

وبالتالي يجعل الإصابة ببعض الأمراض الدماغية مثل Dementia "مرض النسيان" و Mild Cognitive impairment (MCI)"الخلل المعرفي الطفيف"، أمرا بعيد الاحتمال.[1]

ويتضح من هذا أن التعدد اللغوي في ذاته أمر إيجابي سواء للمجتمعات أم الأفراد،فمن ثم نرى عالمنا يتقدم بسرعة كبيرة إليه على المستوى الفردى – على الأقل.2

وليس هذا محاولة للادعاءبأنه لا توجد سلبيات متعلقة بالتعدد اللغوي في المجتمعات،لكن كثيرا مما يعزى إلى هذهالظاهرة من آثار سلبية في المجتمعات لا يرجع إلى اللغة وإلى تعددها في المجتمع بقدر ما يرجع إلى عوامل أخرى سياسية أواجتماعية. فإن الصراعات طبيعة إنسانية وقائمة حتى في داخل أسرة واحدة ، وأغلب أسبابها سياسية واقتصادية، في محاولة بعض العناصر الاستعلاء على الآخرين أو الاستئثار ببعض المنافع دون غيرهم.

فإن عالمنا اليوم شاهد على حروب أهلية في البلاد والمجتمعات الأحادية اللغة على النمط الذي شهدته البلاد المتعددة اللغة. كما يشهد ثورات هنا بالقدر نفسه الذي يشهدها هنالك. وهذا يبلور أن الصراعات في المجتمعات لها عواملها الخاصة بها بعيدة عن اللغة وإن حاولت بعض الأطراف المشاركة في تلك الصراعات الاحتماء باللغة.

إن الظلم والاستبداد وعدم المساواة – حقيقة أو تصورا أو خياليا ، هو السبب في الثورة الفرنسية فيما مضى وهو السبب في الثورة الإيرانية في الماضي القريب، وكذلك هو السبب نفسه في التونسية والمصرية وغيرها من ثوارت نشاهدها اليوم باسم ما يعرف بالربيع العربي. فهذه البلاد تقريبا كلها أحادية اللغة.

1- www.news.softpedia.com, accessed on 23/2/2013. See also:
Bialystok (2011), Reshaping the mind: The Benefits of Bilingualism", Canadian Journal of Experimental Psychology, 4 60:229-235.

2- Tucker, G. Richards, Multidisciplinary Perspective.

وهذه الحقيقة تدعو إلى تحر ي الحيطة عند الحديث عن الصراعات اللغوية في المجتمعات المتعددة اللغة حتى لا يختلط مع الحديث عن الصراعات الأخرى التى لا علاقة للغة بها بصورة مباشرة. فإن كون اللغة أهم الملامح المحددة للقومية لا يجعلها بالضرورة سببا للصراعات التى تجرى بين الأقوام والقوميات.

5.0 الإسلام والتعدد اللغوي:

إن اللغة ذات أهمية كبيرة في نظر الإسلام، إذ هى الوسيلة المختارة من المولى العظيم لرسالته الإلهية للناس. ما كان هناك رسول أرسله الله إلى الناس إلا كانت اللغة وسيلته للتلقي والتبليغ. فهو يتلقى الرسالة باللغة ويؤد ي واجب تبليغها باللغة أيضا. قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ سورة إبراهيم.

والإسلام بوصفه الحلقة الختامية لسلسة الرسالة الإلهية إلى العالم، وبوصفه الصورة الأخيرة المعبرة عن روح جميع الحلقات الساب قة، لا بد أن يعنى باللغة. فاللغة في نظر الإسلام بصفته هذه – هى الوسيلة للتعرف إلى الله والقيام بواجباته المتعلقة بخلقه في الحياة المادية، وكذلك الوسيلة لربط الصلة بين العبد وربه في حياته الروحية ، عن طريق أداء العبادات والتوجه إلى الله بالدعاء.

فإن الغاية من إرسال الرسل والأنبياء هي هداية الناس إلى الخير والصلاح والخروج عن ما يغضب الله عز وجل ويوجب سخطه. وهذه الغاية هي التى جاء الإسلام ليحققها برسالته التي يتضمنها القرآن الذي أنزله الله على خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله القرشي صلى الله عليه وسلم بلسانه العربي جريا على سنته عز وجل.

إن التعدد اللغوي ظاهرة واقعية في الحياة الإنسانية منذ أمد بعيد. وهو أمر تحدث عنه القرآن الكريم الذي هو الحاوى على الرسالة الإسلامية، فتشكلت بذلك الرؤية الإسلامية إليه.

5.1 الحكمة والمساواة:

إن التعدد اللغوي في نظر الإسلام أمر اقت ضرته الحكمة، حكمة البار ي عز وجل بتثبيتا لقدرته وآية لبدائع صنعه وحكمته في خلقه. يقول تعالى:

چ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ چالروم:[٢٢]

وينظر الإسلام إلى التعدد اللغوي من مبدأ أساس عنده، وهو مبدأ المساواة بين الخلائق،وهذا المبدأ منطلق من التوحيد الذي هو أساس الرسالة الإسلامية . وهو عبارة عن تفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق والأمر – الربوبية والألوهية، وتساوى الخلق كلهم جميعا – على اختلاف طبائعهم في العبودية له. فانطلاقا من هذا المبدأ فإن اللغات كلها م تساوية عند الله كتساوي شعوبها. قال تعالى:

چ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ژالحجرات: ١٣

فالفضل عندالله بتقواه وليس بالانتماء القبلي أو الشعوبي أو اللغوي. والشرف يكون بحسب ما عليه الإنسان من زكاة روحه وسلامة خُلقه وإصابة رأيه وكثرة معارفه. وهذا من سماحة الإسلام وإنصافه،فالإنسان يحاسب فيكرم أو يهان بما حققه بجده وبما فعلته يده.

إن الآيتين السابقتي الذكر تشيران بوضوح إلى أن التعدد اللغوي دليل على قدرة الله. فالناس كلهم من أب واحد وأم واحد ة ولكن اختلفت ألسنتهم. وأن ه ذا الاحتلاف لا يؤسس فضلا للغة على أخرى، بل إنما هو لحكم ة معينة ولفوائد فردية واجتماعية . كيف يكون هناك فضل والأصل واحد.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة له : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى...[1]

وقراءة هذا الحديث في ضوء الآية الم ذكورة سابقا، وبناء على ما نعرفه في واقع الحياة من دور اللغة في تحديد الشعوب أو القوميات تعطي صورة جلية الوضوح على مدى تسوية الإسلام بين اللغات عامة، وأنه لا يعزي فضلا لأية لغة في ذاتها.

وبناء على هذا الأساس تكفل الإسلام بحرية اللغة للشعوب كلها.

5.2 حرية اللغة للشعوب :

يعترف الإسلام بحرية الشعوب اللغوية ويتكفل لها جميعا بحقوقها الكاملة من هذه الناحية، انطلاقا من رؤيته المتساوية للغات جميعا. فبما أنه لا توجد عنده لغة هى في ذاتها أفضل من لغة أخرى، فإنه يتيح لجميع الشعوب والقوميات اللغوية فرصة ممارسة نشاطاتهم اللغوية كاملة.

فإن القرآن صريح في بيان تعدد لغات أنبياء الله ورسله. وأن لغة كل نبي كانت حاوية لرسالة ربه التي يحملها إلى قومه كما سبقت الإشارة في الآية المذكورة حيث يقول الله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ سورة إبراهيم.

فإنه واضح من هذه الآية الكريمة أن عمل الأنبياء وواجبهم هو بيان رسالة الله لأقوامهم، وذلك هو الغرض من إرسالهم. وأن هذا العمل يتم بصورة أفضل حين تتفق لغة

---

[1]– رواه أحمد في مسنده،باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . (ت: شعيب الأرنؤؤط و آخرون، ط2، مصر: مؤسسة الرسالة، ج/38، ص. 474.

الرسالة مع لغة الرسول والمرسلين إليهم، وفي هذا إشارة واضحة إلى حث الشعوب والأقوام في التعامل اللغوي، كل قوم بلغتهم.

ولعل في بعض أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم تشجيع ضمني لأصحابه أوحث لهم على تعلم اللغات، فهو إذًا تثبيت عملي لهذه الحرية وهذا الحق اللغوي. فإنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كلف بعض أصحابه بتعلم لغات معينة في ظروف معينة. 1 كما ثبت أنه أرسل كتبا (رسائل) إلى الملوك يدعوهم بها إلى الإسلام مع أشخاص تذكر كتب التاريخ أن كل واحد منهم كان يجيد لغة من أرسل إليهم. 2 لو لم يعترف الإسلام بحرية الأقوام اللغوية لما كانت هنالك تلك التصرفات التى من طبيعتها الإنهاض بلغاتهم.

فبتلك التصرفات الحكيمة لقدضمن الرسول صلى الله عليه وسلم لتلك اللغات دعامتين اللتين هما أهم مظهر الحرية اللغوية، أولاهما: حرية التعبير باللغة من قبل الأفراد والثانية: ضمان انتشارها.

وبناء على هذه الحربية التى أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم جرت سياسة الخلفاء بعده. فإنهم لما توسعت رقعة الإسلام ودخل فيه شعوب غير عربية لم يضيقوا الخناق على لغة واحدة من لغات تلك الشعوب، ولم يفرضوا على أحدهم اللغة العربية. ومع ذلك كله انتشرت هذه اللغة لمكانتها في هذا الدين انطلاقا من رغبة الشعوب المسلمة غير العربية في فهم النصوص الشرعية الإسلامية من مصادرها الأصلية.

5.3 الإسلام واللغة العربية :

---

[1]– روى الترمذي عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهبتعلم لغة اليهود.(باب ما جاء في تعليم السريانية)

[2]–راجع:ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، م1/258.

إن اللغة العربية – بحكم نزول القرآن الكريم بها، وبحكم كونها لغة الرسول صلى الله عليه وسلم لغة الإسلام. ولكن العكس ليس صحيحا. فإن الإسلام ليس دين العرب فقط بل هو لجميع الخلائق. وبعبارة أخرى: نزل القرآن الكريم باللغة العربية (على نبي عرب ي) متضمنا رسالة عالمية.1 يقول تعالى:ک ک گ گ گ گچ سورة الأنبياء.

إن نزول القرآن باللغة العربية رفع بح ق شأن هذه اللغة فأص بحت لغة عالمية ينتم ي إليها جميع المسلمين بغض النظر عن لغاتهم الأصلية. والحق إن أثر اللغة العربية في لغات الشعوب المسلمة أمر واضح، على اختلاف المناطق الجغرافية لهذه الشعوب، ويتمثل كثيرا في تبني تلك اللغات عبارات ومفردات عربية، ولاسيما في الشؤون الدينية2.

فإنه ليس من المنطق أن يتوقع (من الله) إنزال القرآن الكريم بلغة غير العربية على نبي عربي، أو إنزاله بلغات متعددة – وبالتالى في مجتمعات مختلفة. فإن ذلك ذريعة لتفكك الأمة نتيجة للاختلافات الت ي لا بد أن تحدث في محاولة الفهم و التفسير لصور مختلفة لكتاب واحد كل صورة منها تدع ي الأصالة. ويُثبت هذا ما نعرفه جميعا من ارتباط معان ي الخطاب في كل لغة بحياة أهل تلك اللغة والظروف المحيطة بهم.3

هذا، وقد زود الله تبارك وتعالى الإنسان باستعددات، وقدرات فطرية تمكنه من تعلم كل لغة بما فيها العربية، بل من تعلم لغات كثيرة مختلفة. فالعربية من ثم لا تكون حاجزا أبديا بين الإنسان وبين القرآن الكريم ورسالته، لذلك، تعلم كثير من المسلمين اللغة العربية وسيلة لفهم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما تفرع عنهما من مصادر الشريعة

---

[1]- Abdussalam, A.S.(1999), Islam and Language, Al-Hilal, Kuala Lumpur, p3.

[2]- Abdussalam, A.S.(1999), Islam and Language, p3

[3]- Abdussalam, A.S.(1999), Islam and Language, p4.

ولنا أن نضرب مثلا في ذلك ب"طول اليد"،فهو في العربية عبارة عن الجود، و في هوسا عبارة عن السرقة.

الإسلامية. وتمكنوا من فهم هذه النصوص فهما مساويا لفهم العرب أنفسهم لها، لأن تفسيرها وتأويلها يتم في حدود معينة ثابتة وواضحة لدى الجميع ولا يمكن الخروج عنها.

5.4 تعرب بعض الشعوب المسلمة:

إن تعرب بعض الشعوب المسلمة أمر واقع. لقد أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب والتواصل في بعض المناطق التي لم تكن من قبل عربية. وأوضح مثال لهذا منطقة المغرب العربي التي تجمع بلادا مثل الجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا والمغرب. غيره أنه أمر تم بصورة عادية –على ما تثبته المصادر التاريخية– وليس بسياسة تبنتها الدولة انطلاقا من مبدإ ديني إسلامي،[1] إذ لم تكن للإسلام رؤية لغوية يمكن أن تنطلق منها سياسة لغوية تدعو إلى فرض اللغة العربية على غير العرب من المسلمين. ومن ثم أصبحت الشعوب الإسلامية التي احتفظت على لغاتها أكثر جدا من التي تعربت.

فإن دخول الإسلام في المناطق المتعربة تأخر عنه في كثير من التي احتفظت على لغاتها. ولو أن التعريب سياسة لغوية دينية لتم في هذه قبل تلك. إن بلاد الفرس والهند والترك من أول بلاد العجم إلى الإسلام ولكنها باقية على لغاتها. وذلك على الرغم مما قدمته هذه البلاد وأهلها من إسهامات مشهودة في التاريخ الإسلامي.

لم تشأ قدرة الله أن توحد الناس على لغة واحدة. ولم يرسل الله محمدا ليوحد الناس على العربية، بل أرسله كما أرسل الرسل قبله ليدعو الناس إلى التوحيد ربوبية ألوهية ويهديهم إلى ما فيه الخير والصلاح "لتجتمع قلوبهم ولتتوحد أفكارهم حول هذا المبدأ، لا مبدأ توحيد اللغة والخطوط. ولو أن العالم كله تكلم لغة واحدة لربما فاتته مصالح كثيرة.

---

[1]- Ennaji, Moha, (2005), Multilingualism, Cultural Identity and Education in Morocco, Springer US, Pp. 9-11.

"وقد اقتضت حكمة الله أن يكون الناس على هذا الوصف من تعدد اللغات، والله يعلم أنه لو توحدت قلوبهم على العقيدة الصحيحة لزالت بينهم فوارق اللغة، ولما كان لاختلافهم فيها أي وزن. وتاريخ الصحابة مليء بالأمثلة على ذلك، فقد جمع الله بين سلمان فارسي اللغة وبلال الحبشي اللغة وصهيب الرومي اللغة وجعلهم في درجة واحدة مع فضلاء قريش كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي."[1]

ولقد قامت دول إسلامية في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، ولكنك لم تجد فيها سياسة فرضت اللغة العربية أو غيرها على الشعوب ولو كانت تلك اللغة لغة القادة القائمين على الحكم. ومثال ذلك دولة صكتو حيث ظلت اللغة الفلاتية على ما كانت عليه من الحال قبل الجهاد وبعده رغم كون القادة فلاتة.[2] ومن ثم يدرك المرء أن الدعوة إلى الإسلام ليست دعوة إلى التعريب، مع أن اللغة العربية لا تنفك عن الإسلام ولا يمكن الفصل بينه وبينها.

5.5 تعلم العربية واجب ديني :

إن توقير المسلمين للغةالعربية، ودعوتهم إلى تعلمها، وتشجيع الدول الإسلامية إليه واجب ديني يُهدف به إلى تمكّن المسلمين من التعامل المباشر مع مصادر شريعتهم، فلا يكونون بذلك، في شأن هذا الدين، في الدرجة الثانية مقارنة بإخوانهم العرب. فإذا جهل المسلمون لغة دينهم جهلوا بعد ذلك كل دينهم. [3] ولقد تنبه لهذه الحقيقة المتقدمون، فتعلموا

---

[1]– عواجي، غالب بن علي، (1422هـ/2001م)،فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج1، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ص 690–691.

[2]– إن بعض المؤرخين المشويهين للحقيقة الإسلامية لهذا الجهاد يسمونه جهاد الفلانيين(The Fulani Jihad). ولكنه اليوم أصبحت الغالبية العظمى من آل فودي في بعض ولايات شمال نيجيريا لا يجيدون الفلاتية ولو كان جهادا عرقيا لما حدث هذا.

[3]– المرجع نفسه، ص 692.

العربية وسيلةً لفهم الدين وعمليةً يؤجرون عليها، فأتقنها بعضهم لدرجة أصبحوا بها روادا للعلوم اللغوية العربية.[1] فالدعوة إلى تعلم اللغة العربية لا يعني بحال من الأحوال التهاون أو التساهل بلغات المسلمين الأخرى.

ولعل تمكن رؤية المستعمر الغربي للغة من عقول الناس، والتعوّد على سياسته اللغوية هو السبب في قصور كثير من الناس من فهم طبيعة التعدد اللغوي و فهم رؤية الإسلام له وموقفه تجاه اللغة العربية. فإن المستعمر الغربي يرى للغته فضلا كفضله على الشعوب التي قهرها وتغلب عليها. فإنه لم يتغلب الإنجليز أو غيرهم من الغربيين على أمة إلا فرضوا على تلك الأمة لغتهم. فلما استقر دولة إنجلترا سلب الإنجليز من القوميات اللغوية الأخرى حريتهم اللغوية بمنعهم من ممارسة كثير من النشاطات بلغاتهم. 2 الأمرالذي أدى إلى اقتراب بعضها اليوم من الانقراض.[3]

ثم إن الإسلام ينظر إلى اللغة من الناحية العملية المطلقة مجردة عن العلاقة العنصرية والعرقية. فاللغة من هذا المنظور عبارة عن مجموعة معارف تُمكّن الإنسان من التواصل الخطابي فهما وإفهاما مع أفراد آخرين يمتلكون المعرفة نفسها. وبما أن الإنسان مزود من الباري جل ذكره بالقدرة على تعلم أية لغة بشرية، فإذا تعلم لغة ما فهو من أهلها بغض النظر عن اعتبارات أخرى.[4]

---

[1]- Abdussalam, A. S., Islam and Language, pp. 5-6, 16, 31.

[2]- see: Trudgill, Peter; Sociolinguistics: An introduction to Language and Society, Penguin, Middlesex, pp142-152.

[3]– يقال بأن عددا من اللغات الأقلية في بريطانية متهدد بالانقراض راجع: Peter Trudgill المرجع نفسه والصفحة نفسها.

4- Abdussalam, Ahmad Shehu, Islam and Language, pp 34.

روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا أيها الناس إن الرب رب واحد وإن الأب أب واحد وإن الدين دين واحد ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم إنما هى لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي.[1]

وفي هذا تأكيد لذلك المبدأ الأساس في الإسلام، مبدأ المساواة بين الناس. كما يؤكد بوضوح تساوي العرب مع غيرهم من المسلمين تجاه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وما بني عليهما من مصادر الشريعة الإسلامية. فليس هناك أحد في الدرجة الأولى أو الثانية بحكم العرق أو الجنس أو العنصر. ومن أجل ذلك نبغ جماعات من العجم في العلوم العربية في محاولتهم لفهم النصوص الدينية، فقدموا بذلك نموذجا واقعيا لما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفوا تراثا ينطق بذلك على مر الأيام.

6. الخاتمة:

هذه محاولة للإشارة إلى رؤية الإسلام للتعدد اللغوي. تلك الظاهرة التي تعيشها مجتمعات كثيرة من بينها المجتمع النيجيري. وهي في ذاتها ظاهرة إيجابية غير أنه يكثر سوء استغلالها. وأهم ما حاولت المقالة أن توضحه هو أن اللغات في نظرالإسلام سواء وكلها ذات قيمة لأنها جميعا هبة من الله. وأن اللغة العربية بحكم القرآن والدين تتمتع بمكانة خاصة لدى المسلمين، إذ هي لغتهم عامة وهم فيها متساوون بغض النظر عن العنصر والجنس والعرق. وهذا كله مبني على مبدأ التوحيد.

---

[1]– راجع:"كنز العمال في سنن الأقوال والأفال "، لعلي بن حسام الدين المتقي، باب في القبائل وذكرهم مجتمعة و متفرقة.

العدول في النحو العربي: دراسة تحليلية

(STUDY OF DEVIATION IN ARABIC GRAMMAR)

دكتور إلياس عباس
قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلّو، زاريا

خلاصة:

تناولت هذه الورقة العدول في النحو العربي. والهدف من دراسة الظاهرة بيان أن العدول ظاهرة متداخلة في جميع المجالات اللغوية حتى في النحو العربي. وقد تبين أنه كما يوجد العدول في المادة الصوتية والصرفية والدلالية يوجد كذلك في المادة النحوية. والعدول النحوي يحتاج إلى عناية خاصة من البحث بقدر ما أوله العلماء في المجال الصرفي واللفظي بالرغم من تناولهم لموضوعاته تناولا واسعا في متون مؤلفاتهم النحوية. فالمحدثون رأوا أن العدول في النحو العربي إما عن أصل الوضع أو عن أصل القاعدة. ولبيان ظواهر القضية بيانا مفصلا كانت هذه المقالة التي اكتشفت أن الظاهرة في النحو العربي كثيرة. وكتب النحاة محفوفة بقاضيا الظاهرة أبوابا وفصولا. ولاحظ الباحث أن العدول عن أصل الوضع وأصل القاعدة ظاهرة أصولية مضبوطة ومطردة في النحو العربي ،وتستحق أن يعنى بها وأن تعطى حظا كبيرا من الدراسة.

مقدمة:

العدول من المصطلحات العلمية المتناولة لدى طبقات مختلفة من العلماء المتخصصين في مجالات علمية متنوعة. والعدول في المجال اللغوي، إما صوتيا، كما في الإبدال والمماثلة والمجانسة، أو التقارب في الدراسات الصرفية. والذي يهم الباحث في هذه

المقالة هو العدول النحوي. والهدف من ذلك الإثبات بأن العدول ظاهرة من ظوهر المعاني النحوية.

وتتناول المقالة هذا الموضوع في العناصر التالية:

1) مفهوم العدول في المعاجم اللغوية وعلوم أخرى
2) العدول النحوي
3) العدول عن أصل الوضع في النحو العربي
4) العدول عن أصل القاعدة في النحو العربي
5) الخاتمة

أولا: مفهوم العدول في المعاجم اللغوية وعلوم أخرى:

- **العدول لغة:**

يقول ابن منظور:

عدل عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً حاد وعن الطريق جار وعَدَلَ إليه عُدُولاً رجع وما لَه مَعْدِلٌ ولا مَعْدولٌ أَي مَصْرِفٌ وعَدَلَ الطريقُ مال ويقال أَخَذَ الرجلُ في مَعْدِل الحق ومَعْدِل الباطل أَي في طريقه ومَذْهَبه ويقال انْظُروا إلى سُوء مَعادِله ومذموم مَداخِله أَي إلى سوء مَذَاهِبه ومَسالِكه.[1]

ويرى هلال علي محمود الجحيشي أن"دلالة العدول على الميل متأتيةٌ من معادلة الأحمال، إذ لابُدّ من إمالتها عند تسوية بعضها ببعض، ومن هنا أَشكل على ابن فارس (ت 395 هـ) فجعل للجذر (ع . د . ل) " أصلين صحيحين، لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما يدلّ على استواء والآخر يدلّ على اعوجاج" [2]، وهو في الحقيقة أَصل واحد وهو الميل3".

وبالنظر إلى المعاجم اللغوية المذكورة أعلاه يتبين أن لمادة (ع دل) مصدران: عدل على وزن ضرب وتعب وعدول على وزن جلوس وله بهذين المصدرين معان مختلفة منها حاد وجار ومال ورجع وصرف واعوجّ وترك و نحّى وسوّى.

والذي يهم هذا البحث من هذه المعاني هو حاد وجار ومال وصرف واعوج ونحّى لأنها كلها تدل على الترك والانحراف والتحول والخروج عن الشيء إلى غيره.

– العدول الصوتي والصرفي:

تقدم في المقدمة أن العدول إما صوتيا أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا.

فالعدول الصوتي هو إبدال الصوت بغيره إما مخرجا وصفة أو مخرجا أو صفة. وهذه ظاهرة تناولها علماء الأصوات والصرف من القدامى وعلماء الفونولوجيا من المحدثين، غير أنهم سموها بمصطلحات أخرى. سماها القدامى إقلابا أو إبدالا، كما سماها المحدثون مماثلة أو مجانسة.

وأما العدول في مباحث علماء البلاغة قديما وحديثا فيكون إما في الالتفات أوالانزياح، أوالتلوين أو التلويح، أوالانعطاف، أوالخروج عن مقتضى الظاهر أو المجاز أو الكناية أو التورية، أو المشاكلة مما يعرف بالشكل البلاغي المتضمن الشذوذ اللغوي في البلاغة الحديثة.

ويقول الحمادي: "تحيل مادة (ع د ل) – في كتب النحو والتفسير والبلاغة– على دلالة واحدة هي دلالة الانحراف عن الشيء وتركه والتحول إلى غيره.[4]

ويتحدث الجحيشي عن أبرز التعريفات للفظ العدول عند الدلاليين والأسلوبيين حيث يقول: "ولعل أبرز تعريفات الأسلوبيين وعلماء اللسانيات للعدول القول بأنه : " الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية 5 أي هو الخروج عن المستوى النمطي إلى المستوى الفني، فالمستوى النمطي يمثل النظام أو الأصل اللغوي[6] ، ثُمَّ عُبّر عنه بأنه انحراف عن قاعدة ما

7 ، أو بأنّه انحرافٌ عن المعيار الموجود في اللغة، أو بأنه: "خروج عن القاعدة اللغوية" أو بأنه: "شكل منحرف عن المعيار" [8] . بقي أن يقال: أن هذا الخروج ينبغي أن ينضبط بضوابط معينة، وعلى وفق مسوغات مقبولة، والعدول بتعريف أحد المحدثين: "هو استخدام غير عاديّ للغة بما يُسوِّغ الخروج عن الأصل المعياريّ المتواضع عليه في مستويات اللغة الصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية والإيقاعية؛ لأغراض فنية يقتضيها سياق الخطاب وحال المنشئ والمتلقي[9]".

وأما العدول الصرفي فقد تناوله النحاة القدامى كما تناوله علماء الصرف من المحدثين.

وقد أورد الحمادي كلام ابن جني حيث يقول: " معنى العدل أن تلفظ ببناء وأنت تريد بناء آخر نحو عمر وأنت تريد عامرا وزفر وأنت تريد زافرا من ذلك فعل وهي في الكلام على ضربين فإن كانت الألف واللام تدخلان عليه فليس معدولا وذلك نحو: جرذ وصرد ونغر وثقب وغرف فإن هذا كله مصروف لقولهم الصرد والنغر والثقب والغرف وإن لم تكن اللام تدخله فإنه معدول نحو ثعل وجشم وعمر لاتصرف ذلك معرفة للتعريف والعدل وتصرفه نكرة يدل على أنه معدول أنك لا تقول الجشم ولا الثعل ولا العمر كما تقول الصرد والنغر ومنذ لك مثنى وثلاث ورباع لا تصرف ذلك للوصف وأنه معدول عن اثنين وثلاثة وأربعة"[10].

ويعرف العكبري العدل بأنه "إقامة بناء مقام بناء آخر. فالمعدول عنه أصل للمعدول[11]". ويرى ابن هشام أن العدل هو: "تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي"[12]. ويعرف الخضري بأن العدل هو "تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي بغير قلب أو تخفيف أو بإلحاق أو معنى زائد"[13].

ويسرد كلام ابن السراج حيث يفصّل مفهوم العدل بقوله: "ومعنى العدل أن يشتق من الاسم النكرة الشائع اسم ويغيّر بناؤه، إما لإزالة معنى إلى معنى، وإما لأن يسمى به، وأما الذي عدل لإزالة معنى إلى معنى فمثنى وثلاث ورباع وأحاد، فهذا عدل لفظه ومعناه،

عدل عن معنى اثنين إلى معنى اثنين اثنين، وعدل عن لفظ اثنين إلى مثنى... فأما ما عدل في حال التعريف، فنحو عمر وزفر وقثم. عدلن عن عامر وزافر وقاثم"[14].

ثانيا: العدول النحوي:

لقد سبق في بيان مفهوم العدل والعدول لغة أن المعاجم اللغوية لا تفرق بين اللفظين من ناحية المعنى، بقي أن يُذكر أن الجحيشي يقول بأن بعض الباحثين من المحدثين يرى أن المادتين في المنظور النحوي مختلفتان من وجهين. فالأول أن العدل يختص بمنع الصرف سواء كان في المعارف كما في عمر وزفر، أم في النكرات كما في مثنى وثلاث. والعدول يشمل ذلك وغيره كتليين الهمزة من تحقيقها وتقديم بعض حروف الكلمة من تأخير كما في القلب المكاني. والثاني: أن العدل يختص بالمفردات، كما في عمر، والثاني يختص بالمفردات والكلام معا، كخروج الكلام من الخبر إلى الإنشاء[15].

ولما كان العدول الذي تتناوله هذه الورقة يختص بالكلام وهو التراكيب العربية التي يتناولها النحو، ولا يختص بالمفردات اللغوية، كان البحث تحت نطاق العدول لا العدل. ولذا منذ الآن لا تستورد كلمة العدل فيما يلي من سائر عناصر هذا العمل.

وقد تبين لكاتب هذه المقالة أن العدول الذي تناوله القدامى في النطاق النحوي وسموه بالعدول إنما هو عدول صرفي بخت، إذ يختص بدراسة المفردات الكلامية ليس إلا، وأما العدول النحوي الذي تتناوله هذه الورقة فهو يعالج التراكيب الكلامية النحوية لا غير. وقد تناوله القدامى غير أنهم لم يشيروا إليه بالعدول كما أحالوا إلى المفردات على منواله. ولذا تدرس هذه المقالة القضية على ضوء إنتاجاتهم.

وقد ثبت باستقراء المحدثين أمثال تمام حسان وغيره أن العدول يجري في النحو على أصل الوضع والقياس. ويقول هلال علي محمود: " وقد أشار اللغويّون القدماء إلى ظاهرة العدول الصرفي في مباحثهم عن الصيغ الصرفية، مُعَبّرين عنها بمصطلحات

مختلفة، ومن دون تفريق بين العدول عن أصل، أو العدول عن قياس، إلاّ أنّه من الاستقراء تبيّن أنَّهما نوعان محددان وإن لم يُشَر إليهما"[16].

وعلى هذا يتحقق مصطلح العدول في المستوى النحوي على وجهين:

أولهما: العدول عن أصل الوضع ، ويتحقق ذلك في المعاني النحوية والوضع الإعرابي،كالعدول عن أصل وضع آخر الاسم وأصل وضع آخر الفعل وأصل بعض الصطلحات النحوية كأصل المبتدأ المعرفي وأصل الخبر التنكيري وجريان الاسم مجرى الفعل في الدلالة على الزمن–كما سيذكر لاحقاً إن شاء الله.

وثانيهما: العدول عن القياس،ويتحقق هذا النوع من العدول عن القاعدة المطّردَة، ويكونذلك في قاعدة الإعراب أو الذكر أو الحذف وأصل المبتدأ والخبر والفعل والفاعل من حيث التقديم والتأخير كما سيذكر لاحقاً إن شاء الله.

والعدول في أي وجه من هذين الوجهين يحال إليه إما بالجواز أو الضرورة أو الندرة أو القلة.

ثالثا: العدول عن أصل الوضع في النحو العربي:

يقول الجحيشي نقلا عن الآخرين: " والأصلُ والقياسُ فكرتان متداخلتان؛ إذ لا يمكن معرفة الأقيسة من دون معرفة الأُصول ،إذ القياس: حَمْل فرعٍ على أصل بعلّة،وإجراء حكم الأصل على الفرع فلا قياس من غير معرفة الأَصل الذي هو: المعنى الأول الذي تؤول إليه كل صورة، وهو الحكم الذي يستحقه الشيء بذاته. فبمعرفة الأَصل في كل شيء يمكن عند ذلك تبيُّن الفرع، وتبيّن القياس، ثم من خلال تبيّن القياس بناءً على الاطّراد والكثرة، يتبيّن ما هو خلاف القياس"[17].

والعدول عن الأصل لا يتحقق إلا بعد البحث عن الأصل فإن البحث يبدأ لأول وهلة بالنظر في أصل القضية فإن كانت على أصل وضعها فهي أصل أو المعدل عنه، وهذا ما يمتثل في قاعدتهم الأصولية 18: أنَّما جاء على أصله لايُسأل عن عِلَّتِه، وأنَّماجاء

على غيرأصله يُسأل عن علَّة مجيئه على غيرالأصل، وإن كانت فرعية مغايرة عن أصلها فهي معدولة وهي التي يسأل عن علتها، والعدول عن الأصل إما أن يكون في الإعراب أو في الترتيب كما يلي:

– **العدول في الإعراب:** من نماذج العدول في الإعراب ما يلي:

إعراب الاسم بناء الاسم:

قال ابن مالك:

وَالاسْم مُنْهُ مُعْرَب وَمَبْنِى لِشَبَهٍ مِن الْحُرُوف مُدْنِي
كَالشَّبَهِ الوَضْعِيَّ فى اسْمَىْ جِئْتَنَا وَالْمَعْنَوِيّ فى مَتَى وفى هُنَا
وَكَنِيَابَةٍ عَنِ الْفِعْل بِلاَ تَأَثُّرٍ وَكَافْتِقَارٍ أُصِّلاَ

الأصل في الاسم الإعراب ولذا لا يبحث عن علة إعرابه فلما خرج الاسم عن أصله، سئل عن علة بنائه فذكر لنا ابن مالك أن علة بنائه هو شبهه بالحرف وكان الحرف مبنيا أصلا بدون عدول.

ثم ذكر ابن مالك هذه أوجه الشبه الأربعة: الأول شبه الحرف في الوضع نحو ت من ضربتو"نا" من ذهبنا، لأن الحرف في الأصل موضوع على حرف أو حرفين، نحو: ب، لـ، لم، لن، كي. والثاني شبهه لحرف موجود وغير موجود في المعنى . أما غير الموجود الذي ينبغي أن يوضع له حرف موجود كما وضع للنفي "لا" و"لم" وللنهي "لا" وللتمني "ليت" وللترجي "لعل" ولكن لم يوضع فنحو اسم الإشارة كأولاء. وأما الموجود فنحو اسم الاستفهام كـ"من" المشبه لحرف موجود وهي الهمزة، واسم الشرط نحو "ما" المشبه لحرف موجود وهو "إن".

والثالث شبه الحرف في نيابة عن الفعل بلا تأثر، كاسم الفعل نحو آمين فإنه شبيه بالحرف في أنه ينوب عن فعل الأمر وهو استجب، يعمل فيما بعده ولا يعمل فيه غيره، كما

أن الحرف كذلك. والرابع شبهه بالحرف في الافتقار كالأسماء الموصولة، فإنها تفتقر إلى الصلة كما تفتقر الحروف إلى غيرها في أداء معانيها. وهذه العلل التي ذكرها ليس مجمع عليها. فقد قال بعضهم أنّ السَّبب مُتعدد، وذلك على النحوالآتي:

1- مشابهة الاسم في المعنى للفعل المبني، كاسم فعل الأمر، واسم الفعل الماضي، نحو: نَزالِ، وهيهات، فهما مبنيان؛ لأنهما أشبها في المعنى الفعلين" اِنْزِلْ، وبَعُدَ"، ورُدَّ على هذا السبب بأنه لو كان صحيحا لَلَزِم بناء المصدر النائب عن فعله، كصبرًا، وضربًا؛ لأنهما بمعنى الأمر (اصبْر، واضربْ) ولَلَزِمَ كذلك إعراب اسم الفعل المضارع، نحو: أفّ، وآهِ؛ لأنهما بمعنى المضارع المعرب أتضجَّر، وأتوجَّع.

2- عدم التركيب؛ وبناء على هذا السبب تكون الأسماء قبل تركيبها في الجمل مبنيّة، وهذا رأي غير سديد؛ لأن كلا تستطيع الحكم على كلمة ما، أمبنية هي أم معربة؟ إلا بعد تركيبها في جملة، فمثلاً كلمة (محمد) أمعربة هي أم مبنية؟ لا يجوزالحكم عليها إلا بعد تركيبها في جملة، فإذا قلت: جاء محمدٌ، ورأيت محمدًا، فهي معربة؛ لتغيّر آخرها بسبب العوامل، وهذا هو الإعراب. وإذا قلت: يا محمدُ، فهي مبنية؛ للزوم آخرها الضم، وهذا هو البناء.

3- أن يجتمع في الاسم ثلاث علل من موانع الصرف، نحو: الأعلام المؤنثة التي على وزن فَعَالِ، كحَذَامِ، وفَطَامِ، قالوا هذه الأسماء مبنية لاجتماع ثلاث علل مانعة من الصرف هي: العلمية، والتأنيث، والعَدْل، فهي معدولة عن حَاذِمة، وفاطِمة. ويَرُدُّ هذا الادِّعَاءَ اجتماعُ خمسِ عِلَلٍ من موانع الصرف في اسم واحد ومع ذلك هو معرب، نحو (آذربيجان) فإن فيه العلمية، والتأنيث، والعجمة، والتركيب، وزيادة الألف والنون.

وهذا الذي ذكره ابن مالك ليس مجمع عليه لأن الأقوال ثلاثة كالتالي:

1 - مذهب البصريين: أن الإعراب أصل في الأسماء، وفرع في الأفعال، فالأصل في الفعل عندهم البناء.

2 - مذهب الكوفيين: أن الإعراب أصل في الأسماء، وفي الأفعال.

3 – مذهب بعض النحويين: أن الإعراب أصل في الأفعال، وفرع في الأسماء. وهذا المذهب الأخير نقله ضياء الدين بن العِلْج في البسيط.

ولكننا تمسكنا في المقالة بمذهب البصريين وهو الأرجح وأصح.

– بناء الفعل: إعراب الفعل:

والأصل في الأفعال البناء ولذا لا يسأل عن علة بنائها، ولا يعرب منها فعل إلا على طريقة العدول. وهو معرب لشبهه بالحرف من وجهين: وجه اللفظ ووجه المعنى. أما وجه اللفظ، فهو يشبه اسم الفاعل لفظاً في الحركات، والسَّكَنات، وعدد الحروف، وتعيين الحروف الزائدة، والحروف الأصلية . وتأمل ذلك في الفعل (يَضْرِب) واسم الفاعل (ضَارِب) والفعل (يُقَاتِل) واسم الفاعل (مُقَاتِل) تجد المشابهة اللفظية واضحة جَلِيَّة.

وأما وجه المعنى فله سبيلان: الأول شبهه اسم الفاعل في المعنى؛ لأن كل واحد منهما صالح للحاضر والمستقبل.

الثاني إعراب الفعل المضارع عند البصريين أنه أشبه الاسم في أن كل واحد منهما يتوارد عليه معان تركيبية لا يتضح التمييز بينها إلا بالاعراب، فأما المعاني التي تتوارد على الاسم فمثل الفاعلية والمفعولية والاضافة في نحو قولك: ما أحسن زيد، فإنك لو رفعت زيدا لكان فاعلا وصار المراد نفى إحسانه، ولو نصبته لكان مفعولا به وصار المراد التعجب من حسنه، ولو جررته لكان مضافا إليه، وصار المراد الاستفهام عن أحسن أجزائه، وأما المعاني التي تتوارد على الفعل فمثل النهي عن الفعلين جميعا أو عن الاول منهما وحده أو عن فعلهما متصاحبين في نحو قولك: لا تعن بالجفاء وتمدح عمرا، فإنك لو جزمت " تمدح " لكنت منهيا عنه استقلالا، وصار المراد أنه لا يجوز لك أن تعن بالجفاء ولا أن تمدح عمرا، ولو رفعت " تمدح " لكان مستأنفا غير داخل في حكم النهي، وصار المراد أنك منهى عن الجفاء مأذون لك في مدح عمرو، ولو نصبته لكان معمولا لان المصدرية وصار المراد أنك منهى عن الجمع بين الجفاء ومدح عمرو، وأنك لو فعلت أيهما منفردا جاز.

- البناء على السكون - البناء على غير السكون:

الأصل في البناء أن يكون على السكون، ولذا يقع في الاسم نحو من وما الاستفهامين والشرطيين والموصولين، وفي الفعل نحو يضربْن والحرف نحو: لم ولن ولا. ويبنى على غير السكون عدولا عن الأصل كبناء الماضي على الفتح في نحو ضرب، وبناء الأمر على الضم في اذهبوا، وبناء ضمير المخاطبة متصلا أو منفصلا على الكسر في نحو أنتِ وضربتِ.

- بناء الماضي على الفتح - بناؤه على غير الفتح:

الأصل في الماضي أن يكون مبنيا على الفتح نحو ذهب، ويعدل عن الأصل فيبنى على الضم نحو ذهبوا وعلى السكون نحو ذهبْن.

- بناء الأمر على السكون - بناؤه على غير السكون:

الأصل في الأمر أن يكون مبنيا على السكون نحو قمْ, ويعدل عن الأصل فيبنى على الفتح نحو اذهبَنَّ وعلى الضم نحو اذهبُنَّ.

- الإعراب بالحركات - بالحروف والحذف

الأصل في الإعراب أن يكون بالحركات، بالضم رفعا، وبالفتح نصبا، وبالكسر جرا، وبالسكون جزما، نحو جاء ولدٌ، ورأيت ولدًا، ومررت بولدٍ، ولم يذهبْ. وأما الإعراب بالحروف كما في الأسماء الخمسة أو الستة نحو جاء أبوه، رأيت أباه، ومررت بأبيه؛ بالواو رفعا وبالألف نصبا وبالياء جرا فمعدولة عن الأصل. وكذلك الإعراب بالحذف، كحذف النون نصبا وجزما في الأفعال الخمسة، نحو يذهبون، ويريدون أن يذهبوا، ولم يذهبوا. بثبوت النون رفعا وبحذفها نصبا وجزما.

-اتصال نون الوقاية - عدم اتصالها:

الأصل في الأسماء المعربة عدم اتصالها بنون الوقاية إذا كانت مضافة إلى ياء المتكلم، نحو ضاربي، كتابي وقد ألحقت نون الوقاية عدولا باسم الفاعل المضاف إلى ياء المتكلم في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فهل أنتم صادقوني " وفي قول الشاعر:

وليس الموافيني ليرفد خائبا فإن له أضعاف ما كان أملا

وفي قول الآخر:

ألا فتى من بني ذبيان يحملنيوليس حاملني إلا ابن حمال

وفي قول الآخر:

وليس بمعييني وفي الناس ممتعصديق إذا أعيا علي صديق

كما لحقت أفعل التفضيل في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " غير الدجال أخوفني عليكم " لمشابهة أفعل التفضيل لفعل التعجيب.

تعريف المبتدأ – تنكير المبتدأ:

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة نحو: "العلم نور" . ويجوز تنكيره إن أفاد نحو: عندي قلم.

– دلالة الاسم على الحدث – دلالته على الحدث والزمن

الأصل في الاسم أن يدل على الحدث المجرد عن الزمن، نحو: رجل، ولد، لعب، قول. وذلك لأن الدلالة على الحدث والزمن من خصوصيات الأفعال. ولكن الاسم يدل في بعض استعمالاته على الحدث والزمن على طريق التوسع كما في المصادر العاملة وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبة والتفضيل. نحو عجبت من ضرب زيد عمرا، وهل عمرو قادم الآن، وهذا الرجل مضروب ولدُه، والسيارة جميل داخلُها، وزيد أفضل من عمرو.

– انتقال الحال للمتصف بها – لزومها للمتصف بها

الأصل في الحال أن تكون منتقلة غير لازمة للمتصف بها، نحو: جاء الرجل ضاحكا، فصفة الضحك منتقلة غير لازمة للرجل، إذ تجده أحيانا غير ضاحك أو باكيا أو غير ذلك. وقد ترد لازمة للمتصف بها، نحو: دعوت الله سميعا. (شرح ابن عقيل).

- الاشتقاق في الحال والنعت – الجمود فيهما:

الأصل في الحال والنعت أن يكونا مشتقين، نحو: جاء رجل راكبا (في النعت)، وجاء الرجل راكبا (في الحال). ويردان بجامدين ما يقبل التأويل غالبا، نحو: بعته مدا قمحا يدا بيد أي مناجزة, وكرّ زيد أسدا, أي كالأسد (في الحال). وجاء زيد العدل، أي العادل (في النعت).

4) العدول عن أصل القاعدة في النحو العربي:

ومن أمثلة العدول عن القاعدة مخالفة قاعدة ترتيبالمباني النحوية كالفاعل والمفعول والحال كما في النماذج الآتية:

- اتصال الفاعل بالفعل – انفصاله عن الفعل

الأصل في الفاعل أن يكون متصلا بالفعل واقعا بعده مباشرة، نحو: ضرب زيد عمروا. وقد يرد منفصلا عن الفعل، كانفصاله عنه المفعول في نحو: ضرب عمرا زيد، أو بشبه جملة، نحو: دخل في الدار زيد، و وقف فوق الغصن طائر.

- تقديم المبتدأ – تقديم الخبر

الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر وذلك لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير كالوصف. وتختلف اللغة العربية عن الانجليزية في هذا الصدد. إذ الأصل في الإنجليزية تقديم الوصف على الموصوف في نحو: (situation It is a difficult). ويجوز العدول عن الأصل بتقديم الخبر في العربية إذ المي حصل بذلك التباس أو نحوه، نحو: "جالس عبد الله"، و"وجالس أخوه عبد الله"، و"أبوه جالس عبد الله"، و" في الدار عبد الله"، و"عندك عبد الله". ولا يجوز ذلك إذا وقع لبس، كما إذا لم يستبن المبتدأ عن الخبر إلا عن

طريق إيجاب تقديم المبتدأ على الخبر اعتبارا للأصل، وذلك كما إذا استوى المبتدأ عرفا ونكرا، نحو: "الله ربي"، و"ذاكر درسه ناجح". وفي ذلك يقول ابن مالك شرحابنعقيل – (1 / 227):

الأصل في الأخبارأن تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لاضررا
فامنعه حين يستوي الجزآن عرفا ونكرا عادمي بيان

– تقدم الحال على عاملها – عدم تقدمها

الأصل في الحال أن تتأخر عن عاملها نحو: جاء الولد ضاحكا. ويجوز العدول عن الأصل فتتقدم عليه، بشرط أن يكون العامل فعلا متصرفا أو شبه فعل متصرف نحو: ضاحكا جاء الولد، وهل مسرعا أم بطيئا زيد آتٍ؟

ومن العدول عن أصل القاعدة مخالفة القاعدة الإعرابية كما في الأمثلة الآتية:

أ – الحمل على الجر بالمجاورة:

"أثبت الجمهور من البصريين والكوفيين الجر بالمجاورة للمجرور في نعت كقولهم هذا جحر ضبخرب. وتوكيد كقولهم: (يا صَاحِب لِّغذوي الزَّوجا تكُلِّهِمُ **) بجر كلهم على المجاورة لأنه توكيد لذوي المنصوب لا للزوجات وإلا لقال كلهن. زاد قوم وعطف نسق كقوله تعالى: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ) [المائدة: 6] فإنه معطوف على وأيديكم لأنه موصول قال أبوحيان وذلك ضعيف جدا ولميحفظ من كلامهم قال والفرق بينه وبين النعت والتوكيد أنهما تابعان بلا واسطة فهما أشد مجاورة من العطف المفصول بحرف العطفو أجيب عن الآية بأن العطف فيها على المجرور الممسوح إشارة إلى مسح الخفو زادا بن هشام في شرح الشذور وعطف بيان وقال لا يمتنع في القياس جره على الجوار لأنه كالنعت والتوكيد في مجاورة المتبوع أما البدل فقال أبوحيان لا يحفظ من كلامهم ولا خرج عليه أحد شيئا قالو سببه أنه معمول لعامل آخر غيرالعامل الأول على الأصح ولذلك يجوز إظهاره إذا كان

حرف جر بإجماع فبعدت مراعاة المجاورة ونزل منزلة جملة أخرى وكذا قال ابن هشام وأنكره أي الجر بالمجاورة مطلقا السيرافي وابن جني وقالا لأول الأصل هذا جحر ضبخر بالجحر منه كمررت برجل حسن الوجه منه ثم حذف الضمير للعلم به ثم أضمر الجحر فصار خرب وقال الثاني أصله خرب جحره نحو حسن وجهه ثم نقل الضمير فصار خرب الجحر ثم حذف ورد بأن إبراز الضمير حينئذ واجب للإلباس وبأن معمول هذه الصفة لضعفها لا يتصرف فيه بالحذف وقصره الفراء على السماع ومنع القياس على ما جاء منه فلا يجوز هذه جحرة ضبخربة بالجر وخصه قوم بالنكرة كالمثال ورد بما حكاه أبو مروان كانوا للهمن رجال العرب المعروف له بذلك، وخصه الخليل بغير المثني أي بالمفرد والجمع فقط قيل (و) بغير (الجمع) أيضا بالمفرد فقط لايجوز عليهما هذا نجحر ضبخر بينولا على الثاني هذه جحرة ضبخربة والجواز في المثنى معزو إلى سبيويه قال أبوحيان وقياسه الجواز في الجمع والمانع قال لميرد إلا في الإفراد وهو قريب من رأي الفراء". همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – (2 / 535– 537).

ب الحمل على الموضع وعلى اللفظ وعلى المعنى:

ومن أمثلة العدول عن أصل قاعدة الإعراب الحمل على الموضع نحو: أريد أن أذهب، فجملة أن أذهب في محل نصب مفعول به حملا على موضع أن والفعل والفاعل. ومن أمثلة الحمل على المعنى: لا تأكل اللحم وتشرب اللبن. فلفظ تشرب منصوب حملا على معنى أن، ومن أمثلة الحمل على اللفظ جئت لأتعلم. فلظ أتعلم منصوب حملا على موضع أن المحذوفة بعد لام التعليل، وذلك لأن اللام – عند الجمهور– لا تنصب.

الخاتمة:

وفي الختام يرى الباحث أن العدول من أهم الظواهر التي ينبغي أن يهتم بها كل من يقوم بالدراسة النحوية. فالاهتمام بأصل الوضع وأصل القاعدة في النحو العربي له من الأهمية ما للقواعد النحوية نفسها. وجميع القواعد اللغوية: أصواتها وصرفياتها ونحوها ودلالاتها لا تخلو من هذه الظاهرة. فكما يدرس الباحث هذه القواعد يدرس في الوقت نفسه أصول أوضاع هذه القواعد وعدول هذه الأوضاع مما فيها العدول عن أصل الوضع النحوي وأصل القاعدة النحوية. ولاحظ الباحث أن العدول عن أصل ظاهرة أصولية مضبوطة ومطردة في النحو العربي،وتستحق أن يعنى بها وأن تعطى حظا كبيرا من الدراسة.

الهوامش:

1. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (دون تاريخ): لسان العرب، ج 11 بيروت– دار صادر، المكتبة الشاملة الالكترونية.الأصدار 3 ص: 430
2. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا 1399 (هـ - 1979م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر 4 / 246 .
3. هلال علي محمود الجحيشي (2002): العدول الصرفي في القرآن الكريم . دراسة دلالية:بحث الدكتوراه المقدم لكلية الآداب جامعة موصل، ص: 6
4. جلال عبد الله محمد سيف الحمادي(2007): العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية بحث مقدم لنيل درجة الماجستير إلى جامعة تعز، جمهورية يمن ص 17.
5. هلال علي محمود الجحيشي (2002):, نقلا عن محمد عبد المطلب , دكتور: البلاغة والأسلوبية ،: ص 7، 248 .
6. هلال علي محمود الجحيشي (2002):, نقلا عن عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي, دكتور: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ،: ص 141.

7. هلال علي محمود الجحيشي (2002): نقلا عن د . صلاح فضل : علم الأسلوب: ص 179.
8. هلال علي محمود الجحيشي (2002): نقلا عن برند شبلنر:علم اللغة ، ص 61 .
9. هلال علي محمود الجحيشي (2002) ، المرجع السابق، ص 24-27
10. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي (1972): الخصائص تحقيق: فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية، ص: 155-156
11. جلال عبد الله محمد سيف الحمادي(2007) المرجع الساق، ص18
12. جلال عبد الله محمد سيف الحمادي(2007): المرجع نفسه، ص 18
13. جلال عبد الله محمد سيف الحمادي(2007): المرجع نفسه، ص 18
14. جلال عبد الله محمد سيف الحمادي(2007): المرجع نفسه، ص 17
15. هلال علي محمود الجحيشي (2002) ، المرجع السابق، ص 19
16. هلال علي محمود الجحيشي (2002) ، المرجع نفسه، ص 8
17. هلال علي محمود الجحيشي (2002) ، المرجع السابق، ص 15
18. حسين بن أحمد بن عبد الله آل علي (بدون تاريخ): شرح ألفية ابن مالك المكتبة الشاملة الإلكترونية، بدون مط بعة، ج1، ص 11.

المراجع:

إبراهيم مصطفى وآخرون (دون تاريخ): المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، ج 2، المكتبة الشاملة الإلكترونية،

جلال عبد الله محمد سيف الحمادي(2007): العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية بحث مقدم لنيل درجة الماجستير إلى جامعة تعز، جمهورية يمنحسين بن

أحمد بن عبد الله آل علي (بدون تاريخ): شرح ألفية ابن مالك المكتبة الشاملة الإلكترونية، بدون مطبعة،

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(1399 هـ - 1979م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر.

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي (1972): الخصائص تحقيق: فائز فارس، الكويت، دار الكتب الثقافية،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (دون تاريخ): لسان العرب، ج11 بيروت- دار صادر، المكتبة الشاملة الالكترونية، الاصدار الثالث

هلال علي محمود الجحيشي (2002): العدول الصرفي في القرآن الكريم . دراسة دلالية:بحث الدكتوراه المقدم لكلية الآداب جامعة موصل.

المماثلةالصوتية في اللغة العربية: مظاهرها وقوانينها عند القدماء والمحدثين

د\يهوذا سليمان إمام
قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا

المدخل:

تعد ظاهرة المماثلة من الظواهر اللغوية البارزة في الكلام العربي، وتقوم على نظام من الأحكام المحدودة ويندرج تحتها ما لا ينحصرمن المظاهر اللغوية التي فزع إليها العربي في كلامه ؛ من أجل نظم الكلام وسياقه، و إن خالف الوضع اللغوي.وحاول هذا البحث أن يحدد صورة لهذه الظاهرة في اللغة العربية، وقد سلك لهذه الغاية سبلا متعددة تمثلت في معالجة هذه الظاهرة على المستوى الصوتي واستطاع البحث أن يفسر كثيرا من المظاهر اللغوية فيها.

– المماثلة الصوتية :

إن الأصوات المتجاورة تؤثر وتميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعا إلى الانسجام الصوتي واقتصادا في الجهد الذي يبذله المتكلم 1.فإذا التقى صوتان في الكلام من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب ، وحاول كل منهما جذب صاحبه الحركات. 2وقد أثر المحدثون أن يقسموا المماثلة على ضربين:

---

1. ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب : 22، وفي البحث الصوتي عند العرب(المخطوط) ، د. خليل إبراهيم العطية : 52
2. ينظر : المرجع نفسه والصفحة نفسها.

الأول: المقبل أو التأثر التقدمي يعني تأثر الصوت الثاني بالأول.

والآخر: المدبر أو التأثر الرجعي يعني تأثر الصوت الأول بالثاني.

لقد عرف الدرس الصوتي عند العرب المماثلة الصوتية، وسميت فيها مسميات فاتخذت اسمي المضارعة والتقريب عند سيبويه، إذ عالجها في باب الحرف الذي يضارع به حرفا من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، فقال: ((فأما الذي يضارع به الحرف من مخرجه، فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو: تصدر، واصّدّر، والتصدير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في افتعل، فلم تدغم الصاد في التاء ولم تدغم الدال فيها، ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطبر،وهي من نفس الحرف فلما كانتا من نفس الحرف،أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت،فجعلوا الأول تابعا للآخر فضارعوا به أشبه الحروف من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق))[1].

وذكرأيضا: ((وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلوا ذاهبا قي الإدغام، وذلك قولك في التصدير: التزدير، في الفصد: الفزد، وفي أصدرت: ازدرت؛ وإنما دعاهم أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد)) [2]

ويتضح من هذين النصين أن سيبويه استعمل مصطلح المضارعة والتقريب بدلا من المماثلة الصوتية للدلالة على تأثر الأصوات بعضها ببعض وإبدال بعضها من بعض.

---

[1] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[2] كتاب سيبويه : 4/477- 478.

أما ابن جني فقد عالج هذه الظاهرة تحت ما يسمى بالإدغام الأصغر، وهو عنده ((تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك، وهو ضروب مختلفة)) 1، وذكر أمثلة توضح هذا: ((فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو: عالم، وكتاب، وسعى، وقضى، واستقصى ؛ ألا تراك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه،بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء....، ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا،أو ضادا،أو طاء،أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو: اصطبر، واضطرب، واطرد،واظطلم فهذا تقريب من غير إدغام...،ومن ذلك السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا على ما هو مبين في موضعه من باب الإدغام، وذلك قولهم : في سقت :صقت،وفي السوق، الصوق، وفي سبقت: صبقت، وفي سملق وسوبق :صملق وصوبق...،ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو : شعير، وبعير، ورغيف.))2.

ويتضح مما ذكره ابن جني في الأمثلة السابقة أن المماثلة الصوتية تعني تقريب الصوت من الصوت من أجل تحقيق التوافق والانسجام الصوتي.

وأطلق الرضي الاستراباذي (ت 686هـ) على المماثلة الصوتية اسم المناسبة 27ويعني بها تحقيق الانسجام والتقارب الصوتي.

ويتبين من ذلك أن علماء العربية القدماء قد أشاروا إلى المماثلة وضربوا لنا أمثلة عليها إلا أنهم لم يفصلوا القول ولم يجعلوا لها بابا مستقلا مثلما فعل علماء اللغة المحدثون.

لقد تحدث علماء العربية المحدثون عن المماثلة الصوتية، وجعلوها درجات ومن درجاتها:

1 – الجهر والهمس:

---

[1] المصدر نفسه : 478/4.

[2] لخصائص : 143/2.

وضح علماء العربية القدماء مظاهر هذه الدرجة من المماثلة عند معالجتهم صيغة (افتعل) من الأفعال المبدوءة بصوت الزاي، نحو :زان، زار، زجر التي تصبح : ازتان، ازتار، ازتجر ثم تتحول عن طريق المماثلة: ازدان، ازدار، ازدجر، وقد عالج ابن عصفور (ت 669هـ) هذه الصيغة بقوله إن : ((السبب في ذلك أن الزاي مجهورة والتاء مهموسة، والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء فقربوا احد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما. فأبدلوا الدال من التاء لأنها أخت التاء في المخرج والشدة، وأخت الزاي في الجهر))[1].

وذكر د. خليل إبراهيم العطية أن هذا فهم واع لهذا الضرب من التماثل فعندما تجاور الصوتان التاء والزاي تجاورا تاما فان الصوتين تجاذبا النزاع، ومالا إلى توفير نوع من الانسجام بينهما، حيث تأثرت التاء المهموسة بالزاي المجهورة فجهر بها فتحولت التاء دالا ؛ لأن كلا الصوتين التاء والدال من مخرج واحد هو الأصوات الأسنانية اللثوية، وأضحى كل من الدال والزاي مقاربا في صفة الجهر. [2] ومن ذلك يتضح أن هذا من التماثل المقبل أو التقدمي أي تأثر الصوت الثاني (التاء) بالأول (الزاي).

2– الشدة والرخاوة:

بين علماء العربية القدماء هذه الدرجة في معالجتهم للفظة (ست) التي أصلها (سدس) فلما تحولت السين في (سدس) إلى التاء صارت (سدت) ثم فني صوت السين الرخو عند مجاورة الدال وهو صوت شديد وقلب إلى نظيره الشديد وهو التاء، إذ أوضح ابن جني في معالجته لها بقوله: ((ومن ذلك قولهم: ست أصلها سدس، فقربوا السين من الدال بأن قلبوها

---

[1] المصدر نفسه : 2/143-145.

[2] شرح الشافية، للرضي الاستراباذي : 3/4.

تاء فصارت سدت فهذا تقريب إدغام ثم إنهم فيما بعد أبدلوا الدال تاء لقربها منها ؛ إرادة لإدغام الآن فقالوا : ست)).[1]

إن هذا النوع من التماثل مدبر او رجوعي أي تأثر الصوت الأول بالثاني.

3 – الإطباق والانفتاح:

ومن معالجات العرب في هذه الدرجة: الأفعال المبدوءة بأحد أصوات الإطباق المنقولة إلى صيغة (افتعل) وتتحول التاء فيها وهو صوت منفتح إلى نظيره الطاء (المطبق) تحت تأثير مجاورته لأحد الأصوات المطبقة، نحو : صبر، وضرب، وطلب، وظلم التي تتحول إلى : اصتبر، واضترب،واطتلب، واظتلم ثم تصبح بالمماثلة الصوتية : اصطبر،واضطرب، واطلب، و اظلم2.

ويتبين أن هذا النوع من التماثل مقبل لتأثر الصوت الثاني بالأول.

4 – انتقال مجرى الصوت :

ويكون على نوعين: الأول: يحدث عن طريق تحول صوت أنفي كالنون إلى نظيره الأنفي الميم، والآخر: يحدث عن طريق تحول أحد أصوات الفم تحت وطأة التماثل إلى صوت أنفي وقد عرف البحث الصوتي عند العرب هذه الدرجة , فمن النوع الأول: ما سماه سيبويه الإدغام في الميم، في نحو قولهم : اصحمطرا، يربد: اصحب مطرا، وعلل سيبويه هذا بقوله : ((إنما ذلك لاستعانة الميم بصوت الخياشيم، فضارعت النون، ولو أمسكت بأنفك لرأيتها بمنزلة ما قبلها))3.

---

[1] الممتع في التصريف، لابن عصفور : 365/1.

[2] في البحث الصوتي عند العرب (المخطوط) : 54.

[3] الخصائص : 145/2

ومن النوع الآخر: نحو قولهم: ممبك، يريدون: من بك، وشمباء وعمبر يريدون : شنباء، وعنبر، فقال سيبويه: ((ولم يجعلوا النون باء لبعدها في المخرج وأنها ليست فيها غنة، ولكنهم أبدلوا مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم)).1

5 – الانسجام الصوتي:

فإنها تمثل ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين هذه الحركات لئلا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح.2

وقد عرفها المحدثون بقولهم: ((إنها ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة، والمقاطع المتجاورة؛ نزوعا إلى التوافق الحركي واقتصادا في الجهد المبذول)).3

إن اللغة العربية من اللغات التي عرفت الانسجام الصوتي نتيجة اعتماد العربي على السمع وحده؛ لذلك لجا إلى ربط الألفاظ في ما اتصل منها في كلامه ربطا وثيقا أدى إلى ظهور تلك الحركات التي وصلت بين الكلمات وسميت في ما بعد بحركات الإعراب، و إن أمر اللغة متى اقتصر على السمع والإنشاد فلابد لها أن تعنى بالانسجام الصوتي ؛ لأنه نوع من المماثلة الحركية، أو التقريب الصوتي، لذا كان من وكد الدرس الصوتي عند العرب دراسة الكثير من المباحث التي تدخل فـي ضمن هذه الحالة كالإتباع الحركي والإمالة والإدغام وغيرها.4

– الإتباع الحركي:

---

[1] المصدر نفسه : 143/2.

[2] كتاب سيبويه : 4/ 461.

[3] المصدر نفسه: 453/4.

[4] في اللهجات العربية، د. إبراهيم انبس: 96.

على الرغم من أنّ الأصوات الصائتة تمثل وحدات صوتية مستقلة بعضها من بعض إلا أنها تتماز بقدرتها على التناوب في ما بينها في الكلمة من غير أن يؤدي ذلك إلى اختلاف في المعنى، وهذا التناوب قد يكون سببه دخول مستويات لهجية مختلفة في المستوى اللغوي الموحد، وهو بذلك يكون محدودا بالسماع وغير خاضع للقياس ، 1ومما يلاحظ في هذا التناوب أنه قد يؤدي إلى خضوع الكلمة إلى قانون الانسجام بين أصوات المد، إذا كانت تشتمل على أصوات مد متنافرة في نحو قولهم : رِئِل في رَئَل، وهذا ما يسمى بالا تباع الحركي.

فالإتباع الحركي ظاهرة صوتية تحدث نتيجة تأثير صوت في صوت آخر يجاوره في مستوى الحركة فيتماثلان في النطق، وتحدث بين الحركات (الصوائت القصار) المتباينة في كلمة واحدة غالبا أو كلمتين، فيتأثر أحدهما با لأخر فيؤدي ذلك إلى حدوث انسجام صوتي بين الأصوات القصيرة.2

ولهذا ، يعد الإتباع الحركي ضربا من التخفيف والاقتصاد في الجهد العضلي المبذول، ومظهرا من مظاهر التطور في نطق الصوائت القصار عند وجودها في الكلمات. فالكلمة المشتملة على صوائت قصار متباينة تميل في تطورها في أثناء النطق إلى الانسجام؛ حتى لا ينتقل اللسان من صوت صائت إلى صوت صائت آخر مغايرا له.

لقد عالج علماء العربية القدماء هذه الظاهرة، فاصطلح عليها سيبويه (الإتباع) وعالجها تحت باب ((ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار)) 3، حدد فيه المواضع التي كسرت فيها هاء الضمير، فقال :((فكما أمالوا الألف في المواضع استخفافا كذلك كسروا هذه

---

[1] في البحث الصوتي عند العرب :56.

[2] المرجع نفسه :57.

[3] دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطلبي : 298.

الهاء، وقلبوا الواو ياء لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة.فالكسرة هنا كالإمالة في ا لألف لكسرة ما قبلها وما بعدها، نحو : كلاب، وعابد))1.

وحذا حذوه في التسمية الفراء (ت 207هـ)، وأبو بكر ا لأنباري (ت 328هـ)، فجاء في معاني القراءن للفراء: ((جمعوا ظلمة ظلمات، فرفعوا ثانيها إتباعا لرفعة أولها))42، وقال أبو بكرابن الانباري موجها قراءة من قرأ قوله تعالى: ((لا يضركم كيدهم شيئا)) 43بضم الراء ؛ لأن ضم الراء على الإتباع لضمة الضاد2.

وسماها الزجاج (ت 311هـ) باسم المطابقة 45، وعدها ابن جني من ضروب الإدغام الأصغر وسماها بالتقريب3.

وأطلق عليها المحدثون مصطلح (الانسجام بين الحركات) 4, أو (انسجام أصوات اللين) 5، أو (المماثلة في الحركات)6.

إن اللغات واللهجات تختلف في درجة الميل إلى اختلافا بينا، إذ إن بعض هذه اللهجات بسبب من طبيعة الأداء البطيء تجنح إلى نطق أصوات الكلمة نطقا متأنيا يسمح لها ذلك نقل اللسان من الضم إلى الكسر، أو إلى الفتح في أصوات المد المتوالية من غير أن يشعر المتكلم بثقل ذلك على حين تجنح بعض اللهجات ذوات الأداء السريع بوجه عام إلى الإتباع والمجانسة من اجل ألا يثقل عليها الانتقال من موضع إلى موضع آخر بعيد.

---

[1] اللهجات العربية في التراث : د. احمد علم الدين الجندي : 1/ 143.

[2] في اللهجات العربية : 86.

[3] كتاب سيبويه : 4/ 195.

[4] لمصدر نفسه والصفحة نفسها.

[5] معاني القران، للفراء : 330/2.

[6] سورة آل عمران : 120.

ويلحظ بصورة عامة أن القبائل البدوية كانت تميل إلى الإتباع الحركي أو الانسجام الصوتي؛ لأنه يحقق لها السهولة في النطق ويوفر لها مجهودا عضليا، أما القبائل الحضرية فكانت غير ميالة إليه لحرصها على تحقيق الأصوات في نطقها بسبب التأني في الكلام1.

تتمثل ظاهرة الإتباع الحركي بكثرة في القراءات القرآنية، ومن أمثلة ذلك:

- قال الله تعالى:((الحمد لله)) [51]، قرأ الحسن البصري وزيد بن علي بكسر الدال واللام [2]، وقرأها إبراهيم بن أبي عبلة بضم الدال واللام [3].
- قوله تعالى : ((فلأمه الثلث))[4]، قرئ (فلأمه) بكسر الهمزة الهمزة إتباعا لحركة الميم، وذكر الكسائي والفراء أنها لغة هوازن وهذيل [5].
- قوله تعالى : ((إنما أموالكم وأولادكم فتنة)) [6]، قرأ ابن أبي عبلة (فتنة) بفتح التاء تبعا لفتحة النون[7].
- **الإدغام:**

تؤثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض،لكن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر، فقد يكون التأثر جزئيا كأن يفقد الصوت صفة من صفاته، فينتقل من الجهر إلى الهمس او العكس، وقد يكون التأثر كليا يترتب عليه فناء الصوت في الصوت المجاور

---

[1] الزاهر، لأبي بكر الانباري، تح : د. حاتم صالح الضامن : 172/1.

[2] معاني القران وإعرابه، للزجاج : 1/ 380.

[3] الخصائص : 145/2 -147.

[4] في اللهجات العربية: 96.

[5] المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[6] اللهجات العربية في التراث :143/1-144.

[7] في اللهجات العربية : 96.

فناء تاما،وهذا ما اصطلح عليه القدماء بالإدغام 1، وسماه المحدثون بالمماثلة الكاملة[2].

فالإدغام في اصطلاح القدماء يعني أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف ينطق بهما دفعة واحدة 3، أو هو ((اللفظ بحرفين كالثاني مشددا))[4].

وفي الإدغام فائدتان:

الأولى : تحقيق المماثلة والانسجام بين الأصوات المنطوقة، إذ أنه ((تقريب صوت من صوت))[5].

والأخرى: السعي إلى التخفيف والاقتصاد في الجهد العضلي في أثناء النطق، فقد قال أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ): ((والعرب إذا أرادت التخفيف أدغمت، فإذا كان الإدغام أثقل من الإتمام أتمت))[6].

للإدغام ثلاثة تقسيمات، أولها تقسيم القراء له إلى كبير وصغير، ويعنون بالكبير أن يكون المدغم متحركا، أما الصغير فيعنون به أن يكون الصوت المدغم ساكنا. وهذا التقسيم يدور حول الحركة الإعرابية وجواز حذفها أو اختلاسها في بعض أمثلة الإدغام الكبير فليس له هدف إلا خدمة الجانب النحوي[7].

---

[1] سورة الفاتحة : 2.

[2] المحتسب في القراءات الشاذة، لابن جني : 37/1.

[3] ينظر "الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب : 75.

[4] سورة النساء : 11.

[5] البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي : 3/ 185.

[6] سورة التغابن : 15.

[7] معاني القران وإعرابه، للزجاج : 1/ 393.

وثاني هذه التقسيمات الذي يقوم على أساس التوزيع الصوتي للأمثلة الإدغامية ويقسم على ثلاثة أنواع[1]:

أ -**إدغام المتقاربين** : ويقصد به أن يقارب الصوتان المدغمان مخرجا أو صفة، او مخرجا وصفة[2]، ومعنى ذلك أن يكون على ثلاث صور، احدها: تقارب الصوتين في المخرج فضلا عن اتحادهما في صفة أو أكثر، والثانية: التقارب في المخرج والاختلاف في الصفات، والثالثة: التباعد في المخرج والاتحاد في الصفة او أكثر ومن أمثلته:

- إدغام الفاء في الباء في قراءة الكسائي لقوله تعالى: ((نخسف بهم))[3].
- إدغام الثاء في التاء في قوله تعالى: ((كم لبثت))[4].
- إدغام الذال في التاء في قوله تعالى: ((ثم اتخذتم العجل))[5].

ب- إدغام المتجانسين:

ويقصد به أن يتفق الصوتان في المخرج، ويختلفا في الصفة [6]، ومن أمثلته:

- إدغام الطاء في التاء كقوله تعالى: ((أحطت بما لم تحط به))[7].
- إدغام الباء في الميم كقوله تعالى : ((يعذب من يشاء)) [1]

---

[1] الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس : 128- 130.

[2] دراسة الصوت اللغوي، د. احمد مختار عمر : 387.

[3] شرح المفصل، لابن يعيش : 121/10.

[4] النشر في القراءات العشر، لابن الجزري : 274/1.

[5] الخصائص : 2/ 141.

[6] جمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي : 490.

[7] 1/ 274- 275، وينظر : اثر القراءات في الأصوات والنحو : 240.

ج- إدغام المتماثلين:

ويفصد به أن يلتقي صوتان متفقان مخرجا وصفة [2]، كأن يلتقي في الكلام تاء وتاء، او ميم وميم،وهذا النوع من الإدغام لا يحتوي من العملية الإدغامية إلا على الخطوة الأولى، وهي حذف الحركة إن كان المدغم متحركا ثم النطق بالصوتين على صورة مشددة؛ ولهذا يرى بعض المحدثين أن هذا الإدغام لا علاقة له بموضوع المماثلة [3].

أما التقسيم الثالث للإدغام فهو تقسيم المحدثين له على : إدغام رجعي، وإدغام تقدمي. ويقصدون بالرجعي تأثر الصوت الأول بالثاني، ويعنون بالتقدمي تأثر الصوت الثاني بالأول[4] وكلا النوعين موجود في لغة العرب.

- **الإمالة الصوتية:**

ظاهرة صوتية ولهجية، اشتهرت بها طائفة من القبائل العربية، وظهرت جلية في القراءات القرآنية ؛ ولهذا حظيت بعناية علماء العربية على مر الأزمان، وهي في حقيقتها ليست إلا صورة من صور نطق الألف، أو صورة من صور نطق الفتحة، وسماها الخليل الاجناح في ما روى سيبويه[5].

---

[1] النشر: 1/ 278.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] وتنظر القراءة في : التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني: 44

[4] سورة البقرة : 259.

[5] سورة البقرة : 92.

لقد ذهب علماء العربية القدماء في تعريفها على ثلاثة مذاهب : فالأول يرى أن الإمالة هي تقريب الألف من الياء [1]، والثاني يرى الإمالة أنها تقريب الفتحة من الكسرة [2]، أما المذهب الثالث فيرى أن الإمالة هي تقريب الإلف من الياء، والفتحة من الكسرة [3]، ونلاحظ من خلال المذهب الأخير أن الإمالة على ضربين: إمالة طويلة، وإمالة قصيرة، وزيادة على انه هو المقصود بتعريف الإمالة عند إطلاقه في كتب اللغة والقراءات.

ويبدو أن علماء العربية من خلال تعريفاتهم السابقة للإمالة لم يميزوا بين الحركات الطويلة والقصيرة، هذا مما جعلهم يرددون الإلف والياء، والفتحة والكسرة في أثناء تعريفهم للإمالة. فالفرق بين اللف والفتحة القصيرة، وبين الياء والكسرة القصيرة، ليس إلا فرقا في الكمية.

والإمالة ظاهرة صوتية يجنح إليها اللسان العربي، لتحقيق إحدى الفائدتين الآتيتين[4]:

الأولى: تحقيق التجانس والانسجام بين أصوات المد، ويمكن أن يلاحظ دلك في الحالات التي تجيء فيها الإمالة بسبب وجود الكسرة في سياق الكلمة، كإمالة: عابد، وعماد،ومساجد. وأحيانا من اجل تحقيق الانسجام أمالوا ما أصله ألا يمال؛ وذلك كأن تكون الألف في كلمة لا تستحق الإمالة، لكنهم أمالوها لوقوعها قرب ألف أخرى ممالة، من ذلك قوله تعالى:((والضحى (1) والليل إذا سجى (2) ما ودّعك ربّك وما قلى(3)))[5] قلى(3)))[5]

---

[1] النشر : 1/ 278.

[2] سورة النمل : 22.

[3] سورة البقرة : 282

[4] ينظر: النشر: 278/1.

[5] اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 241.

فألف (الضحى) لا تجوز إمالتها؛ لان أصلها الواو، لقولهم: الضحوة. وإنما أمالوها حين قرنت بـ (سجى) و (قلى) فكلتاهما مما تمال ألفهما؛ لان الألف فيهما أصلها الياء، فقال ابن يعيش: ((فأرادوا المشاكلة، والمشاكلة بين الألفاظ من مطلوبهم))[1].

وقوله تعالى: ((وضحاها والشمس والقمر إذا تلاها (2)))[2]. فذكر الزمخشري: ((وقد أميل (وضحاها) وهي من الواو لتشاكل (جلاها) و (غشاها))) [3].

والأخرى: التنبيه على أن الألف الممالة منقلبة عن أصل يائي كإمالة: باع، وصاد.

إن ضد الإمالة الفتح، والفرق بينهما في اختلاف وضع اللسان عند النطق بكل منهما فاللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم ومع الإمالة يأخذ بالصعود نحو الحنك الأعلى[4].

تعد الإمالة ضربا من المماثلة، وصفة لهجية لقبائل وسط الجزيرة وشرقيها مثل: تميم، وقيس، وأسد، وأكثر أهل اليمن يميلون؛ لان الإمالة غالبة في ألسنتهم في أكثر الكلا[5].

وقد اختلف القراء في الإمالة ففريق يميل وبعضهم يفتح غير أن قراء الكوفة أكثر ميلا إليها من سواهم لقربهم من مواطن إقامة القبائل التي تجنح إلى الإمالة.

إن البحث الصوتي عند العرب عرف هذه الظاهرة الصوتية وانه تراث غني لمباحث الإمالة وحالاتها وموانعها في أصوات الاستعلاء والإطباق عند مجاورتها الألف، وما إلى ذلك من مباحث الإمالة [1].

---

[1] في اللهجات العربية : 60.

[2] كتاب سيبويه : 278/3.

[3] شرح المفصل : 9/ 53.

[4] شرح الشافية : 4/3.

[5] أسرار العربية، للانباري : 348

- المجاورة الصوتية:

المجاورة مصطلح أطلقه علماء العربية القدماء على إعطاء الشيء حكم الشيء إذا جاوره [2]. قال ابن جني: ((إذا جاور الشيء الشيء دخل في كثير من أحكامه)) [3]. وسماه سيبويه الإتباع بالمجاورة[4].

ويتبين من ذلك أن المجاورة تأثر اللفظ باللفظ الذي قبله من الناحية الصوتية سواء كان في بنية الكلمة، أم في حركاتها البنائية أم الإعرابية؛ لهذا نعد المجاورة ضربا من التجانس الصوتي يتأثر فيه الصوت السابق باللاحق, وما يسمى في علم اللغة الحديث بالتأثر المقبل، أو أن يتأثر اللاحق بالسابق وما يسمى بالتأثر المدبر[5].

والمجاورة عند علماء العربية القدماء على نوعين : احدهما تجاور الألفاظ. والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فهو على ضربين: الأول: في المتصل، والأخر: في المنفصل[6]. ومن الأمثلة: قولهم: قنية وصبية، والأصل: قنوة من قنوت، وصبوة من صبوت؛ لان الواو جاورت الكسرة قبلها فصارت الكسرة كأنها قبل الواو.

فعلماء العربية لم يعدوا الصوت الساكن الذي يفصل بين فاء الكلمة ولامها حاجزا قويا؛ لذلك تأثرت اللام بحركة الفاء (الكسرة) فانقلبت الواو إلى ياء لتجانس حركة الفاء المكسورة.

---

[1] كتاب سيبويه: 4/ 117.

[2] سورة الضحا : الآية (1-3).

[3] شرح المفصل : 9/ 64.

[4] سورة الشمس : 1، 2.

[5] المفصل، للزمخشري : 337.

[6] النشر : 32/2.

ومن مجاورة الألفاظ، مجاورة العين للام بحملها على حكمها، نحو قولهم: صيّم في صوّم، وجيّع في جوّع.إذ إن: صيّم وجيّع، شبهت بباب عصي فقلبه بعضهم حملا على قول عصي في عصو.

فالأصل: صوم وجوع، فقلبت الواو ياء لمجاورتها اللام تشبيها بعصي[1].

ونظير قولهم هذا: اقتل، وادخل. فضموا الهمزة لضمة العين ولم يعتدوا بالفاء حاجزا لسكونها فصارت الهمزة كأنها قبل العين المضمومة ؛ فضمت كراهية الخروج من كسر إلى ضم.[2]

خاتمة:

من كل ما تقدممن دراستنا لأشكال المماثة، كظاهرة لغوية، في اللغة العربية، نخلص إلى النتائج التالية:

1. وضح البحث أن مفهوم المماثة في اللغة العربية تعني التوافق والتشابه والتماثل بين شيئين، فيجري أحدهما مجرى الأخر.
2. إن المماثلة الصوتية تعد من أبرز مظاهر التشاكل في العربية بسبب الانسجام الصوتي الحاصل بين كل صوتين متجاورين.
3. وضح البحث مظاهر التماثل في الإتباع الحركي؛ لأنه يؤدي إلى انسجام صوتي بين كل صوتين.
4. بين البحث مظاهر التماثل في الإدغام حيث أنك تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك بشرط التقارب الصوتي وهذا يؤدي إلى انسجام صوتي بين الأصوات.
5. وضح البحث مظاهر التماثل في الإمالة حيث أنها تعني تقريب صوتين.
6. بيّن البحث مظاهر التماثل في المجاورة الصوتية.

---

[1] شرح المفصل : 54/9.

[2] في البحث الصوتي عند العرب : 59.

7. إن المماثلة ظاهرة قياسية تحدث باطراد لتسهيل عملية النطق.
8. تحدث المماثلة الجزئية في الصوامت والصوائت على السواء، بينما لا تكون الكلية إلا في الصوامت.

المصادر والمراجع:

- القران الكريم.
- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، تح : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مط الرسالة، مصر 1379هـ.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ط 1، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مط المدني مصر 1987.
- أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري (ت 577هـ)، تح: د. فخر صالح فدارة، ط1، دار الجيل، بيروت 1415هـ- 1995م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط4، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة 1971م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية ببيروت، ط 1 1405هـ - 1985م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ط1 مط المدني، الناشر مكتبة الخانجي، مصر 1404هـ - 1983.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ)، تصحيح : اوتربرتزل، مط الدولة، استانبول 1930م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القراءن، الخطابي، والرماني، والجرجاني، تح: د. محمد خلف ومحمد زغلول، دار المعارف مصر، (د.ت).
- جمال القراء، وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تح : د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة 1987 م.

- جواهر البلاغة في المعني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2001 م.
- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسين بن علي الفارسي (ت 377هـ)، تح : علي النجدي ناصف وآخرين، دار الكتاب العربي، مصر (د.ت).
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) تح : محمد علي النجار، ط 1، الهيأة المصرية العامة للكتاب مصر 1999.
- دراسات لغوية، د. حسين نصار، دار الرائد بيروت، ط 4 1406هـ- 1986م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، مطبعة النموذجية للاوفسيت، الناشر عالم الكتب، القاهرة 1418هـ- 1997.
- دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطلبي، ط1، دار الرشيد، بغداد.
- دور البنية الصرفية قي وصف الظاهرة النحوية وتعقيدها، لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير عمان، الأردن.

قصيدة ذكرى الإبادة الجماعية في ولاية بلاتيو رائية السيد آدم بن عثمان : دراسة تحليلية

الدكتور محمد الثالث يعقوب

كلية أحمد رفاعي للقانون والدراسات الإسلامية

ميسو، ولاية بوتشى، نيجيريا

تمهيد:

نقدم للقارئ في هذا البحث المتواضع إحدى إنتاجات شعرائنا المواطنين حول القضايا الأمنية في هذه البلاد حسب ميول الشاعر وبيئته وتقاليده ، ويعتبر صاحب هذه القصيدة شخصية أدبية بارزة ومعروفة بين الباحثين والدارسين في نيجيريا وله عديد من القصائد في مختلف الأغراض الشعرية، ولد بقرية: "بوله جنغراوو" [1] في ولاية " غمبى" عام 1957م، ونشأ في بيئة دينية وعلمية تحت رعاية أبيه ويتقلب بين الكتاب حتى حصل على قدر كبير من العلوم الدينية واللغوية [2]. ثم إلتحق بمدرسة العلوم العربية كنو، وتخرج فيها عام 1979م.

ثم استمر بدراسته في جامعة عثمان بن فودى بـ " صكتو" حيث تخصص في الشريعة والقانون وتخرج فيها عام 1989م وتدرب في مدرسة القضاء النيجيرية ونال شهادتها عام 1987م.

وقد تقلب السيد آدم بن عثمان في المناصب الحكومية لمدة ثمان سنوات إبتداء من نائب المسجل، والمدعى الحكومي إلى أن عين نائب المسجل العام للمحكمة الإستئنافية

العليا بولاية بوتشى. ثم تخلى عن الشغل وأسس مكتبا للمحاماة، وفيما بعد أنتخب عضوا في المجلس التشريعي لولاية "غمبي" عام 1999م.[3]

تبناء على ذلك، نلتزم بتناول إحدى قصائده بالدراسة والتحليل كنموذج من عشرات إنتاجاته الشعرية التى تحدث فيها عن القضايا الأمنية حسب النقاط التالية :-

مناسبة القصيدة:

تمثل هذه القصيدة الأزمة الدينية في هذه المنطقة التى دامت أيام في عدم الأمن والإستقرار بين المواطنين إثر المواجهات العنيفة التى أدت إلى الإباجة الجماعية قام بها المسيحيون ضد المسلمين الأبرياء في ولاية فلاتيو حتى اضطروا بالنزوح إلى الولايات المجاورة . وأعلنت الحكومة الفدرالية حالة الطوارئ التى ألغت بحكومة جوشوا داريى في الولاية عام 2004م .

(ب) تحليل مضمون القصيدة :-

وهي رائية من البحر البسيط [4] بعنوان : " ذكرى الإبادة الجماعية التى قام بها المسيحسون ضد المسلمين في ولاية بلاتو " وتحتوى على ستة وثلاثين بيتا [36] [5]

وموضوعها الرئيسي يدور حول الأزمة الدينية في هذه البلاد وما يحيط بذلك من البواعث التى أدت إلى عدم الإستقرار والأمن في المنطقة وتتضمن ما يلي :-

1- المقدمـة:-

استهل الشاعر قصيدته بإظهار أسفه وحزنه العميق تجاه المسلمين المصابين بهذه الكارثة التى قام بها المسيحيون ضدهم مما أدى إلى مغادرتهم الديار والجيران والأهل والأحبة ، ونزحوا وساروا إلى أماكن نائية تخلصا عن تلك الأزمة مشيرا إلى أسفه الشديد فأخذ يساهر الليل ويتطلع إلى الصباح وهو غير نائم لتحمل المسلمين الرحال عن أماكنهم نتيجة عظمة القتال فأخذت القافلات تغادر الحي الذى كان مقرا لهم حيث تتوسع الاحراق

للمباني والديار ومواصلة الحرب الطاحنة التى ارتفع فيها عدد الضخايا والجثث أينما كنت في حى " يلوا" إستمع إليه يقول :-

نآى عن الدار من لم ينسه الدار من المجير بقوم ناءهم جار (6)
نأواعن الأهل والجيران وانتزحوا وللاحبة ذكر أينما ساروا (7)
لأهل يلوا سهرت الليل في أسف إثر الملمة هل لليل إسفار؟ (8)
شدوا الرحال لظعن لا مرد لـه إن جل حطب فما للعين إنكار
تغادر القافلات الحى مسرعة حيث المبانى للفح النار تنهار
والحرب تطحن والأرواح سائلة تشاخصت لطرو الخوف أبصار
وأينما كنت في يلوا ترى جثثا قدأفحمت أن أميطت عنهم ساروا

2- شعوره وألمه تجاه الكارثة:

انتقل الشاعر هنا يتحدث عن مشاعره العميقة تجاه أحوال المصابين اللاجئين المسلمين حين دخل مخيماتهم ليلا ونهارا وفي أحداقه دموع ساكبة وهو حزين كسيف بثار ييأس عودتهم إلى أماكنهم الموعودة باكيا على سوء حالتهم لاحتمالهم الشدائد في الدفاع عن ديارهم ومواطنهم المحرومة المنهدمة بالنار ونزحوا إلى أماكن لا حياة فيها إلا شدة البرد والريح . وأينما صاروا تبدوا عليهم علامات البؤس ، والتعب والمذلة وهم مهاجرون بعد أن عمّ الخراب بهم وسقف ديارهم تحت لهيب النار ، وقال:

أقول والدمع في الأحداق منسكب تسكاب مزنوسيف الحزن بتار (9)
وهل لعودتهم يوم وقد ولجت على نزوحهم ليل وأنهار
بكيت ياسا جفانى سوء حالتهم في حين لم يجد إنزار وأعذار
لا يأس والدهر آت بعد مذهبه حياتنا انها صوم وإفطار
قاسوا الشدائد ذبا عن مواطنهم خلوا الديار على انقاضها النار (10)
حلوا العراء مكان لا حية به والبؤس باد عليهم أينما صاروا

قدهاجروا بعدماعم الخراب بهم أين المقام وسقف البيت منهار (11)

3- وصف الحريق والإشادة بالجهاد:

إستمر الشاعر يتحدث في صلب القصيدة عن صفات الحريق الذى شب بمنازل المسلمين في ولاية " بلاتيو" حيث يعلو فيها الدخان كأنه نزول مطر في الليل ويتطاير السقف بصوت مزعج يسمع إثر توقد النار المخيف كرز طائرة عند الهبوط وهي تحمل كثيرا من الأمتعة على متنها واتبع المسيحيين باللعنة بما قاموا به من الهجوم والإهلاك ضد المواطنين الأبرياء بظلم وبغي بدون تنبه المصابين بهذه الكارثة وأوذوا في حين غفلتهم . وأضاف إشادته برد الفعل من المسلمين بالمقاومة والدفاع حتى جاء النصر ضد الكفار وقتلوا شر تقتيل وصاروا مقلقين تحت نار الحب التى حي مأواهم يوم القيامة. وقد لقوا مصارعهم وحتوفهم لتوليهم التدبير ضد المسلمين الأبرياء. ثم أبشر المسلمين بالجنة لمن قتل وسط المعركة بالجهاد وصونا للكرامة بدون ضررمشيرا إلى أن ذلك وعد من الله سبحانه وتعالى لكل شهيد ويكون باهل المصطفى جار في الجنة وقل:

لا بارك الله قوما هاجموا وطنا للأبرياء بظلم إنهم عار
في حين غفلتهم أوذو بنازلة في حين غفلتهم أوذو بنازلة
إن شلت الحرب ضدالمسلمين وقد ظلوا أعزاء ما وانوا إذا غاروا (13)
ظلوا أعزاء ما وانوا إذا غاروا (13) حتىأتىالنصروالأعداء قدحاروا (14)
وقتلوا شرتقتيل وزرهم نار فلا غرو إذ مأواهم النار (15)
إذا تولت فئات الكفرمدبرة تطفى الحتوف لها للنقر منقار (16)
إذا قتلنا جهاد وسط معركة لاضيرإنارضى الرحمان نختار
وعد من الله جنات معطرة إن الشهيد بأهل المصطفى جار

ج- إثارته ضد حكومة ولاية " بلاتيو":

إستمر الشاعر يبين إثارته ويرحب بفرض إعلان حالة الطوارئ التى ألغت بحكومة " داربى" الذى وصفه الشاعر بالكبرياء عن الحق بتساند المسيحيين ودعمهم حتى بغوا وثاروا ابتغاءا للفتنة ضد الأمن والإستقرار بين المواطنين وهموا بالسوء ولكنهم ردّو وما ربحت تجارة مكرهم . وقد ذم الشاعر حكومة الولاية بالظلم والفحش والعصيان حتى أتى على الحاكم أقدار باطاخته التى دفعته إلى داخل السجن لا ملك له ولا دار وهو منفرد في الهموم والأوساخ والرائحة الخبيثة، بعد أن كان يتصرف بكنوز الحكومة بلإسراف، ومن قبل كان يتكبر ويعلو على الكرسى في قصره الملتفبالجنان والأنهار إحساسا بالكفر والعدوان ثم لقى جزاءه الأوفى، وهذا ما يتوقعه الشاعر أياما ضد الكفار ومعاونيهم في هذه الأبيات:

دعنى أبوح وأفشى كل خافية لراحة ان قلب المرء جبار (17)
لنثأرن دماء جد غالية حتى نصر خلا وهو أمار
حكومةبطرت أضحت تساندهم حتى بغوا إذا لم يفتنوا ثاروا (18)
يبغون فتنة من لم يبغ فتنتهم هموا بسوء وردوا كلما فاروا
حكومة الظلم من لم يبغ فتنتهم هموا بسوء وردوا كلما فاروا
حكومة الظلم ذلت وهي لاغية حتى عليها من الرحمان أقدار (19)
أتى على داري أمر أطاح به وأودع السجن لا ملك ولا دار
جليس زنزالة في الهم منفردا يئس المقر له نثن وأقذار (20)
وبيت مال الذى بالأمس يسرفه غدا بعيدا وتجفوا عنه أنظار (21)
من قبل ينهواعلى الكرسى متكئا في قصره حيث جنان وأنهار (22)
أيام نحس على الكفار قد كتبت فلا مردلها هب أنهم طاروا

5- الخاتمة / المقطع:-

وقد ختم الشاعر قصيدته بالنزعة الدينية حيث دعى الله سبحانه وتعالى ضد الغاشمين بألا يجعل لهم يدا وسيطرة على المسلمين وهو رب الخلق وستار للذنوب قائلا:

يامن له الحكم لا تجعل لغاشمنا * يدعلينا ورب الخلق ستار

جـ) التقويم الفنى للقصيدة:

نلاحظ مما أخذنا أن للقصيدة قيما فنية مختلفة عبر أبياتها على النحو التالي:-

1- بناء القصيدة:-

هنا أورد الشاعر مطلع [23] قصيدته تبعا للشروط التى وضعها النقاد بهدف الإجادة والإتقان حتى يكون الإبتداء جيدا ولم يستخدم الشاعركلمات تدل عل الضعف نحو " ألا " و" خليلي" و"قد" فورد المطلع بكلمات بسيطة سهلة بدون غموض أو تعقيد ويليق بالموضوع حيث أخذ يقول :-

نآى الدار من لم ينسه الدار * من المجير بقوم ناءهم دار

علاوة على ذلك، قد حاول الشاعر في حسن التخلص [24] من المقدمة إلى الموضوع مباشرة في تمام الإنسجام والجودة بدون أن يشعر السامع بالانتقال نحو تخليصه من المقدمة إلى إظهار مشاعر تجاه المصابين حين أخذ يقول:-

نآى عن الدار من لم ينسه الدار من المجير بقدم ناءهم دار
نأواعن الأهل والجيران وانتزحوا ولا حبة ذكر أينما ساروا
لأهل يلوا سهرت الليل في أسف إثر الملمة ذكر اينما ساروا
شدوا الرحال لظعن لا مرد لـه إن جل خطب فما للعين إنكار
تغادر القافلات الحي مسرعة حيث المباني للفح النار تنهار
والحرب تطحن والأرواح سائلة تشاخصت لطرو الخوف أبصار
وأينماكنت في يلواترى جثثا قدأفحمت إن أميطت عنهم ساروا

ثم انتقل بقوله:-

أقول والدمع في الأحداق منكسب تسكاب مزن وسيف الحزن بثار
وهل لعودتهم يوم وقد ولجت على نزوحهم ليل وأنهار
بكيت يأسا جفانى سوء حالتهم في حين لم يجد إنزار وأعذار
لا يأس والدهر آت بعد مذهبه حياتنا إنها صوم وإفطار

هذا، وقد اعتنى الشاعر بنهاية القصيدة حيث إهتم بالإجادة في ألفاظ عذبة ورشيقة إضافة إلى حسن السبك، وحلو المعنى يشعر السامع بتمام القصيدة بدون أن يتطلع إلى البقية حيث ختمها بالدعاء قائلا:

يامن له الحكم لا تجعل لغاشمنا * يداعلينا ورب الخلق ستار

وتمتاز القصيدة بالوحدة العضوية بحيث ليس هناك فجوة بين الأبيات أو الإنقطاع بين الأغراض التى تحتوى عليها القصيدة كما لاحظنا ذلك عند استئناف الشاعر بيان صفات الحريق الذى شب بمنازل المسلمين بقوله:

قد هاجروا بعد ما عم الخراب به مأين المقام وسقف البيت منهار
ترى المنازل قد شب الحريق بهم يعلو الدخان كليل فيه أمطار
إذا تطاير سقتف من تلهيها من كل صوب كان الصوت إعصار

غاية في الأمر، قد حاول الشاعر في بناء قصيدته حسب التحديدات التى يحبذها النقاد والأدباء فامتازت بالوحدة العضوية بالتناسب والإرتباط بين الألفاظ والأجزاء.

واختار الشاعر وزنا ملائما للقصيدة وموضوعها ، وهو يناسب عاطفة الشاعر وصورها فوردت على تمام البسيط (25) بعروض مخبونة وضرب مقطوع (26) وهو أحد الابحر الثلاثة كثر دورانها في الشعر العربي ويصلح لموضوعات الأحداث والأزمات السياسية والدينية والقضايا الإجتماعية (27) وكذلك القافية، حيث وردت متواترة يتطلبها معنى البيت كالشيئ الموعود به المنتظر.

2- أسلوب الشاعر:

قد استخدم الشاعر ألفاظا ملائمة للمعانى المختلفة في القصيدة، وهي تناسب بعضها بعضا من حيث الفخامة، والجزالة، والرقة، والتوليد، والوزن الشعري، بدون تقديم أو تأخير في العبارات. ولم يكلف الشاعر نفسه في اختيار الألفاظ، وهي ليست سوقية مبتذلة ، بالاضافة إلى إستعمال الصور البلاغية المختلفة في أماكن متباينة عبر أبيات القصيدة. نحو قوله:

ترى المنازل قدشب الحريق بها * يعلوالدخان كليل فيه أمطار

حيث شبه الشاعر دخان الحريق بنزول الأمطار بالليل من شدة سواده وهذا تشبيه مجمل مرسل حيث ذكر الأداة ولم يذكر وجه الشبه.وقوله:

زفيرها مرعب أو رز طائرة قبل الهبوط بها في الحمل اكقار

حيث شبه صوت الحريق برز طائرة عند الهبوط في صوت مرعب وهذا تشبيه بليغ لأنه لم يذكر فيه الأداة ووجه الشبه.

ومهما يكن من أمر، قد اشتملت القصيدة على عديد من القيم الفنية بشكلها الإيجابى، ويصعب علينا حصرها في هذا المقام.

د- الخاتمة:

الشاعر ينبغى أن يكون صاحب رأى يشارك به في الحياة العامة والخاصة مشاركة جدية وإيجابية وقد اتضح لنا مما سبق أن السيد آدم بن عثمان كشاعر نيجيري قد ضرب مثلا رائعا للفنان الذى لا يسجن نفسه في مشاعره الخاصة وعواطفه الذاتية ولا يعيش في عزلة عما يدور حوله من أحداث ، وما يعانيه الناس من هموم ومشاكل ، فتحدث عن نزعاته حسب مفهوماته الدينية والسياسية تجاه القضايا الاجتماعية بإخلاص وعاطفة صادقة تعكس لنا شخصيته الدينية والصوفية والسياسية.

الهوامش والمراجع:-

1 – "بوله جنغراوو" قرية تقع في الشرق من مدينة " غمبى " على بعد ستة كيلو مترا.

2 – راجع : محمد الثالث يعقوب :– **ظاهرة جديدة في الشعر العربي النيجيري** – عرض ودراسة لشعر السيد آدم بن عثمان – رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو لنيل شهادة الماجستير عام 1998م ، ص 2 وما بعدها.

3 – المرجع السابق ص 11.

4 – أوزان البسيط وتفعيلاته مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن.

5 – نظمها الشاعر بتاريخ : 2004/7/18م.

6 – نآى = بعد عن المكان والمنزل.

7 – انتزحوا = نزلوا الى مكان.

8 – الملمة = الإصابة بالكارثة.

9 – بتّار = قطّاع

10 – ذبا عن مواطنهم " أى دفاعا عن مواطنهم على انقاضها انهدامها .

11 – منهار = متوسع ولم ينقطع.

12 – كبث = أهلكت.

13 – ما وانوا = تركوا وأهملوا.

14 – حاروا = رجعوا.

15 – وزلزهم = قلقهموفلا غرو = فلا عجب .

16 – المحتوف = الموت.

17 – خافية = كتمان.

18 – بطرت = تكبرت عن الحق.

19 – لاغية = فاحشة.

20 – زنزانة = قفص

21 – تجفد عنه = لم يلزمها الأنظار.

22 – اقذار = أوساخ.

23 – لزيادةالإيضاح عن مطلع القصيدة أنظر" أحمدأحمد بدوى(الدكتور) **أسس النقد الأدبي عند العرب**– نهضة مصر للطباعة والنشر 1996م ص 297.

24 – المرجع السابق ص: 308 ومابعدها.

25 – راجع: محمد التونجي:**المعجم المفصل في الأدب** دار الكتب العلية بيروت، لبنان ج [1] ط[1] 1419 هـ : 1999م ص:365.

26 – الخبن هو: حذف الثاني الساكن من التفعيلة في نحو "فاعلن" فتصير "فعلن" بحذف الألف. والقطع: حذف ساكن وتد مجموع وتسكين ما قبله في نحو "فاعلن" فتصير "فاعلْ" .

27 – محمود مصطفى (الأستاذ) : **أهدسبيل إلى علمي الخليل** – المكتبة العصرية صيدا بيروت ، لبنان 1428هـ = 2007م ص 42.

ظاهرة الانزياح الدلالي في قصيدة "أعلى مكانتك الإله الأكبر" للشاعر الدكتور محمد الثاني عمر رِجِيَرْلَيْمُو: دراسة أسلوبية

Jabir Abdullahi
Arabic Medium unit
Federal college of Education yola
and
Shehu Umar Abdullahi Zaria

ملخص:

تناولت هذه المقالة ظاهرة الانزياح الدلالي في قصيدة "أعلى مكانتك الإله الأكبر" للشاعر الدكتور محمد الثاني عمر كنو،حيث رصدت السيرة الذاتية للشاعر.ثم تعرضت المقالة لمفهوم الأسلوبية والانزياح الدلالي من منظور الدراسة الأسلوبية كما تحدثت عن الوسائل الانزياحية، ثم تحليل أبيات القصيدة لرصد أنماط من الانزياح بشيء من التحليل والتفصيل. والمقالة تهدف إلى اختبار قدرة الشاعر الإبداعية وملكته الشعرية عن طريق تتبع ظاهرة الانزياح الدلالي في القصيدة، وذلك لاستخراجها وتحليلها. ويُستنتَج من التحليل أن الشاعر حاول أن يطرق معظم أنماط الانزياح الدلالي بصورة تجذب انتباه المتلقي بغية التعبير عن مشاعره وأحاسيسه.

توطئة:

تُعدُ ظاهرة الانزياح الدلالي من الظواهر المهمة في الدراسات الأسلوبية التي تُدرس النص الشعري على أنه لغة مخالفة للمألوف والعادي.

والحقيقة، أن هذه الظاهرة لم تُدرس في قصيدة"أعلى مكنتك الإله الأكبر" للشاعر الدكتور محمد الثاني عمر كنو– ومن هنا، حاولت المقالة أن يُلقي الضوء على هذه الظاهرة في القصيدة من خلال النقاط التالية:

–التعريف بالشاعر

–مفهوم الأسلوبية

– الانزياح من منظور الدراسة الأسلوبية

–تحليل الانزياح الدلالي في القصيدة

–الخاتمة

التعريف بالشاعر:

وُلد الشاعر بحي الغراب بالمملكة العربية السعودية عام 1970م، غير أنه نشأ وترعرع وتعلم في المراحل التعليمية الأولى في بولاية كنوا.حصل على شهادة الابتدائية الإسلامية بمدرسة(فقراء المسلمين) للتاجر عبدالله طنُ بتًا.كما حصل على شهادة المرحلة المتوسطة عام 1987م.وحصل على شهادة الليسانس بجامعة الإسلامية–مملكة السعودية عام 1415هـ بتقدير ممتاز،كما حصل على شهادة الماجستير والدكتوراه بنفس الجامعة.قال الشعر منذ كان يافعا.وقد نال جوائز كثيرة أعلاها جائزة المدينة المنورة للنبوغ والتفوق العلمي مجال دراسات الماجستير عام 1421 هـ(حسين 2008 :2 –7).

مفهوم الأسلوبية:

لقد جاء مصطلح الأسلوبية ترجمة عن المصطلح الإنجليزي (stylistic) على أنه حلقة من حلقات التطور في تحليل النصوص الأدبية، ثم شقت الأسلوبية طريقها إلى الساحة العربية في مجال الأدب والنقد كإجراء منهجي يهدف إلى تحليل الأدب، فضلا عن توجيهه وتقويمه.

فالأسلوبية تعنى دراسة النصوص الأدبية، وذلك عن طريق تحليلها لغويا، بهدف الكشف عن الأبعاد والقيم الجمالية وبغية الوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصه الأدبي.

والأسلوبية إحدى مجالات نقد الأدب الحديث اعتمادا على البنية اللغوية دون ما عداها من مؤثرات اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك، أي أنها تعنى دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير (أحمد 2000 :21).

مفهوم الانزياح:

فالنظام اللغوي يشتمل على مستويين من الاستخدام.

-الاستخدام العادي أو النفعي

-الاستخدام الأدبي الفني

والفرق بينهما أن الأول يرتكز على المباشرة ويحادث العقل، ويهدف إلى التبادل النفعي،ويتسم بمحدودية معجمية، في حين أن الثاني يصدر عن ملكة عند منشئه، ويخاطب الوجدان ويسعى إلى أن يمس إحساس متلقيه مساً سامعاً كان أو قارئاً (أحمد د.ت :17).

فمن هنا يأتي دور الانزياح ليكون مقوما من المقومات الشعرية، لدرجة أن بعض الدارسين ينظرون في اللغة الشعرية على أنها انزياح(غركان2004 :44).

فالانزياح هو "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيباً وصوراً استعمالاً يخرج عما هو معتاد عن النمط المألوف بحيث يؤدى له أن يتصف به من تفرد وإبداع أو قوة جذب وأسر(ويس د.ت :38).والانزياح هو المحقق للأدب كيانه، وهو وحده الممكن له أن ترتقي إلى سلَم يليق به.

الانزياح من منظور الدراسة الأسلوبية:

الانزياح من هذا المنظور يعتبر ظاهرة من الظواهر التي تدرسها الأسلوبية، وهو السمة المميزة للغة الأدبية.والانزياح قد يكون اختياريا يلجأ إليه الفنون مختارا ويكون-غالبا-

ذا غايات جمالية، كالإثارة الذهنية أو التشويق العقلي أو لفت الانتباه، أو التأكيد أو غير ذلك من الأهداف التي يسعى إليها الفنون، كما قد يكون الانزياح اضطراريا يضطر إليه المنشئ، كما يفعل الشاعر مثلا حينما تضطره المحافظة على الوزن الشعري، فيسلك دروبا يباح له فيها ما لا يباح للناشر (أحمد د.ت:21).

على أن الانزياح الراقي هو ما كان مثريا للغة الفنية والذي يستعين به المنشئ لتعبير عما لا تستطيع عليه اللغة العادية.

الوسائل الانزياحية:

فالأمر الذي يشبه المتحقق عليه عند الأسلوبيين هو أن للشعر لغة خاصة تمتاز بسينات معينة تميزه عن لغة النثر(ويس د.ت:93).الأمر الذي يجعل الشاعر أن ينزاح عن المعايير المألوفة في التعبير العادي، فيخترق المعتاد لينفلت من القيود حتى يعبر عن مشاعره.

وعلى هذا فإن الوسائل الانزياحية تتمثل في أنماط ثلاثة، وهى: نمط صوتي ونمط تركيبي ونمط دلالي.

فالانزياحات الصوتية تتمثل في تغييرات صوتية وضرورات شعرية ولزوم مالا يلزم، والانزياحات التركيبية تظهر في تقديم ما حقه التأخير أو ذكر ما دل عليه دليل، أو حذف ما كان ينبغي أن يُذكر. وأما الانزياحات الدلالية فتتجلى في استخدام الألفاظ المجازية لتشخيص، أو إحياء أو تجسيد، كما تتجلى في استخدام الرموز للإشارة إلى أشياء معنوية لا تقع تحت الحواس.

فالشاعر في القصيدة المدروسة كان اهتمامه منصبا على جانب الانزياح الدلالي في جل صوره من تشخيص وتجسيد وإحياء وتجريد.

غير أن هذه المقالة ركزت على الصورة التشخيصية والصورة التجسيدية، ذلك أن الشاعر كان له دور فعال على هذين الجانبين يفوق أدواره في سائر النواحي الانزياحية.

الانزياح الدلالي التشخيصي في القصيدة:

فالتشخيص هو أن تكون الصورة مأخوذة من الصفات الإنسانية (شلبي د.ت:68).

وهذه الفكرة تقوم على أساس تشخيص المعاني المجردة، والمظاهر الطبيعية الجامدة في صور كائنات حية، تحس وتتحرك وتنبض بالحياة. والتشخيص لدى المحدثين هو المعنيُ به لدى البلاغيين القدامى تحت ما يسمى الاستعارة المكنية (مقري2009: 274).

إلا أن الفرق الأساسي بين ما تناول القدامى والمحدثين للتشخيص، أن القدامى حاولوا إرجاع كل العلاقات القائمة في الصورة التشخيصية إلى قرينه المشابهة فضيّقوا لخناق على طاقاتها التعبيرية، وأطفئوا إشعاءاتها الإيحائية بحثا عن علاقة حسية قد لا يكون لها وجود بينما تجد المحدثين يتخلقون أكثر من خلال تشخيص الحقائق الشعورية والذهنية للشاعر (مقري2009 :274).

ركز الشاعر على هذا النوع من الانزياح في عدة أبيات، فمنها قوله:

قتلوك والمحراب ضمك ساجدا يا حبذا موت تنال وتشكر

كم مرة أحييت سنة أحمد كادت لطول الجهل فينا تقبر

ونشرتها بين الأنام جلية حتى غدت في كل بيت تذكر

هذي القوافي لا توافي حقه فهو الكريم ابن الكريم الأمر

انزاح الشاعر في قوله:"والمحراب ضمك" وقوله:" أحييت سنة أحمد" وقوله:" تقبر" وقوله:" حتى غدت" وقوله:" هذي القوافي لا توافي حقه". فكل أولئك جعل اللغة شعرية تكسب طاقة جمالية وقدرة ايحائية بانزياح الشاعر عن النمط المألوفة إذ أن الكلمات تتجاور في تشكيلها اللغوي منطق اللغة العادية التي هدفها منطقية المعنى والتي لاحتفل بمنطقيه الانفعال، فالتشكيلات اللغوية السابقة ليست تلاعبا بالألفاظ فحسب، إنما لرسم آلام الشاعر حتى تتمثل أمام المتلقي، فجعل الشاعر الأشياء المجردة شخصيات إنسانية تحس وتتحرك كما يحس ويتحرك الإنسان.

فالشاعر في قوله:"والمحراب ضمك ساجدا" انزاح إلي تشخيص المحراب الذي كان الرحيل فيه ساعة القتل شخَّص هذا المحراب على هيئة إنسان ضمَّ الرحيل إليه، وذلك ليبرز الشاعر مدي تحيز المرثي في المسجد وأن هذا شرف له.

وقوله:"أحييت سنة أحمد" تشخيص لسنة الرسول صلى الله عليه وسلَّم على صورة إنسان أحياه الداعية الرحيل بعد أن كان هذا الإنسان قد تُوفي أو على وشك الموت ثم أعاد تشخيصها مرة ثانية على شكل إنسان كان على شفا حفرة من القبر، وذلك ليبين الشاعر ويوضح ما حققه المرحوم من خدمة السنة النبوية الشريفة، حيث قام بتعليمها على وجه صحيح بعد أن شابها شيء من الخرافات والزيغ.

وفي قوله:(حتى غدت) زيادة توضيح على ما قام به الداعية الرحيل من التعليم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فشخصها على هيئة إنسان يغدو ويروحفي كل بيت وذلك ليبرهن على مدى انتشار هذا التعليم.

وأما قوله:"هذى القوافي لا توافي حقه" فالشاعر يريد البيان عن عجز شكره على الداعية، فكيف العوام؟ فانزاح إلى منح القوافي الصورة الإنسانية ليختفي وراءها وينطقها لتصرخ بهذا العجز، ذلك أن فضل الداعية الرحيل على الناس كثير.

وهكذا استطاع الشاعر أن ينقل إلينا أحاسيسه الأليمة عبر الانزياح الدلالي التشخيصي.

الانزياح الدلالي التجسيدي:

والتجسيد هو:"أن تكون الصورة مأخوذة من المفردات المادية والموجودات البيئية (شلبي د.ت:267).

وهو لَونُ من التفكير الحسي يضيفه الشاعر على لوحته التصويرية ليزيده من وضوحها وجمالها الفني.

فقد نحى الشاعر هذا المنحى من الانزياح، فرصد له كمية كبيرة منها قوله:

وأقمت للتوحيد صرخا شامخا	هذي منار تهتز وتزهر
وسدد للضالين كل طريقة	فتراجعوا نحو الزوال وحيروا
جادلت بالحجج القوية أمة	لعب الأثيم بعقلها والأخسر
فإذا بصوت الحق يعلو ثانيا	عكس الذي ظن الجناة ودبروا
وعلى صوت الشهيد مدويا	أن أقدموا لا توحش لا تذعروا
سيروا على درب الصحابة والآلي	نذروا لدين الله أن لا يدبروا
وخذوا بسنة مصطفي واستمسكوا	بعري الجماعة نعم هذا المصدر
هذا السلاح سلاحه وبه حري	للحق ينذر في الوغى ويبشر
ولأنت شعلة دعوة سلفية	ولأنت درة عقدها والجوهر

انزاح الشاعر إلى التجسيد في قوله:"أقمت للتوحيد صرخا شامخا" و"هذي منارته" و"سدد للضالين كل طريقة" و"لعب الأثيم بعقلها" و"نشرتها بين الأنام" و"سيروا على درب الصحابة" و"وخذوا بسنة مصطفي" وفي قوله:" واستمسكوا بعري الجماعة" و"هذا السلاح سلاحه" و"ينذر في الوغى" و"أنت شعلة دعوة" و"أنت درة عقدها".

ففي قوله:(أقمت للتوحيد صرخا شامخا) جسد الشاعر العقيدة الصحيحة التي غرسها الداعية الرحيل في أفئدة الناس. جسدها على هيئة قصر مشيد، وذلك ليدل على ثبات ما أسسه من عقيدة صحيحة ومدي تأثيرها فيهم.

وقوله:(هذي منارته) تجسد الشاعر تعليمات الرحيل على شكل منارة تنير الآفاق، وذلك ليبرز مدي انتشار وتعميم دعوته في مشارق الأرض ومغاربها بحيث ينتفع بها كل من العامي والمثقف.

وقوله:(وسدد للضالين كل طريقة) تجسد الشاعر المعتقدات الزائفة التي يعتقدونها أهل البدع والضلالات أو المناهج التي ينتهجونها، والطرق التي يسلكونها فكل أولئك جسدها

الشاعر على شكل طرق مسلوكة بالأقدام،وذلك ليبرهن على مدي تأثير دعوته لإبطال معتقداتهم.

ولأنت شعلة دعوة سلفية ولأنت درة عقدها والجوهر

جسد الشاعر الرحيل على هيئة شعلة من النار، وذلك ليدل على ظهوره وبزوغه بين الدعاة السلفيين، ثم جسده مرة ثانية درة وجوهر، وذلك ليؤكد على ذلك الظهور وليدل على أن الرحيل بمثابة مظهر لينظر إليه ويستمع منه بين السلفيين، كما أن له نفوذ من بينهم.

ونشرتَ من درر البيان جواهر تبقى على مر الدهور تشهر

انزاح الشاعر هنا إلى التجسيد مقولات الرحيل وكلماته دررا وجواهرا وذلك ليبرهن على قيمتها، ثم جسد تلك المقولات مرة ثانية بسيوف تشهر أمام المبتدعين. ومنها قوله:

جودت آيات الكتاب تلاوة فإذا خطبت فأنت موج يهدر

كم طالب للعلم نال مراده مما نشرت وصفوه لا يكدر

أوسعت آفاق المودة بينهم فكبيرهم لصغيرهم يستصغر

فكأن بكيتك والدموع غزيرة فلانت أولى بالفخار وأجدر

انزاح الشاعر في قوله:(أنت موج)و(صفوه لا يكدر)و(أوسعت آفاق المودة).

ففي قوله:(أنت موج) يريد الشاعر أن يدل على غزارة علم الداعية الرحيل فركن إلي تجسيده على هيئة موج لتكون هذه الغزارة أشد وضوحا.

وفي قوله: (وصفوه لا يكدر) يريد الشاعر التصريح بأنه مهما كان مستوي طالب علم إلا استفاد بمعلومات من قبل الداعية فانزاح إلى تجسيد المعلومات التي يحصل عليها ذلك الطالب على شكل مياه صافية لا تكاد تكدر.

وقوله:(أوسعت آفاق المودة بينهم) يريد الشاعر أن يبرهن على مدي دور الذي أدّاه الرحيل في جمع شتات الناس وتأليف قلوبهم بالمحبة والمودة بحيث لا يتعالي أحد على آخر

بل إنما كانوا عباد الله إخوانا، فانزاح الشاعر إلى تجسيد كل ذلك على شكل أفق قام بتوسيعه.

وهكذا استطاع الشاعر أن ينقل للمتلقي أحاسيسه الأليمة ومشاعره الخزينة عبر الانزياح الدلالي.

الخاتمة:

إن قصيدة "أعلى مكانتك الإله الأكبر" تعتبر مرثية جادت بها قريحة الشاعر، وذلك لفقد حبيب قلبه وصديقه الوفي، وهو المرحوم الشيخ جعفر محمود آدم، فرثاه الشاعر رثاءا حارا بتعبيرات صادرة عن صميم قلبه مما يدل على صدق عاطفة الشاعر.

استعان الشاعر بأساليب الانزياح الدلالي فحاول أن يستغل معظم هذه الأساليب الانزياحية بصورة ملتفتة للنظر تستولي على مشاعر المتلقي وأحاسيسه، مما يدل على عبقرية الشاعر الفنية.ولذا يعتبر الشاعر شاعرا فذا من عمالقة الشعراء النيجيريين، بل يكفي ليمثل إجادتهم في اللغة العربية.

المراجع:

أحمد سليمان، د.فتح الله، (2008 م)، الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية. دار الآفاق العربية، القاهرة.

عبد البر، أ.د. طه عبد الرحيم، (2004 م)، التصوير والتجديد في الأدبالعربي الحديث. القاهرة.

غركان، د. رحمان، (2004 م)، مقومات عمود الشعر، الأسلوبية في النظرية والتطبيق.موقع اتحاد الكتاب العربي–دمشق. تم استرجاعه على موقعالانترنت:hup/www.awu–dam.org

محمد ويس، د. أحمد، (د.ت) الانزياح في التراث النقدي والبلاغي . موقعاتحاد الكتاب العربي، تم استرجاعه على موقع الانترنت:Hup/www.awu-dam.org

طاهر حسين، د. أحمد(2000 م)، الأسلوبية العربية دراسة تطبيقية . مكتبةالأوبرا، القاهرة.

شلبي، د. طارق سعد، (2006 م)، الصورة والصور في الشعر الجاهلي .دار البراق للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

مقري، د. إبراهيم أحمد،(2008 م)، الصورة الشعرية لدى الشيخ إبراهيم انياس. رسالة الدكتوراه المخطوطة،فسم اللغة العربية، جامعة بايروكنو.

حنين النيجيريين في السودان

الدكتور/ أحمد جعفر عبد الملك

قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا – نيجيريا.

المدخل:

العلاقة النيجيرية السودانية قديمة وعريقة، يصعب جداً تحديد بدايتها، بدءا من الهجرات السياسية والتنقلات المعيشية في الماضي السحيق، إلى دخول الإسلام في الدولتين فمثّلت السودان همزة وصل بين النيجيريين والسعودية في طريق النيجيريين لأداء الحج أو العمرة، أو كليهما، فكان بعض هؤلاء الحجاج النيجيريين ينزلون بالسودان لأوقات تتفاوت طولا وقصراً، وأدى ذلك ببعضهم إلى استيطانها؛ ولما كانت بريطانيا هي المستعمرة للدولتين؛ نيجيريا والسودان، وأنهما يتشاركان في نواحي عديدة، فيما بين المتشابهات الثقافية، والاجتماعية والدينية، والعلاقة التجارية والاقتصادية، وخاصة بين شمال نيجيريا والسودان الشمالية، طفقت تلك العلاقة تتقوى أكثر فأكثر. فجرّ ذلك إلى إرسال الطلاب النيجيريين في بعثات علمية إلى السودان، وزيارة مسئولي نيجيريا إليها، كما أن السودان أرسلت بعض العلماء إلى نيجيريا كمعلمين شرعيين وإسلامية وفي اللغة العربية وآدابها. أفضى ذلك بالنيجيريين الوافدين إلى السودان إلى قرض قصائد الحنين على وطنهم؛ نيجيريا كلما تذكروها، فوصفوا في القصائد نيجيريا ومشاهدها وسكانها. ولذا جاءت هذه المقالة لتدرس هذه القصائد من حيث مضمونها وأفكارها وأبعادها وبنائها وغير ذلك مما احتوت عليه من الميزات والخصائص الفنية.

العلاقة النيجيرية السودانية:

بدأ النيجيريون يعيشون في السودان من زمن بعيد، ويعايشون أناسها وظروفها وبيئاتها، ويشاهدون طبيعتها، ويتكيفون حياتها، فينسجمون مع أقوامها. كما أنهم بين الفينة والأخرى تضربهم آلام الغربة والوحشة، فتجيش بذلك جائشتهم، وتنفجر من قرائحهم أشعار،

يحنّون بها على وطنهم (نيجيريا) تعبر تلك الأشعار عن أحاسيسهم وعواطفهم، وجاءت غالبية هذه الأشعار قوية، وفي صورة فنية؛ متحلية بميزات وخصائص، من صدق العاطفة، وحرارتها، وصور وخيالات رائعة، وإيقاعات وأنغام مطربة، واستخدام كلمات جزلة وعبارات موحية.. وغير ذلك.

كانت العلاقة النيجيرية السودانية قديمة جداً، بمثابة أنه من الصعب تحديد وقت معين لبدايتها، إلا أن المتداول في الأفواه هو أن الهجرات السياسية والتنقلات المعيشية كانتا مما أدت إلى ربط هذه العلاقة في الماضي البعيد، حيث أن أهالي السودان طفقوا ينزحون إلى بلاد نيجيريا، ثم تمثلت السودان حلقة وصل بين النيجيريين والسعودية في طريقهم لأداء الحج أو العمرة، أو لكليهما، فكان بعض هؤلاء الحجاج النيجيريين ينزلون بها لمدة أوقات تتفاوت طولا وقصراً، وأدى ذلك ببعضهم إلى اتخاذها مسكنا؛ إما أثناء ذهابهم أو عند الإياب.

هذا، وحيث أن بريطانيا كانت هي المستعمر للدولتين؛ نيجيريا والسودان، وحيث أن هناك أشياء تتشارك فيها الدولتان من النواحي الثقافية، والاجتماعية والدينية، والعلاقة التجارية والاقتصادية، وخاصة بين شمال نيجيريا والسودان الشمالية، طفقت تلك العلاقة تتقوى أكثر فأكثر.

وبدأت نيجيريا – من أيام استعمارها وإلى ما بعد استقلالها – ترسل أبناءها إلى السودان في بعثات علمية وثقافية، لتأهيلهم مدرسين للغة العربية والدراسات الإسلامية على النظام الحديث، وكذا قضاة شرعيين. والبعض الآخر من النيجيريين يزورون السودان كوفود ثقافية أو دبلوماسية.

مفهوم الحنين لغة واصطلاحا:

تضرب جذور كلمة الحنين إلى مادة (ح–ن–ن–)، وتعني "الشوق وشدة البكاء والطرب أو صوت الطرب عن حزن أو فرح"[1]، وقد يتضمن الحنين النزاع كما عرِّف بأنه هو "النزاع المتضمن للإشفاق"[2]، و"حنين الناقة: صوتها في نزاعها إلى ولدها" [3]، كما يقال في الإبل إذا حنت "نزعت إلى أوطانها وأولادها"[4]. وكل هذه التعريفات متقاربة في مدلولها فتكاد تتفق المعاجم اللغوية في أن الحنين يعني الشوق وتوقان النفس بصوت أو بغير صوت. وقد يكون من تتمة الفائدة إيراد ما ذكره بعض تلك المعاجم عن الفوارق الدقيقة بين الحنين وبين الألفاظ المتشابهة أو المترادفة له فقال: "إذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقاً فهو الرنين، فإذا أخفاه فهو الهنين، فإذا أظهره فخرج خافيا فهو الحنين، فإن زاد فيه فهو الأنين، فإذا زاد في رفعه فهو الخنين، فإذا أزفر به وقبح الأنين فهو الزفير، فإذا مدَّ النفس ثم رمى به فهو الشهيق، فإذا تردد نفَسه في الصدر عند خروج الروح فهو الحشرجة"[5].

وأما مفهوم الحنين الاصطلاحي فهو كما عرفه ابن عساكر بأنه "الشعر الدال على شدة الحسرة والشوق" [6]، ويستحسن "أن يظهر الناسب الرغبة في الحب، وألا يظهر التبرم به"[7]. ولعل أقوى وأوسع ما عرّف به العلماء عن الحنين قولهم هو: "كل ما يذكر {من الشعر عن} الأوطان النائية، والبكاء على المراسم الخالية، وذكر الأحباب النازحة، والأيام الصالحة، ومن مرارة الفراق، ولوعة الاشتياق" [8]. وعلى هذا التعريف الأخير يتميز الحنين اللغوي عن المصطلحي من حيث أن التعريف الاصطلاحي أعم فيما يُتحنن له، وأخص في طبيعته وكيفيته حيث أنه لم يقتصر بالنزوع إلى الأوطان والأولاد فقط.

الحنين والشعر العربي:

استمدت عواطف الشعراء العرب من الحنين أشعاراً رائعة على مرِّ العصور الأدبية، فكان الجاهلي يحن إلى أوطان الأحباب الدارسة، ويبدأ قصائده بالمطالع الطللية، يتخذ ذلك ذريعة إلى تصوير مشاعره والتعبير عن خواطره نحو الجيران والأصحاب ويتذكر العيش معهم في الأيام الماضية، انظر في ذلك جميعَ المعلقات، وكما أن الاغتراب تدعو

الجاهلي كذلك إلى الحنين بشعره، إما إلى الأوطان أو إلى الأصحاب، كما فعل امرئ القيس في رحلته إلى القسطنطينية يطلب من الإمبراطور النجدةَ في الثأر لأبيه، فصادف أن رأى قبر امرأة من بني عامر على سفح الجبل فحنّ إلى أرضه – وهو يجود بنفسه من القروح التي راحت سبب موته – وقال:

وإني مقيم ما أقام عسيب أجارتنا إن المزار قري ب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب 9

يحنّ الشاعر على وطنه وينادي جثة القبر بجارته ينبئها بمقامه في أرض الغربة مثلما هي مقيمة فيها، ومثل ذلك حدث لعبد الرحمن الداخل المشهور بصقر قريش في أرض الأندلس حيث رأى بها نخلة صحراوية فهاجت شجنه وحنّ إلى الجزيرة العربية ثم انفجر قائلا:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسح ويستمري السماكين بالويل [10]

ذكّر الشاعرَ تبدي نخلة رصافة الأندلس غربته، فبكى على إقصائه عن أهله وبنيه، فهما في ذلك شبيهان، ومعاناتهما كذلك شبيهة.

وهكذا اجتاز غرض الحنين في الشعر العربي مراحل النشوء والتطور إلى أن اكتملت أواصره، وقوي أواره، فأصبح فنًّا ناضجا قائما على قدمٍ وساقٍ على أيدي شعراء المهجر، اللبنانيين والسوريين الذين انتقلوا إلى جنوب أمريكا، طلبا للمعاش، فاغتربوا ثم حنّوا إلى الأوطان والأصحاب، فقرضوا قصائد جيدة، على غرار ما يوجد في قصيدة إيليا أبو ماضي التي يعبر بها عن مناجذته لحب وطنه لبنان قائلا:

اثنان أعيا الدهر أن يبليهما لبنان والأمل الذي لذويه
نشتاقه والصيف فوق هضابه ونحبه والثلج في واديه [11]

كما حدث للشيخ شئت كُسْفَا زَارِيَا، عندما رافق أميرَ "زَكْزَكْ" عبد الكريم ليتسلم ثمن الفرس الذي اشتراه الأمير من والده ببلدة "يَنْ دُوتُو"، وكان الشيخ عندئذ فتى فيما دون سنِّ البلوغ، فعندما وصلوا "زاريا" شُغل عنه الأمير بشؤون الحكم والسياسة، فعانى الفتى من الغربة، وكابد الوحشة غايتهما، فانفجرت منه هذه القصيدة التي مطلعها:

أُسرتُ كأنني بيد الحبيب متى أُفدى وأُدنى للحبيب
فقلت لِما عييت عن النحيب ألا تملى الرسالة للأديب

ومن أعيى الكلام له الوحاء

وقال فيها:

أعجَّل أم أأجَّل ما علمتُ لحقي ليت شعري فيه حمت
متى قربت ترحالا بعدت جوابك أي حال فيه قمت

وتعجيل التسلم والوفاء

يكاد الروح يبلغني التراقي * لذكري الأهل لي في الإغتراب

فيا عبد الكريم متى اللقاء؟[12]

يحن الشاعر على وطنه ويرى نفسه أسيراً لِما حلّ به من شجون الوحشة والغربة رغم كونه بيد الحبيب، فاضطر إلى مناشدة من يملي رسالته للأمير الأديب، يبين له مقاساته، فيفرِّج عنه ويطْلِق سراحه. واستخدم الشاعر في تصوير حاله أسلوبا أدبياً رائعا، وكلمات قوية موحية، فشبه نفسه بالأسير، وأسند عمل الفعل (يكاد) إلى الروح الذي لا تصرف له، وكذا استعماله أسلوب النداء في (فيا عبد الكريم متى اللقاء؟) وأسلوب الاستفهام في (متى أفدى؟) و(ألا تملي الرسالة؟) و(أعجَّل أم أأجَّل؟) وكذا أسلوب القسم والتمني في

قوله: (لحقي ليت شعري..). كل ذلك لتجسيم حالته النفسية، ليرتسم قلقه النفسي أمام المتلقي.

وهكذا كان الشعراء يعبرون عن ظروفهم بشعر الحنين بأسلوب أدبي راق، وخيال واسع، وعاطفة فياضة صادقة.

أشعار النيجيريين الحنينية في السودان:

قد يكون أول ما يطالعنا من شعر حنين النيجيريين في السودان قصيدة أحد طلاب البعثة النيجيرية الأولى إلى السودان المكونة من سبعة أفراد في عام 1953م[13]. قاضي قضاة شمال نيجيريا الأسبق؛ الشيخ أبي بكر محمود غُمي، (رحمه الله)، ومطلعها:

بكيتُ لدمع العين مني تدفق تساورني الأحزان ليلا فأعرق

تطول الليالي وهي سجن وزهرها تبطئ سيراً في الدجى تتألق [14]

يحن الشاعر على وطنه، نيجيريا وتضربه الغربة في السودان، فيبكي بدموع متدفقة، وتساوره الأحزان التي تطيل لياليه، ويشعر في قرار نفسه أنه سجين، كل ذلك لبعده عن الأوطان والخلاَّن.

وتلت وفدَ غمي وفود كثيرة، ولم يزل النيجيريون يفدون إلى السودان لدارسة فنون وعلوم مختلفة. كما أنهم ما زالوا يقرضون قصائد حنينية، ما بين طويلة وقصيرة، وتتميز هذه القصائد بما يأتي من الخصائص الفنية:

أولا: أفكارها:

تشتمل غالبية قصائد حنين النيجيريين في السودان على البكاء من الغربة وفراق الأحبة، إلى حد يحملهم ذلك إلى مقت كل ما له دور – مهما قلّ – في إبعادهم عن بلدهم، وفي قذفهم إلى السودان، كما فعل الشيخ أبو بكر غمي الطائرة في قصيدته السابقة عندما يقول:

مطية إبليس اللعين وأهله ومخطر أهل السلم إذ تتحلق

تطير وتمشي في الهواء بأرضها نجوم وفيها النار تذكو وتحرق

فالشاعر يشكو من الطائرة التي عن طريقها يسافر هؤلاء المغتربون غالبا، فعاتبها على أنها هي السبب في وقوعه في هذه الغياهب والعذاب الأليم، ولا يرى هذه الطائرة التي حملته إلى السودان إلا آلة إبليسية مشؤومة (مطية إبليس اللعين)، كما تتراءى له النار التي تذكو من نفقة البنزين لتدفعها إلى الغاية، إنما هي تحترق فقط لتُحرِق راكبيها لأنها (مخطر أهل السلم).

وعلى أي حال، تنطوي في هذه القصائد أفكار فرعية أخرى مساعدة، تتعاضد مع الفكرة الرئيسية وتدعمها، من ذلك ذكر المآثر التاريخية والقومية، يمكن تقسيم القصائد بحذافيرها بذلك إلى قسمين؛ هما:

القسم الأول: الحنين إلى الوطن ومآثره.

القسم الثاني: الحنين إلى الأحباب والأقارب والمشايخ.

وبالتالي تفصيل القول عن خصائصهما على حدة:

القسم الأول: الحنين إلى الوطن ومآثره.

حن النيجيريون على وطنهم (نيجيريا) كثيراً في قصائدهم الحنينية السودانية، مثلما جاء في قصيدة "دولتي" للشاعر طيب مصطفى، يذكر دخول الإسلام فيها، وكبريات لغاتها الثلاث، وحركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، وكما ذكر إسهامات رجالها الفطاحل الأفذاذ في بناء صرحها الثقافي والاقتصادي كما أشاد بمصادر الدولة ومعادنها، وأسماء الولايات فيها، يقول فيها:

يا دولتي نيجيريا يا كعبة ال صـ صلحاء والتجار والعلماء

في عالم الإنسان صارت مهبط ال . إسلام والشرفاء والنبلاء [15]

يحنُّ الشاعر على وطنه نيجيريا فيناديها (يا دولتي) ويمجدها بأنها (كعبة الصلحاء، والتجار والعلماء)، بل ويتحلّق في عالم الخيال، وتضرب عاطفة الحب لها فيرفعها إلى

(مهبط الإسلام والشرفاء والنبلاء). ولا يخفى ما يشعر به الشاعر من معاناة بعده عن وطنه العزيز وقت قرض هذه القصيدة، ومن حرقة حب وشوق. وقد يكون هذا ما دعاه إلى الاستطراد في تفصيل مناقب الوطن ومواطن تفوقه في العلم والعمل، وفي الدين والدنيا، فقال:

ولقد تسرب بيننا إسلامنا من عقبة بن عامر بوفاء
من هجرة المحمود خير الخلق سي . يدنا محمد منقذ الغر باء
ولنا من الثروات جم معادن وعلوم دين الله خير دواء

القسم الثاني: الحنين إلى الأحباب والأقارب والمشايخ:

يتمتع شعر حنين النيجيريين في السودان بذكرى الأحباب وذوي قرباهم ومشايخ بلدهم مع ذكر مناقب هؤلاء المشايخ، ويعبرون عما تجيش به نفوسهم من ألم الغربة وحرقة الفراق، كما يُرى في قول طيّب:

نعم المجدد بن فود ي جاهد لله جدد ديننا بلواء
فتوى الفطاحل والجهابذة من ال . علم لنشر الدين دين بقاء
إذا طار طير فـي الهواء ليهتف هتفا ببيئته من الآباء
يا حبذا لو دام ليل تواصل بين الأحبة فـي تقى وإخاء[16]

ومن ذلك قول الشاعر الأمين:

فهل علم المحبوب بؤسي لبعده وهل كان فيما نالني يترقق
بذكري لأولادي الكرام يهزني إليهم حنين والنهى تتفرق

يستعيد ذكريات الأحباب؛ من الأولاد والأزواج وذوي القربى، والمعلمين والشيوخ، والأصدقاء والزملاء، ويتذكر العيش الرغيد الهادئ الذي معهم قبل اغترابه إلى السودان، ويفوه معترفا بأن حاله قد تغيرت بعد هذا الفراق حتى صار شبه هيكلٍ. ومن هذا القبيل قوله في قصيدة أخرى:

أبلغ أعز الناس عندي أنني قد صرت لما غاب عني هيكلا
أصبحت في وضع عصيب لا أعي نبأ إذا ما عن "كدونا" قد خلا[17]

ويحاول الشاعر تكليف نفسه الصبرَ النَّفور على الفراق، لما يعاني منه من هذه الغربة والوحشة، ويحنّ إلى الوطن العزيز، كما قال شاعر:

والصبر قد ناديته فأبى وكا ن إذا رأى شبحي يفر مهرولا[18]

بناء شعر حنين النيجيريين في السودان:

يؤثر شعراء الحنين النيجيريين في السودان لبناء شعرهم الخوض في الموضوع مباشرة، وهذا هو الغالب فيها، وقد يعود هذا إلى استحواذ الحنين عليهم، كما يُرى في قصيدة طيِّب مصطفى التي افتتحها بقوله:

يا دولتي نيجيريا يا كعبة الصـ صلحاء والتجار والعلماء[19]

بدأ الشاعر بنداء (دولتي) بأداة نداء المنادى البعيد مرتين فقال: (يا دولتي!) و(يا كعبة الصلحاء)، وذلك لبعد جسمه منها مع أنها لصيقةَ روحه وفكره لم تنفكّ عنها لحظة.

ومن هذا القبيل ما يصادف من بعض هؤلاء الشعراء يبدأ بالاشتياق إلى العودة إلى الوطن في تلهف، كما يتراءى في قصيدة الأمين محمد حمزة (مرارة الفراق):

هل موعدي بك يا بلادي قد دنا؟ قال المطار: لعل إي ولعل لا[20]

فهو يتساءل في تلهف هل دنا موعده. لكنه فوجئ في جواب ذلك بأنه بين الخوف والرجاء.

وكثيرا ما يتهولون من ألم الغربة وشدة لذعتها عليهم، إلى حد أنه يكاد يبلغ ببعضهم مبلغ اليأس والقنوط، فيفتتحون القصيدة به، كما فعل الأمين في القصيدة السابقة بقوله:

ذقت المرارة في الفراق تفوق كُلـ ل تصور للذهن أن يتخيلا
إني ابتليت بغربة عمياء سو دانية أعظم بهذا الابتلا
أأمين.لا تيأس، فإن اليأس للـ آمال حلاق يضاهي المنجلا

من لم يذق طعم الفراق فما درى كنه المحبة نارها والمرجلا

فالمرارة التي ذاقها ولم يذوقها الشاعر بلغت في الشدة غايتها، ذلك لأنه ابتلي بغربة عمياء سودانية، يكاد ييأس من النجاة منها، فيتبادر في تدارك وضع هذا التيار الجارف لينصح نفسه (لا تيأس، فإن اليأس للآمال حلاق...). ويرى في هذه الغربة فائدة بليغة وهي وقوفه على قدر وقيم المحبة قائلا: (من لم يذق طعم الفراق فما درى كنه المحبة...)

وقد يبلغ الأمر بالشاعر إلى الأرق ومقاساة بلابل الليل وعدم الهجعة، في مضاضة قلب، كما في مطلع قصيدة الشيخ أبي بكر محمد غمي:

بكيت لدمع العين مني تدفق تساورني الأحزان ليلا فأعرق

تطول الليالي وهي سجن وزهرها تبطئ سيراً في الدجى تتألق

الخصائص الفنية لشعر حنين النيجيريين في السودان:

بما أن خصائص شعر حنين النيجيريين الفنية كثيرة ومتشعبة، تكتفي هذه المقالة بذكر نبذة منها تحت البنود الآتية:

العواطف:

العاطفة ركن أساسي في التشكيل الشعري ذلك لأنه "يمكن تصوير معاني الشعر فقط عبر ثلاثةٍ؛ الفكر والوجدان والإرادة، والوجدان هو أساس العاطفة ومركزها، وهو كذلك الجانب النابض الحساس في النفوس، وهو كذلك موطن اللذة والألم" [21]، وتبدو عواطف شعراء هذا اللون من الحنين عامة صادقة وحارة، ولا يختلف النيجيريون المغتربون في السودان في ذلك، إلا أن هذه الميزة الفنية تتفاوت بينهم طبقا لمعاناة الشاعر وتجربته الشعرية والشعورية، يستخدمون في ذلك ألفاظاً مصوِّرة أو موحية، فاسمع إلى قول الأمين (ذقت الأسى...)، و(ذقت المرارة...)، و(إني ابتليتُ"، ليأخذ بيد المتلقي إلى تقمص شخصيته واستكناه حالته النفسية والعاطفية.

ذقت المرارة في الفراق تفوق كُلـ ل تصور للذهن أن يتخيلا

إني ابتليت بغربة عمياء سو دانية أعظم بهذا الابتلا [22]

يصور لك الشاعر في هذين البيتين عاطفة القهر التي يخضع لسيطرته وانظر كذلك إلى قول "غُمي":

بكيت لدمع العين مني تدفق تساورني الأحزان ليلا فأعرق

تطول الليالي وهي سجن وزهرها تبطئ سيراً في الدجى تتألق

فهو يبكي لدمع العين، وتساوره الأحزان، فيعرق، وتطول لياليه، وهي سجن عليه. كل هذا ليصور لك عاطفة الحزن الكئيب الذي يسيطر على الشاعر.

ومن عواطف شعراء الحنين النيجيريين في السودان عاطفة الحيرة والضعف، كما في قول الشاعر الأمين محمد حمزة:

فهل علم المحبوب بؤسي لبعده وهل كان فيما نالني يترقق

بذكري لأولادي الكرام يهزني إليهم حنين والنهى تتفرق

وكما في قوله:

أبلغ أعز الناس عندي أنني قد صرت لما غاب عني هيكلا

يُلمس عاطفة الحيرة في هذه الأبيات، وخاصة عند استخدام الشاعر الأمين أداة الاستفهام مستفسراً معرفة المحبوب حالَه أم عدم ذلك بقوله: (فهل علم المحبوب بؤسي!)، كما يقف المتلقي على عاطفة الضعف حينما عبر الشاعر عن نحاله ووهنه بقوله: (قد صرت لما غاب عني هيكلا)

الصور والأخيلة:

الصور هي مطية الشاعر التي ينتقل بها من عالَم الواقع إلى عالم جديد، يكفيه أهمية قول الجاحظ "إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير"[23]، يشكل الشاعر تلك الصور بالتشبيهات والاستعارات والكنايات. على حسب ما فعل شعراء الحنين النيجيريين في السودان، مستخدمين ألفاظاً تتمتع في غالبها بالشفافية والوضوح، مما جعلها قادرة على

تقريب نفسياتهم إلى مشاعر المتلقين، فكانت من أحسن قصائدهم الفنية، وقد استخدموا في ذلك التشبيهات والاستعارات والكنايات، كما أنهم تخيّروا ألفاظا ملائمة موحية بالمعاني المقصودة، ومن ذلك استعمال لأنواع الاستعارات في مثل شعر الأمين:

ذقت المرارة في الفراق تفوق كُلـ ل تصور للذهن أن يتخيلا

إني ابتليت بغربة عمياء سو دانية أعظم بهذا الابتلا

ففي قوله: (ذقت المرارة) استعارة مكنية حيث شبه الشاعر معاناته بالحنظل، فحذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه وهو (المرارة) ليصور للمتلقي مقاساته ومتاعبه، كما أنه شبه غربته بعجوز عمياء فحذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه (عمياء) على نفس سبيل الاستعارة المكنية. وكما فعل في استخدام التشبيه المؤكد في قوله (قد صرت لما غاب عني هيكلا)، حيث شبه نفسه بالهيكل، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ليرسخ في خلد المتلقي صورة الشاعر هيكلا ماثلا أمامه وقت القراءة.

ومن هذا القبيل تشحين أضرب من التشبيهات التمثيلية في مقام واحد كما فعله طيّب في قوله:

يا دولتي نيجيريا يا كعبة الصـ صلحاء والتجار والعلماء

ينادي الشاعر دولته بـ: (يا دولتي نيجيريا يا كعبة الصلحاء والتجار والعلماء)، فشبه دولته "نيجيريا" في استقبال الصلحاء والتجار والعلماء إليها في شغف ولهف، بالكعبة التي يتلهف المسلمون إليها في هرولة من كل فجٍّ عميق، لمشابهة حال هؤلاء بحال هؤلاء من السعي الحثيث لطلب قضاء الحاجة وبلوغ الغاية، والحصول عليها.

الموسيقى:

للموسيقى دورها الفعال في لغة الشعر، تبرز أهميتها في أنها من أهم ما يميزه عن غيره من فنون الأدب الأخرى، "ذلك لأن الموسيقى في الشعر ليس بعيداً عن الفكر والعاطفة والخيال والصورة التعبيرية"[24]، فيمكن الشاعر "من مخاطبة النفس البشري بصورة مباشرة" [25]،

ذلك لأن الموسيقى "سريعة التأثير في الوجدان؛ تخاطب فكره وشعوره بطريقة مباشرة" [26].
فقسمها العلماء إلى:

أ. الموسيقى الظاهرة؛ وتتمثل في العروض والقافية.

ب. الموسيقى الداخلية؛ وتتمثل في حسن تخيُّر الشاعر لأصوات لغته الشعرية بدءاً بالأصوات، فالألفاظ إلى مواءمة التراكيب، ومجانبتها للتعقيدات اللفظية والمعنوية.

وإذا أُلقيَ النظر إلى التشكيل الموسيقي لحنين النيجيريين في السودان يمكن القول بأنهم أحسنوا، في كلا الموسيقيَّين؛ حيث أنهم نظموا جميعه في الأوزان الطويلة؛ وهي أوزان تمكِّن الشاعر من التنفيس بمشاعره وخلجات نفسه، واستحسنها العلماء؛ ذلك لأنها تمكن الشاعر من الإفصاح بتجاربه في تلك الأوزان الكثيرة المقاطع، ومن تلك الأوزان المستخدمة في أشعارهم بحر الطويل، الذي يتركب من (فعولن مفاعيلن 4x)، كما في قصيدة غُمي:

بكيت لدمع العين مني تدفق تساورني الأحزان ليلا فأعرق

وكما في قصيدة الأمين:

فهل علم المحبوب بؤسي لبعده وهل كان فيما نالني يترقق

وجاءت قصائد شعراء الحنين النيجيريين كذلك في بحر الكامل المتشكل في تفعيلة واحدة (متفاعلن 4x) كما في قصيدة طيب:

يا دولتي نيجيريا يا كعبة الصـ صلحاء والتجار والعلماء

الخاتمة:

استطاع النيجيريون الذين أطاح بهم القدر المحتوم عبر وسائل السفر الجوية والبرية والبحرية إلى السودان لأسباب كثيرة أن يعبروا عن حالاتهم النفسية بما يقاسون به من ألم الغربة وحرقة الحنين إلى كل من البلاد وذوي القربى والأحباب والسادة والمشايخ،استطاعوا كل ذلك بلغة الشاعر البليغة النابع عن عاطفة صادقة مستخدمين صوراً شعرية رائعة تتمتع

بالضفافية والشفافية. وهذا هو كل ما حاولت هذه المقالة إلقاء الضوء عليه، إن لم يكن كاشفا فعسى أن يكون منيراً.

الهوامش:

1. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com،ص: 1538.
2. محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف ، تح: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر, دار الفكر ، بيروت, دمشق، ط1، عام: 1410هـ، ص: 298.
3. إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي: الصحاح في اللغة ، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com، ص 152.
4. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم ، تح: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عام: 2000م، ج2، ص 524.
5. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: فقه اللغة ، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com، ص 761.
6. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين : الكتابة و الشعر، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com، ص 40.
7. نفس المرجع السابق والصفحة.
8. الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي: المحاضرات في اللغة و الأدب ، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com،ص 75.

9. جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري : ربيع الأبرار ، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com، ص: 208.

10. محمد بن عبد الله بن الأبار: الحلة السيراء، المكتبة الشاملة، النسخة المكية(1)، الإصدار الثالث، موقع المكتبة: alshamela1@gmail.com، ص: 10.

11. أحمد عبد الرحمن آدم: شعر الحنين وخصائصه الفنية من قصيدة الأمين أحمد حمزة "مرارة الفراق" ، مقالة في مجلة المعيار ، الصادرة عن قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا – نيجيريا. عام 2012م، ص: 165.

12. أحمد جعفر عبد الملك: قصيدة "تحفة الرجاء" للشيخ شئت كسفا زاريا– تحقيق ودراسة، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا، عام 2011م (مخطوط) ص: 38 – 60. * وكلمة (الإغتراب) هكذا بهمزة القطع لئلا ينقطع الوزن.

13. زينب علي محمد: قصيدة الحنين إلى الوطن للشيخ أبي بكر محمود غمي: دراسة وتحليل، بحث تكميلي لنيل لنيل شهادة الليسانس في الـلغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة ولاية كادونا – نيجيريا، عام: 2009م، ص: 6.

14. زينب علي محمد: قصيدة الحنين إلى الوطن للشيخ أبي بكر محمود غمي: دراسة وتحليل، بحث تكميلي لنيل لنيل شهادة الليسانس في الـلغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة ولاية كادونا – نيجيريا، عام: 2009م، ص: 6.

15. حواء بلاربى: شعر طيب مصطفى، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا4لا عام 2011م (مخطوط) ص:

16. حواء بلاربى: شعر طيب مصطفى، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا4لا عام 2011م (مخطوط).

17. أحمد عبد الرحمن آدم: المرجع السابق، ص: 168.

18. أحمد عبد الرحمن آدم: المرجع السابق، ص 169.

19. "مَدَرُو" هي القرية التي ولِد فيها الشيخ شئت، تقع الآن في ولاية "زمفرا"، على بُعد ثماني عشر كيلومترا جنوب "ين دوتو". انظر: أحمد جعفر عبد الملك: الملامح الفنية لقصائد الشيخ شئت بن عبد الرؤوف "كسفا" زاريا، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم اللغات النيجيرية والإفريقية، جامعة أحمد بلو، زاريا، عام 2001م، (مخطوط) ص 3.

20. أحمد عبد الرحمن آدم: المرجع السابق، ص 165.

21. د. أحمد شاذلي فرهود (وآخرون): النقد والبلاغة، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ط2، ص 102، (بتصرف).

22. أحمد عبد الرحمن آدم: المرجع السابق، ص 165.

23. أحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 4، عام: 1404هـ/1983م، ص : 424، نقلا عن الإمام عبد القاهر الجرجاني في: دلائل الإعجاز، ص354.

24. أحمد جعفر عبد الملك: قصيدة "تحفة الرجاء" للشيخ شئت بن عبد الرؤوف "كسفا" زاريا، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية، جامعة أحمد بلو، زاريا، عام 2011م، (مخطوط) ص .

25. أحمد جعفر عبد الملك: نفسه، ص:

26. د. أحمد شاذلي فرهود (وآخرون): النقد والبلاغة، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ط2، ص 112.

أساليب الطباق بين الفعلين في بعض سياقات النص القرآني

الدكتور \ناصر مرتضى إبراهيم
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ولاية كدونا – نيجيريا

ملخص المقال:

يتجلى للقاري في هذا المقال أن سمة البحث في وجوه إعجاز القرآن ومحاولة اكتشاف مواطن أسراره الجمالية أمر مستمر منذ قديم إلى يومنا هذا, وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها,ذلك أن وجوه إعجاز القرآن لا ينقطع ينبوعه يتفجر منه صور جمالية رائعة تسر الناظرين إليها,مهما تعمق الإنسان وتدبر في آياتهتعالى ظهرت له وجوه جمالية أخرى هائلة تمتد به إلى آخر نظرة ينظر بها الإنسان إلى القرآن في آخر لحظة من عمره,فجاء الباحث لهذا المقال يحاول الإسهام في سلك من سبقه من العلماء في خدمة القرآن والتدبر فيآياته,لإخراج شيئا من جمالياته, علّه ينال الأجر من الله تعالى طاعة لأمره في قوله﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [1] ويحتوي هذا المقال على النقاط الآتية

وهي: المدخل, وقضية الإعجاز القرآني, ومفهوم التطباق, وأنواعه, وجمالية التطابق بين فعلين, ثم الخاتمة, والهوامش.

المدخل:

تحيرت عقول العرب في الجاهلية لما سمعت آيات القرآن تتلى من الرسول ρ وغيره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم, وكان العرب يومئذ مطبوعين على سلاقتهم العربية الأصيلة,فما من أسلوب عربي إلا عرفوا ينبوعه الأصلي وما يرمي إليه من فصاحة الكلام وجودة التعبير, وهم ذوي الأذواق الحساسة في معرفة عيون الكلام ومذاهبه, وعندما سمعوا تلاوة القرآنفي الوهلة الأولى لنزول الوحي من الرسول صلى الله عليه وسلم إزداد عقولهم تحيرا وغرابة بأسلوبه وطريقة نظمه وتنسيقه وترتيب حروفه وألفاظه ومعانيه, وهم على علم بأن القرآن من جنس كلامهم إلا أنه يمتاز بأشياء – من وجوه إعجاز القرآن – مما لا يستطيعون إداركه في ذلك الوقت.

ولما أسلم العرب على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتعاقبت الأيام والليالي في تلاوة القرآن وتفسيره, نادى القرآن جميع أجناس البشر أفرادهم وجماعاتهم من ذوي الأذواق السليمة إلى تدبر آياته والتأمل فيه بقوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2] فانطلقت سلّة من العلماءذوي الأذوق السليمة إلى إعادة النظر في سياق النص القرآني و البحث في أسرار بلاغته ووجوه إعجازه, بغية إدراك مواطن الجمال الكامن في سياقات أساليبه, وهذا مما جعل بعض العلماء الأجلاء يقومونللبحث في قوالب القرآن وأساليبه لعلهم قد يجدون فيه ضالتهم المنشودة, فحق لهم أن وجدوه بين قوالب ألفاظه ومعانيه ظواهر جمالية هائلة ; من بينها التطابق بما فيه من الضروب المتشعبة ذات الجمال والروعة من الآيات القرآنية التي ما زالت إلى يومنا هذا تسر الناظرين, ولا تزال كذلك إلى الأبد تعطي أكلها كل حين ما دامت السماوات والأرض, وتقول بنت الشاطيء في هذا المعنى: "من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة

الدارسين العلماء جيلا بعد جيل, ثم يظل أبدا رحب المدى سخي المورد, كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية, امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمح, عاليا يفوت طاقة الدارسين." [3] جاء هذا المقال يهدف إلى دراسة وظائف أساليب الطباق بين فعلين في سياق النصوص القرآنية لإبراز وجوه الجمالية والروعة الكامنة فيها.

قضية الإعجاز القرآني:

تعدد مدلول معنى كلمة الإعجاز في معانيها اللغوية الاشتقاقية إلى أنها من مصدر (أَعجَز يُعجِزُ فهو إِعجَازُ), وأصله مأخوذ من العجز وهو الضعف. قال الجوهري: "والعَجَزُ الضعف, تقول عجزت عن كذا, أعجز بالكسر عجزا, ومعجزة ومعجزة, ومعجزا"[4]

وجاءت مادة الإعجاز في التهذيب من مصدر:"عَجَزتُ عن الأمر أَعجَزَ عنه عَجِزا ومُعجِزَة."[5]

وعند ابن منظور قال: "يقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا" وقال أيضا: "وأعجزه الشيء, عجز عنه."[6]

وفي المعجم الوجيز جاءت هذه المادة بمعنى: "المعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي تأييد لنبوته."[7]

ولما ظهرت قضية إعجاز القرآن في القرن الثالث الهجري, [8] التي أدت إلى إشعال نيران الفتنة الكلامية والجدال الشرس بين الطوائف الإسلامية وخاصة فيما تتصل بالنبوة والمعجزة,فذهب فريق من العلماء الأجلاء إلى وضع مؤلفات كثيرة محاولة إلى علاج مشكلة وجوه إعجاز القرآن,علّه يبرم الجدال القائم بين المسلمين في قضية بلاغة النظم القرآني ووجوه إعجازه البياني, فأصدروا كتبا قيمة في هذا المجال, من بينها كتاب"تأويل مشكل القرآن"لابن قتيبة, و"مقالات الإسلاميين "لابن الحسن الأشعري، وكتاب "حجج النبوة" للجاحظ, وكتاب "الانتصار" لابن الحسن الخياط, كما ألف المفسرون كتبا أخرى محاولة بها

إلى معالجة وجوه إعجاز القرآن, من بينها أيضا كتاب "جامع البيان" للطبري, وكتاب "مجاز القرآن" لابن قتيبة, وكتاب "نظم القرآن" للجاحظ, وكتابي "دلائل إعجاز القرآن" و"إعجاز القرآن" للباقلاني, وكتاب" إعجاز القرآن" للسيوطي، وكتاب "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" للرافعي, وكتاب "الإعجاز البياني للقرآن" للدكتورة عائشة بنت الشاطيء, وكتاب "البيان في إعجاز القرآن" للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي, وكتاب "بلاغة النظم القرآني" للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود وكتاب "دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن" للدكتور المحمدي عبد العزيز الحناوي, وكتاب "الإعجاز القرآني ووجوهه أسراره" للدكتور عبد الغني محمد سعد بركة, وكتاب "مباحث في إعجاز القرآن" للدكتور مصطفى مسلم, وكتاب "أسس فنية للإعجاز البياني" للدكتور محمد كبير يونس, وغيرها من الكتب والرسائل العلمية التي تناولت موضع إعجاز القرآن بالبحث عن وجوه بلاغته ووطريقة نظمه وإعجازه,وكل هذه الكتب ترمي إلى كشف أسرار بلاغته و وجوه إعجاز القرآن الكامن في حروفه وألفاظه وجمله ومعانيه وطريقة نظمه, وغيرها من المواطن الفنية.

مفهوم الطباق:

حاول علماء البلاغة العربية إلى تحديد معنى الطباق وعلى هذا يقول وأبو هلال العسكري بأنه:"هو الجمع بين المعنى وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة,من الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار, والحر والبرد."[9]

ويعبر عبدالعزيز عتيق في هذا المعنى بأن: "الطباق في اصطلاح رجال البديع هو الجمع بين الضدين أو الشئ وضده في كلام أو بيت شعر كالجمع بين اسمين متضادين من مثل:النهار والليل والبياض والسواد,والحسن والقبح، والشجاعة والجبن..."[10]

أما أحمد هنداوي هلال فإنه يقول:"هو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة, وهو مأخوذ من طباق الإبل والخيل ونحوهما يقال: طاب الفرس, إذا وقعت قوائم

رجليه في موضع قوائم يديه في المشي, وطابق البعير في مشيه إذا وضع خف رجله موضع خف يده, وكذلك مشي الكلاب."[11]

وقد تكاد تكون كلمة البلاغيين في تعليل مفهوم التطابق على أنه هو الجمع بين لفظ وضده في المعنى, بحيث يتجلى إنعكاس معنى اللفظين في الجملة فتظهر الصورة بهذا الأسلوب رائعة جليلة.

أنواع التطابق:

تنوعت ظاهرة التطابق في البلاغة العربية إلى عدة أنواع, منها ما كان التطابق بين اسمين, أو فعلين, أو حرفين, أو مختلفين في اسم وفعل,كم يشير إلى ذلك الدكتور أحمد هنداوي [12] في معرض حديثه عن بيان أنواع الطباق.

فيجدر بنا في هذا الصدد أن نشير إلى أن ظاهرة التطابق بين فعلين في سياق النص القرآني الذي يقصد الكاتب أن يركز عليه بالذات, علّه قد يساهم في إبراز بعض الصورالجمالية لأسلوب الطباق بين فعلين في سياق النص القرآني,وقد يشارك في نيل الأجر من الله تعالى, اقتداء بمن سبقه من العلماء الأجلاء في فن البلاغة العربية إلى التأليف في الجوانب المختلفة محاولين إلى إبراز وجوه إعجاز القرآن, فجاء الكاتب لهذا المقال يحاول كشف هذه الظاهرة لتتجلى لنا جمالية صور الأساليب الدلالية في سياق النص القرآني, حتى نستطيع أن نتذوق جمالية هذه الظاهرة البديعية من أساليبها الدلالية الممتعة.

صور وظائف الطباق بين فعلين:

يرد الطباق بين فعلين مختلفين في كثير من الآيات القرآنية الكريمة لأداء وظيفة دلالية في سياق النص القرآني,ومن ذلك قوله تعالى ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ [13] يخاطب الله تعالى البشريةعن كفرانهم في عبادة الله تعالى الذي خلقهم في بطون أمهاتهم من نطفة ثم أحياهم فيها ثم أخرجهم وأحياهم في الدنيا ثم أماتهم بعد ذلك ثم أحياهم يوم القيامة للجزاء.

الشاهد في هذه الآية الشريفة حيث ورد اللفظان المتضادان لتأدية وظيفة دلالية بين فعلين متعاكسين, وهما كلمتا ﴿يميتكم ﴾ الإيجابيو﴿ يحييكم﴾ السلبي,بحيث نشف من خلال استعمال اللفظين الدلاليين كمال قدرة الله تعالى في إيجاد الإنسانمن العدم إلى الوجود, وبعد أن أتى به إلى الوجود فأحياه ثم يميته ثم يحييه يوم القيامة. فتظهر الصورة الكمالية الرائعة لله تعالى على قهريته وتصريف الخلائق متى شاء وفي أي وقت أراد ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[14]

يقول الله تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ [15] ورد استعمال اللفظين المتضادين في سياق النص منالآية الشريفة وهما كلمة ﴿تبدون﴾ وكلمة ﴿تكتمون﴾ وكلاهما فعلان متعاكسان في دلالة المعنى, فالصورة الجمالية الرائعة تظهر في سابق علم الله الأزلي الذيأحاط بكل شيء علما يتطلع على ما تخفيه الكائنات من الأسرار الدقيقة, فضلا عما يخفيه الإنسان في صدرهفسواء على الله تعالى أخفاه الإنسان أم أظهره, فإنه تعالى قادر على إدراك ما يكتمه الإنسان أو يستره.

وفي آية أخرى قريبة إلى ما سبقت,يقول المولى سبحانه وتعالى:﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾[16] فاستعمال اللفظان المتضادان في سياق الأية الشريفة هي التي أعطتنا صورة معكوسة رائعة بين وظيفة الفعلين المتعاكسين في المعنى من لفظ ﴿تخفوا﴾ السلبي, ووظيفة لفظ ﴿تبدوا﴾ الإيجابي,فكلاهما فعلان متضادان كما قلنا, فالوظيفة الدلالية للكلمة الأولى ﴿تخفوا﴾ تشير إلى كتمان الأسرار التي يحاول الإنسان أن لا يظهرها علناً فهي عند الله تعالى ظاهرة, كما تشير الوظيفة الدلالية للكلمة الثانية ﴿تبدوا﴾ على إظهار ما كان خفيا في الصدور من أسرار القلوب.الصورة الجمالية هنا تظهر في شهود الله تعالى وعلمه السابق

الأزلي الذي أحاط به جميع الكائنات الظاهرة والباطنة ﴿عالم الغيب والشهادة هو الرحمان الرحيم﴾[17]

ومنه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا,واذكروا نعمت الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم, فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها, كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[18]

الشاهد في هذه الآية الشريفة حيث استخدم الله تبارك وتعالى كلمتي ﴿واعتصموا﴾ و﴿ولا تفرقوا﴾ وهما فعلان متضادان بهذا الوضع, فنلاحظ أن الأولى تفيد معنى الإثبات والثانية تفيد معنى النفي إلا أنها تأكد معنى الكلمة الأولى في إثبات الأمة الإسلامية على التوحيد والإيمان واتحادهم في الرابطة الإخوانية الإسلامية, واستعمال اللفظين الدلاليين في سياق النص تفيد وجوب اتخاذ بدين الله تعالى وتجديد الإيمان وتوثيقه به تعالى في عبادته كما أمر به على يد سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ومنه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[19] الشاهد في هذه الآية الشريفة أنه تعالى استخدم اللفعلين المتضادين في سياق النص وهما كلمة ﴿يأمرون﴾ الإيجابية وكلمة ﴿ينهون﴾ السلبية, فاجتماع اللفظين الفعلين أفادتنا صورة رائعة بديعة من أنه تعالى يطلب أن يكون في الأمة أناس يدعون غيرهم إلى الهدى والرشاد إذا رأوهم قد أضلوا عن السبيل, وهنا إشارة لطيفة في إلزام المجتمع الإسلامي أن يكون هناك نفر من المسلمين الذين يقومون بالدعوة إلى الله والهدى وإصلاح ما فسد في صفوفهم ويقوي عراهم حتى يكون هناك تعاونبين المسلمين, فالعلماء هم الذين يرشدون الجهلاء إلى الصراط المستقيم, أما السادة فهم الذين يجرون العدل بين الرعية حتى يكون المجتمع الإسلامي آمنا للجميع.

الخاتمة:

يتجلى للقاري في هذا المقال أن الباحث حاولأن يسجل في هذه الجولة القصيرة بعض الملامح الجمالية التي تذوقها القاريء من دراسة بديعية الطباق بين فعلين,واستطاع الباحث إلى استظهار عناصر الجمال والروعة للطباق بين الفعلين في سياق النص القرآني لما بين اللفظين من اختلاف الوظيفة الدلالية,ومما ساعد الباحث إلى اكتشاف هذه الجمالية الفنية أيضا, ذلك لما بين اللفظين المتضادين في المعنى بحيث أن أحدث هذا التبادل الدلالي المعنوي في سياق النص القرآني صورة رائعة مشرقة, ربما لو لم يحدث هذا الانعكاس المعنوى لما ظهرت الصورة بهذا الشكل الرائع الذي يغذي النفوس متعة بجمالية الصورة الفنية.

الهوامش:

(1) سورة محمد آية 24

(2) سورة محمد آية 24

(3) بنت الشاطيء, عائشة. الإعجاز البياني للقرآن, الطبعة الثالثة, دار المعارف,سنة 1971م . 1391هـ, ص19

(4) الجوهري. الصحاح, مادة:"عجز" الطبعة الأولى سنة 1998 م . 1418 هـ (ج 1 \704).

(5) الأزهري, أبو منصور. تهذيب اللغة, المطبعة الأولى, من الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة, سنة 1966م, ص:101.

(6) ابن منظور.لسان العرب, مادة "عجز" الطبعة الثالثة سنة 1998 م . 1414 هـ دار صادر القاهرة(ج5 \369)

(7) المعجم الوجيز,طبعة2003 . 2004

(8) بنت الشاطيء, عائشة.الإعجاز البياني للقرآن,الطبعة الثالثة, دار المعارف,سنة 1971م . 1391هـ, ص19 _ 20.

(9) أبو هلال العسكري, كتاب الصناعتين, ص339

(10) عتيق, عبدالعزيز (الدكتور).علم البديع, الطبعة الأولى 2006م . 1427 هـ دارالأفاق العربية القاهرة, ص53.

(11) هلال, أحمد الهنداوي (الدكتور), فنون بديعية, الطبعة الأولى, مكتبة وهبة سنة 2008 مص25.

(12) المرجع السابق ص26.

(13) سورة البقرة آية 28.

(14) سورة الأنعام آية 61.

(15) سورة البقرة آية 33.

(16) سورة آل عمران آية 29.

(17) سورة الحشر آية 22.

(18) سورة آل عمران آية 103.

(19) سورة آل عمران آية 104.

أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا: واقعه وآفاقه

د.محمد الثاني إبراهيم
شعبة اللغة العربية، في قسم الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية علوم التربية، بجامعة أحمد بلو، زاريا

الملخص:

عالجت هذه الورقة "أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا:واقعه وآفاقه" مسألة حضور أدب الأطفال بشقيه الشعري والنثري في الأدب العربي النيجيري، بحيث اكتشفت الورقة ضآلة الاهتمام بهذا النوع من الأدب. فقد تم تناول الورقة من خلال ثلاث نقاط: تناولت النقطة الأولى مفهوم الأطفال ومراحل الطفولة، وعالجت النقطة الثانية المقصود بأدب الأطفال ونشأتها ووظائفها ووفنونها. أما النقطة الثالثة فتركزت على واقع وآفاق أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا. وأخيرا قدمت الورقة اقتراحات من شأنها أن ترتقي بمستوى أدب الأطفال في نيجيريا.

مقدمة:

يحتل أدب الأطفال في الدول المتقدمة مكانا متميزا، وذلك انطلاقًا من اقتناعها بأن الأطفال هم مستقبل الحياة، إذ أن قوة أي أمة وإمكاناتها إنما تتوافر بقدر ما تُهيّأُ لكل طفل من مجالات وفرص من أجل تنمية قدراته ومهاراته، وبالتالي، تهيئته للقيام بدوره فيمابعد. هذا بالإضافة إلى أن الأطفال يشكلون شريحةً كبيرة من أفراد أي مجتمع. ولعل أهمية أدب الأطفال تنبع بشكل خاص من كونه يشكل أيضا أداة أساسية للتأثير على الطفل مستفيدا من نصاعة تفكيره، واتساع أفقه، ورحابة خياله، إلى جانب رهافة حسه ورقة مشاعره. لذلك

يولى تعليم اللغة العربية لهذا النوع من الأدب عناية خاصة. وتسعى هذه الورقة إلى تناول واقع أدب الأطفال وآفاقه في نيجيريا وذلك بمحاولة الإجابة عن أسئلة أهمها ما يلي:

أ –من هم الأطفال ؟ وما مراحل الطفولة ؟

ب– ما المقصود بأدب الأطفال؟ ومتى نشأت؟ وما وظائفها؟ وما فنونها؟

ج– وما واقع أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا؟

د– وما آفاق أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا؟

I. الأطفال ومراحل الطفولة

I . I . المقصود بالأطفال ومراحل الطفولة:

الطفل لغة واصطلاحا : عرّف معجم الوجيز كلمة "الطفل" بأنه عبارة عن "المولود حتى البلوغ، وجمعه أطفال، أما الطفولة فهي المرحلة التي تبدأ من الميلاد إلى البلوغ". (1) وأما كلمة الطفل في اصطلاح علماء علم النفس فلها مدلولان : مدلول عام، يطلق على الصغار من سن الولادة حتى النضج الجنسي، ومدلول خاص، يطلق على الصغار من فوق سن المهد حتى سن المراهقة.(2)

ويلاحظ من هذين التعريفين اللغوي والاصطلاحي أنهما يتفقان في أن للطفولة مرحلة عمرية تبدأ مباشرة بعد الولادة وتمتد إلى مرحلة عمرية متقدمة.

وقد تم تقسيم مرحلة الطفولة إلى مراحل، تتميز كل مرحلة بخصائص معينة، فما يصدق على الأطفال في عمر معيّن قد لايصدق على أطفال آخرين في عمر آخر، لأنهم" لايشكلون جمهورا متجانسا في ميوله، وعواطفه، ورغباته، وحاجاته، ودوافعه، إذهم يتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا حسب مراحل النمو الجسمي، والعقلي، والنفسي، واللغوي، والاجتماعي، وتغلب على كل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة. وهذه الخصائص تحدد كثيرا من المؤشرات لأدب الأطفال، حيث يضعها أديب الأطفال في اعتباره عند التفكير فيما يقدم

للأطفال من ألوان أدبية، إذ لابد أن يتفق مايقدم للأطفال من ألوان أدبية –شكلا ومضمونا وأسلوبا– في كل مرحلة، مع خصائص الأطفال فيها في كل مجال من مجالات النمو. (3)"

وبناء على ذلك تم تقسيم مراحل الطفولة– باعتبار مايقدم لهم من أدب– إلى أربع، وهي كالتالي:

1 – مرحلة الواقعية والخيال المحدود: وتشمل هذه المرحلة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث إلى خمس سنوات، كما تتسم هذه المرحلة بضيق عالم الطفل، حيث ينحصر عالمه في الأم والأب والإخوة وبعض معارفه من الجيران، والأقارب، والباعة المتجولين في محيطه، والدمى التي يلهو بها، والملابس التي يرتديها، والطعام الذي يأكله، والبيت الذي يعيش فيه، والحيوانات الأليفة التي تحيا قريبا منه..ويستمرئ الأطفال في هذه الفترة الأشكال القصصية التي تحتوى على شخصيات مألوفة لهم من البشر(كالأم والأب أو الأطفال الصغار) والحيوانات والنباتات . كما أنهم مغرمون بالقصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال والتي تكون شخصياتها من الحيوان أو الجماد ناطقة متحركة.

2 – مرحلة الخيال المنطلق: وتتضمن هذه المرحلة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين ست إلى ثماني سنوات. وُيظهر الطفل في هذه المرحلة رغبة حقيقية في ركوب الحصان، ومحادثة رفاق حقيقيين، أي إنه يتحول من ذلك الخيال المحدود ببيئته إلى الواقعية في خيالاته غير المحدودة. ويتسع في هذه المرحلة فضول الطفل، ويكبر معه حب الاستطلاع عوالم أرحب من تلك التي كان فيها في المرحلة السابقة، فهو دائم التساؤل في موضوعات مختلفة ، كمايتميز الطفل في هذه المرحلة بنموسريع في الخيال، وبشدة تطلعه إلى الآفاق البعيدة، لذا يتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مضامينها عن محيطه وعالمه، بل نجد الطفل ينجذب للإنصات إلى القصص الخرافية أيضا بما في ذلك قصص الجان والعفاريت وبلاد العجائب.

3 – مرحلة البطولة: وتقوم هذه المرحلة على الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثماني أو تسع سنوات إلى اثنتي عشرة سنة. وينتقل الطفل– في هذه المرحلة – من مرحلة الواقعية والخيال المنطلق إلى مرحلة هي أقرب إلى الواقع، إنه يبتعد عن الأمور الخيالية بعض الابتعاد، ويهتم بالحقائق ويشتد ميله إلى المقاتلة، والسيطرة، والألعاب المختلفة، وخاصة الألعاب التي تتطلب المهارة والمنافسة، ولذلك نجده يعجب كل الإعجاب بالأبطال والمغامرين. أما البنات فإنهن يغرمن بالقصص التي تتناول الحياة المنزلية والأمور العائلية مثلما يغرمن بالقصص التي تتحدث عن الجمال.

4 – المرحلة المثالية: و تركز هذه المرحلة على الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين اثنتي عشرة سنة إلى خمس عشرة سنة. ويأخذ الطفل في بداية هذه الفترة بتجاوز حياة الطفولة بحيث ينتقل من مرحلة تتصف بالاستقرار العاطفي النسبي إلى مرحلة دقيقة شديدة الحساسية، حيث تحصل فيها تغييرات واضحة يصحبها ظهور القوى الجنسية واشتداد الميل الاجتماعي وتبلور النظريات الفلسفية عن الحياة.كما تزداد رغبة في الاستقلال وحاجته إلى أن يغدو شيئا مذكورا.(4)

II. أدب الأطفال: مفهومه، ونشأته ووظائفه

2. 1. مفهوم أدب الأطفال:

عرف الهيتي أدب الأطفال بأنه عبارة عن "الآثار الفنية التي تصور أفكارا وإحساسات داخلية تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال : القصة، والشعر، والمسرحية، والمقالة، والأغنية. (5) وفي تعريف آخر: هو عبارة عن "خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان، وبخاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلا، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال

وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان". (6)

إلا أن ثمة تشابها واختلافا بين أدب الأطفال وأدب الكبار، فهما يتفقان في المبادئ العامة، ويختلفان في الخصوصية..فأدب الأطفال، هوجزء من الأدب بشكل عام، ينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من تعريفات، إلا أنه يتخصص في مخاطبة فئة معينة من المجتمع، وهي فئة الأطفال، وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعا لاختلاف العقول والإدراكات، ولاختلاف الخبرات نوعا وكما. (7)

2. 2. نشأة أدب الأطفال عالميا وعربيا:

يرى الدكتور أنور أنه على الرغم من وجود بذور أدب الأطفال في الحضارات القديمة، فإن أدب الأطفال بصفته فنا مستقلا بذاته، لم يظهر في العالم إلا في القرن السابع عشر. ويعد العام 1697 عام ميلاد أدب الطفل، وهي السنة التي نشر فيها الكاتب الفرنسي شارل بيرو أول مجموعة قصصية للأطفال بعنوان :"حكايات أمي الإوزة"، جمع فيها عددا من الحكايات الشعبية في أوروبا، منها ما يعد من أشهر القصص العالمية، التي لاتزال متداولة حتى الآن. وبعد قصص شارل بيرو الممتعة، جاءت محاولات لسيدات مثل ليرنس دي بومون، حيث كتبت عددا كبيرا من القصص للأطفال. ثم جاء جان جاك روسو ونشر آراءه عن طريق كتابه (اميل) اهتم فيه بدراسة الطفل كإنسان قائم بذاته وله شخصيته المستقلة. وفي القرن الثامن عشر أيضا ظهرت قصص "ألف ليلة وليلة" بعد ترجمتها إلى اللغات الأوروبية، وبعد ذلك ظهر الشاعر "لافونتين" الذي كان من أشهر كُتَّاب الأطفال في فرنسا. وبعد فرنسا برزت انجلترا في ساحة أدب الأطفال، إلا أن جميع الكتابات في القرن السابع عشر والثامن عشر كانت تهدف إلى الوعظ والإرشاد من دون الاهتمام بعقلية الطفل وتفكيره ونفسيته. وفي بداية القرن التاسع عشر، أخذ الكاتب "تشارلز لامب" يكتب للأطفال ويترجم عن مؤلفات "هانز أندرسون" ، كما نشرت أول مجموعة للأطفال "أليس في بلاد

العجائب" للكاتب "لويس كارول"، ثم جاء القرن العشرون، ممثلا العصر الذهبي لأدب الأطفال، فظهر كُتّاب عظامٌ مثل "ديكنز" و"بيتر ديكنسون" وغيرهما. وفي ألمانيا أصدر "الأخوان جريم" الجزء الأول من كتابهما "حكايات الأطفال والبيوت" العام 1812، وفي نهاية سنة 1914 ظهر الجزء الثاني منه. وهكذا عرف أدب الأطفال في مختلف دول الغرب من أمريكا، وإيطاليا، ودانمارك، وروسيا مع بعض الاختلافات كما وكيفا.(8)

أما في العالم العربي فيعتقد عدد من الباحثين بأن أدب الأطفال حديث جدا، إذ أن تراث الأدب العربي يكاد يكون فارغا فراغا محزنا من أدب الأطفال، ..حيث أن القليل الموجود في الأدب العربي، إنما يدور حول رثاء الأطفال، وهدهدتهم وترقيصهم، وبعض الحكايات القصيرة الشعرية على لسان الحيوانات.(9) وتعود البدايات الحديثة لأدب الأطفال في العالم العربي إلى مطلع القرن التاسع عشر، مع نشوء حركة الترجمة، ومرحلة الانفتاح على الغرب.. (10)

ويعتبر محمد عثمان جلال وأمير الشعراء أحمد شوقي من أهم من قاموا بدور مهم في هذا المجال، حيث كتب الأول كتابا على هيئة ديوان يضم شعرا مزدوج القافية ، ويحتوي على مئتي قصة منظومة على لسان الحيوان، مترجمة عن كتاب للشاعر الفرنسيى لافونتين، وكتب الأخير مجموعة حكايات تدور حول "الصياد والعصفور" و" البلابل التي رباها البوم"، و" الديك الهندي"، و"الدجاج البلدي"، و "ولي عهد الأسد" و" خطبة الحمار". إلا أنه مع ذلك، يرى بعض الباحثين أن أدب الأطفال العربي، لم يأخذ مكانته الحقيقية في العالم العربي إلا في العام 1922، إذ جاء محمد الهراوي فكتب "سمير الأطفال للبنين"، ثم "سمير الأطفال للبنات"، وألف أغاني وقصصا..، منها: "جحا والأطفال"، و"بائع الفطير".. وكانت جميع كتاباته النثرية والشعرية واضحة.. وكانت أيضا لكامل الكيلاني الريادة النثرية في أدب الأطفال، حيث انصرف إلى عالم الطفولة والأطفال... حتى قيل: إن أول ظهور فعلي لفن

الكتابة للأطفال، كان على يده، حيث أنتج نحو 250 قصة ومسرحية، بين تأليف واقتباس، وترجمة من الآداب الهندية والفارسية والتاريخ الإسلامي أو العربي عامة. ومن قصصه: "مصباح علاء الدين"، و "روبنسون كروز"، و"حي بن يقظان"، و "نوادر جحا"، و" الأرنب الذكي"، و"عفاريت اللصوص".(11)

2. 3. وظائف أدب الأطفال:

إن أدب الأطفال ليس الغاية منه الترفيه فحسب، بل تقديم وظائف دعامة رئيسة في تكوين شخصية الأطفال عن طريق الإسهام في نموهم العقلي، والنفسي، والاجتماعي، والعاطفي، واللغوي، وتطوير مداركهم، وإغناء حياتهم بالثقافة التي نسميها ثقافة الطفل، وتوسيع نظرتهم إلى الحياة، وإرهاف إحساساتهم، وإطلاق خيالاتهم المنشئة. وهو ليس لفائدة الطفل بقدر ماهو أداة للنهوص به وبالمجتمع كله. إنه وسيلة من وسائل حياة الطفل التي هي أساس حياة المجتمع كله. وعليه يقوم البناء النفسي والاجتماعي والعاطفي والعقلي للإنسان الجديد. ويمكن حصر أهم وظائف الأدب عند الأطفال فيما يلي:

أ- الوظيفة النفسية: قدرة الأدب على ضبط انفعالات الطفل ومشاعره وتوجيهها من خلال تقديم الصورة الإيجابية والمثالية التي يتأثر بها.

ب- الوظيفة الاجتماعية: تنمية الحس الاجتماعي لدى الطفل، فتبعده من الفردية والأنانية . ولأن أدب الأطفال ينقل للطفل صورا من بيئة أو من بيئات أخرى فإنه بذلك يحقق شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي.

ج-الوظيفة التاريخية والحضارية: تعميق الجذور التاريخية في الأطفال والربط بين ماضي أمته المشرف ومستقبل ها المستشرف ، حيث يرسخ عند الطفل حب الوطن من خلال استحضار صور براقة من التراث الأصيل وشخصيات فذة من قادة وعلماء ومفكرين وأبطال.

د- الوظيفة الجمالية التذوقية: وهذه الوظيفة فطرية في الإنسان، حيث يولد الإنسان مزودا بمشاعر رقيقة، وشعور فياض بالنيات الحسنة، والحب المتسامح، بحيث يستطيع الطفل بكل مراحل نموه أن يكتسب قدرات التذوق حسب كل مرحلة وخصائصها وقيمها وطبيعة العمل الإبداعي المناسب لها.

هـ- الوظيفة التعليمية: يحقق أدب الأطفال وظيفية تعليمية مهمة أيضا، إذ أن الطفل بطبعه يحب التسلية والترفيه ويمل من الجد، فعندما نقدم له الثقافة والتربية من طريق الترفيه، سيقبل عليها وتنغرس في ذهنه أكثر مما لوكانت خالية من التسلية والترفيه..

و- الوظيفة اللغوية: ولأدب الأطفال أيضا أهداف نمائية مهمة، تتمثل في مساعدة الطفل على النمو اللغوي، ولاسيما نمو قاموسه اللغوي، وزيادة حصيلته من المفاهيم، ويمكنه من فهم الأساليب اللغوية المتنوعة، ويزيد قدرته على فهم الأساليب المجازية المختلفة، وجوانب الجمال في اللغة.. ما يمنحه قدرة على تذوق الأدب. (12)

III. فنون أدب الأطفال

3-1. فنون أدب الأطفال:

هناك فنون يتكون منها أدب الأطفال وهي متمثلة في القصص باختلاف أنواعها، والشعر، والموسيقى والأغاني، والمسرح.. ولكل فن من هذه الفنون خصائص تميزه عن غيره.

أولا: القصة: إن القصة باختلاف أنواعها (قصص الحيوان وقصص البطولة والمغامرة، وقصص الخوارق، والقصص الفكاهية، والقصص التاريخية، والقصص العلمية) وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم والفلسفات، وبسبب ما تنطوي عليه من جاذبية كانت من أشد ألوان الأدب تأثيرا في النفوس، حتى وجدنا أن كثيرا من القيم والمفاهيم والنظريات والفلسفات كانت القصة السبب الأول في ذيوعها وانتشارها قبل أي وسيلة أخرى. أما علاقة

الأطفال بالقصة فتتمثل في أنهم مشغوفون بالقصص بحيث يتقبلونها بانتباه وحماس، ويتجاوبون مع أبطالها، فيفرحون لانتصارهم، ويحزنون لانكسارهم وهم لايملون تكرار سماع القصة، بل يلحون من أجل تكرارها.(13)

ثانيا: شعر الأطفال: يرى خبراء في ميدان أدب الأطفال أن الأطفال بطبعهم ميالون إلى الإيقاع. فالطفل منذ أيامه الأولى، يكف عن البكاء، ويهدأ، وقد يستسلم للنوم العميق حين تأخذ الأم بالربت على قفاه برقة، وحين تهز بمهده ذات اليمين وذات الشمال ، في إيقاعات متكررة.. ولايجد الطفل الإيقاع في الشعر وحده، ، بل يجده في الموسيقى، وقد يجده في كثير من المقطوعات النثرية، ولكن ما يميز الشعر هو التركيز..ويستمد الشعر إيقاعاته من أوزانه وقوافيه وكلماته، لذا ترى الأطفال يستطيعون ترديد الكلمات الموقعة، ويصل الأمر بهم إلى تكرار أنغام من الشعر لايفهمون له معنى. (14)

ثالثا: موسيقى الأطفال وأغانيهم: الموسيقى عبارة عن لغة النغم التي تتخذ لها شكلا فنيا خاصا من أشكال التعبير، أو هي شعر يتخذ من الأنغام بديلا عن الألفاظ. ويطرق الموسيقى أو الغناء أذن الأطفال منذ أيام المهد الأولى، عن طريق مايسمى بأغاني المهد، أو أغاني الترقيص، حيث ينصت الأطفال إلى أصوات الأمهات اللواتي يغنين أغنيات ذات إيقاع رتيب في الغالب، لتهدئة الأطفال وبث الطمأنينة في نفوسهم وذر النوم في عيونهم.[15] ولاشك أن الطفل يستقبل في بيئته أصواتا مختلفة، منها ماهي أصوات موسيقية ومنها ماهي غير ذلك. وتربية حاسة السمع ترتبط بتكوين شخصية الطفل، وبدون هذه التربية يفتقد الطفل ذكاءه السمعي. والمرحلة المهمة في نمو الطفل موسيقيا هي مرحلة إدراكه تركيب الأصوات وتركيب الجمل وعلاقتها ببعضها، ويترتب على ذلك استماعه بالموسيقى التي يسمعها، ونمو قدرته على اكتشاف الجمال فيها. [16]

رابعا: المسرح: يرى الموسي بأن المسرح بشكله الحالي وبتقاناته وجمالياته المعاصرة وبشروطه (الخشبة، والنص، والممثل،والإخراج، والأزياء، والديكور، والموسيقا، والصوت،

والمتلقي) جنس وافد منذ منتصف القرن التاسع عشر.. وهناك فروقات جوهرية بين المسرحية والمسرح والنص الدرامي والشعر المسرحي والمسرح الشعري، فالمسرحية تعني النص المسرحي القابل للتمثيل، ويعني المسرح النص المسرحي ممثلا على خشبة، ومعروضا على جمهور بتقانة المسرح وشروطه، والنص الدرامي هو النص الذي ليس من الضرورة أن يكون قابلا للتمثيل، أما الشعر المسرحي، فهو النص المكتوب شعرا، ولكن الغنائية فيه تهيمن على الحوار والصراع والبناء الدرامي، والمسرح الشعري هو النص المكتوب شعرا، وهو قابل للتمثيل، لأن البناء الدرامي فيه يهيمن على العناصر الغنائية، ويسيّرها لمصلحة التمثيل.[17] أما استخدامه في تعليم الأطفال فيمكن أن يكون كنشاط قائم بذاته في المؤسسة التربوية، ويمكن توظيفه أيضا في تعليم المواد الدراسية، فتستخدم أساليبها العديدة في تعليم الطفل الأناشيد والقصص والموضوعات العلمية. [18]

VI. و اقع أدب الأطفال وآفاقه باللغة العربية في نيجيريا

الإبداع الأدبي في نيجيريا:

رغم الإبداعات الأدبية الرائعة التي تتميز به نيجيريا، عبر تاريخها، حيث عرفت – قديما وحديثا – عمالقة من مختلف أرجاء البلاد، صالوا وجالوا في التراث العربي، وأبدعوا فيه شعرا ونثرا. ولا أدل على ذلك من شخصيات شعرية فذة متمثلة في الشيخ يحي النفاح، والوزير جنيد، والشيخ محمد ناصر كبر، والشيخ أبوبكر المسكين، والقاضي عمر إبراهيم، والدكتور عيسى ألبي[19]، وغيرهم كثير، إلا أن نصيب الأطفال من هذا الإبداع المكتوب باللغة العربية بشقيه الشعري والنثري من قصص وموسيقى وأغاني، ومسرح –حسب علمي– محدود جدا، أو – إن صح التعبير– شبه معدوم. ويبدو لي أن هذه المشكلة ليست مقصورة على اللغة العربية في نيجيريا فحسب، بل تتعداها إلى اللغات المحلية. ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدم إيلاء عناية كبيرة للأطفال وما يقرؤنه بشكل عام.

صحيح هناك محاولات ضئيلة مثل الأناشيد التي نظمها الأستاذ مقري [20] زاريا للأطفال تحت العناوين التالية: " هيا بنا هيا بنا"، و "نحن نسعى كل يوم للمنى" وغيرها من الأناشيد التي نظمها وتغنى بها التلاميذ. ولكن الذين قاموا بمثل هذه المحاولات في مجال الشعر قلة قليلة يمكن الإشارة إليهم بالبنان. أما في بقية المجالات أي قصص الأطفال وموسيقاهم وأغانيهم ومسرحهم فلم أسمع بمحاولات جادة تنصب في هذا الصدد، ناهيك عن وصولها إلى مستوى الازدهار والإبداع. ومع ذلك هناك محاولة مهمة تتعلق بقصص الكبار قام بها الدكتور أبوبكر[21] يمكن أن تساعد في كتابة قصص الأطفال.

وباختصار، يمكن القول بأن الساحة النيجيرية تكاد تخلو من أدب الأطفال بمختلف فنونه بناء على المعايير السابقة الذكر التي تراعي مراحل النمو الجسمي، والعقلي، والنفسي، واللغوي، والاجتماعي للأطفال.

V. آفاق أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا

يرى الباحث بأن مستقبل أدب الأطفال في نيجيريا ما زال ضبابيا جدا، ولكنه مع ذلك – إذا أُحسِن التصرف تجاه الأمر– يمكن أن يكون مستقبله أفضل من الحاضر. ولذلك يقترح الباحث بعض الخطوات التي من شأنها أن تسهم في وضع لبنات هذا النوع من الأدب في نيجيريا. ويتمثل هذا الاقتراح في التالي:

أولا: قراءة أعمال بعض الشعراء والكتاب النيجيريين المكتوبة باللغة العربية لاستخراج ما يتَّسم منها بالبساطة والسهولة، والتي يمكن أن يتغنى بها الأطفال في مدارسهم، كبعض القصائد التي قالها كل من د. إبراهيم مقري، ود. عيسى ألبي في دواوينهما. يقول د. إبراهيم مقري في مطلع مدحه لآل البيت الشريف:

لآل البيت أحبابي وأعواني وأربابي كرام أي ألباب

أسوق المدح باسم الله

فهم في الخلق أسياد وللمختار أحفاد وفي الأقطار أوتاد

وجيهون لديه الله

أبوهم قائد الكره وأمهم هي الزهرا خديجة الجدة الكبرى

وجدهم رسول الله [22]

ويقول د. عيسى ألبي في قصيدة يدعو فيها المسلم أن يكون معتزا بدينه وتعاليمه:

أنا مسلم أبغِي الهدى أنا مسلم رغمَ العِدَى

ديني يعلِّمني الفضيـ لةَ والسماحةَ والفِدَى

ديني يعلِّمني الثبا تَ أمام وغدٍ أرعدَا

ديني يعلِّمني السخا ءَ لكي أُعِينَ من اجتدَى

أتلو كتاب الله فيـ ـه هدايةٌ لمن اهتدَى

إني جعلتُ معلمِّي ودليلَ دربي أحمدَا

أنا مسلمٌ أنا مسلمٌ لأفوز بالحسنى غدَا [23]

ثانيا: ترجمة بعض القصص المحلية للأطفال، إذ أن هناك قصصا محلية كثيرة من مختلف أرجاء البلاد يتناقلها الأجيال بشكل شفوي كابرا عن كابر، يمكن ترجمتها بلغة بسيطة تراعي مستوى عقول التلاميذ في اللغة العربية.

ثالثا: إنشاء مشروع كتابة خاصة بأدب الأطفال: وهذا يتطلب من أدبائنا المحليين وضع أناشيد وقصص تتلاءم مع مستوى عقول التلاميذ وأعمارهم، وبيئتهم، وثقافتهم، وكذلك تشجيع طلاب اللغة العربية على الاهتمام بهذا النوع من الأدب في كتاباتهم الإبداعية وفي بحوثهم العلمية.

رابعا: إنشاء مشروع خاص بالكتب الدينية وخصوصا قصص الأنبياء والصحابة، بحيث يمكن الكتابة عن الأنبياء والصحابة، والمصلحين والعلماء واحدا تلو الآخر، بلغة بسيطة

مع إدراج الصور والرسوم التي من شأنها جذب انتباه التلاميذ وتشويقهم إلى اللغة العربية بشكل أكبر.

خاتمة:

توصلت هذه الورقة المعنونة "واقع وآفاق أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا" إلى النتائج التالية:

- رغم احتلال أدب الأطفال في الدول المتقدمة مكانا متميزا، لاقتناعهم بأن الأطفال هم مستقبل الحياة، إلا أن أدب الأطفال باللغة العربية لايحظى بأي اهتمام ملحوظ في نيجيريا.
- لايوجد مايستحق التنويه في مجال أدب الأطفال باللغة العربية في نيجيريا، اللهم إلا بعض المحاولات في مجال الأناشيد فقط.
- بناء على ذلك قدم الباحث اقتراحات مهمة تساعد في توفير مالا بأس به من أدب الأطفال في نيجيريا أبرزها ما يلي:

أ – قراءة أعمال بعض الشعراء والكتاب النيجيريين المكتوبة باللغة العربية لاستخراج ما يتَّسم منها بالبساطة والسهولة، والتي يمكن أن يتغنى بها الأطفال في مدارسهم.

ب – ترجمة بعض القصص المحلية للأطفال إلى اللغة العربية بلغة بسيطة تراعي مستوى عقول التلاميذ.

ت – إنشاء مشروع كتابة خاصة بأدب الأطفال، وكذلك الكتب الدينية وخصوصا قصص الأنبياء والصحابة، والمصلحين والعلماء، بلغة بسيطة مع إدراج الصور والرسوم التي من شأنها جذب انتباه التلاميذ وتشويقهم إلى اللغة العربية بشكل أكبر.

الهوامش:

1 - مجمع اللغة العربية (2006) المعجم الوجيز، من منشورات، جمهورية مصر العربية ص:392

2 - الموسي، أنور عبد الحميد (2010) أدب الأطفال..."فن المستقبل"، دار النهضة العربية، ص: 19

3 - الهيتي، هادي نعمان (1977) أدب الأطفال فلسفته، فنونه، ووسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص:14

4 - المرجع نفسه. ص:19-54

5 - المرجع نفسه. ص:40

6 - نقلا عن أدب الأطفال، د. كفايت الله همداني

7 - المرجع السابق، أدب الأطفال "فن المستقبل ". ص21

8 - المرجع السابق، أدب الأطفال فن المستقبل. 35-46 بتصرف.

9 - المرجع نفسه. ص 50

10 - المرجع نفسه. 54

11 - المرجع نفسه. ص56-70

12 - المرجع نفسه. ص: 214-230

13 - المرجع نفسه، ص4

14 - المرجع السابق، أدب الأطفال فلسفته ، فنونه، ووسائطه. ص 13

15 - المرجع نفسه.ص: 218-220

16 - المرجع نفسه، ص: 222

17 - المرجع السابق، فن المستقبل ص406

18 - العناني، د.حنان، عبد الحميد (2002) الفن والدراما والموسيقا في تعليم الطفل ، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ص186

19 - مقري، د.إبراهيم أحمد (2015) من أعلام الشعر العربي النيجيري خلال القرن العشرين، ط1، من منشورات مستشارية التزكية للتربية والتعليم. ص

20 - سعيد، أحمد المقري (د.ت) أنشودة هيابنا هيابنا، و أنشودة "نحن نسعى" مخطوطة.

21 - أبوبكر، عبد الملك (الدكتور) يحكى أن، ط 1، مطبعة ميلينيوم، شارع أمير يحي، صكتو، نيجيريا.

22 - مقري، إبراهيم أحمد، د. (2012) خلاصة العشرينيات، ديوان شعر، دار الاتحاد للطباعة، القاهرة. ص215

23 - ألبي ، عيسى (الدكتور) (2008) السباعيّات، ديوان الشاعر عيسى ألبي، من منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية،سلسلة إنتاج المستعربين الأفارقة، مدينة لإيوو- أوشن، نيجيريا. ص 174

المصادر والمراجع:

- أبوبكر، عبد الملك (الدكتور) يحكى أن، ط 1، مطبعة ميلينيوم، شارع أمير يحي، صكتو، نيجيريا.
- ألبي، عيسى، د. (2008) السباعيّات، ديوان الشاعر عيسى ألبي، من منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية،سلسلة إنتاج المستعربين الأفارقة، مدينة لإيوو – أوشن، نيجيريا.
- سعيد، أحمد المقري (د.ت) أنشودة هيابنا هيابنا، مخطوطة.
- سعيد، أحمد المقري (د.ت) أنشودة "نحن نسعى" مخطوطة.
- العناني، د.حنان، عبد الحميد (2002) الفن والدراما والموسيقا في تعليم الطفل، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- مجمع اللغة العربية (2006) المعجم الوجيز، من منشورات ، جمهورية مصر العربية.
- مقري، د.إبراهيم أحمد (2015) من أعلام الشعر العربي النيجيري خلال القرن العشرين ، ط1، من منشورات مستشارية التزكية للتربية والتعليم.
- مقري، إبراهيم أحمد (2012) خلاصة العشرينيات، ديوان شعر، دار الاتحاد للطباعة، القاهرة.
- المومني، عمر على حمد، (2015) أثر فنون أدب الأطفال في تعليم اللغة العربية الفصحى، صور الأطفال المتحركة نموذجا، المؤتمر الدولي للغة العربية دبي الإمارات، كتاب 8.

- الموسي، د. أنور عبد الحميد (2010) أدب الأطفال "فن المستقبل"، دار النهضة العربية.
- الهيتي، هادي نعمان (1977) أدب الأطفال فلسفته، فنونه، ووسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الهيتي، د. هادي نعمان ثقافة الأطفال، مجلة عالم المعرفة، ع:123 من منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت.

دور التشبيه الضمنى في تشكيل صور القصائد العشرينيات للالفازازي

الدكتور/ نوح طاهر تاج الدين

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أحمد بلّو، زاريا

ملخص:

هذه المقالة بعنوان: التشبيه الضمنى في القصائد العشرينيات للألفازازى: شرح وتعليق. تهدف إلى خدمة التراث الأدبي العربي القديم عن طريق إلقاء ضوء على نوع من أنواع علم البيان وهو "التشبيه الضمنى". وقد لا تخفى أهمية دراسة هذا النوع من التشبيه على الدارس، ذلك لما فيه من طرافة وندرة بين سائر أنواع التشبيهات في البلاغة العربية. وقد قسم الباحث المقالة إلى مقدمة وعرض وخاتمة. فالمقدمة عبارة عن الدراسة النظرية الوحيزة لفن التشبيه قديمًا وحديثًا، بينما العرض يعنى دراسة وتعليق على الأبيات التي تضمنت هذا النوع من التشبيه الضمنى في القصيدة. وأما الخاتمة فعبارة عن نقطة الختام وخلاصة البيان لمحتويات البحث ونتائجه.

مقدمة:

قديمًا نرى المتقدمين من الأدباء وأصحاب البيان يتكلمون عن التشبيه وأقسامه وأنواعه وما إلى ذلك. فهذا عبد القاهر الجرجاني يذكر مفهومًا لفن التشبيه ويقول: التشبيه

هو: "أن تُثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكماً من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يفصل بالنور بين الأشياء".[1] فالتشبيه بهذا المعنى: علاقة تقوم على المقارنة بين شيئين، إما لاتحادهما في صفة أو لا شتراكهما فيها، وهذه المشابهة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المتقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في هيئة المادة أو في كثير من الصفات المحسوسة".[2]

على أن طرافة التشبيه وقوته، لا يتحققان إلا إذا كان قائما على الجمع بين صفات متباعدة، ذلك لأن "حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين؛ حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك".[3]

ولقد فتن النقاد قديما بالتشبيه، وعلقوا عليه أهمية كبيرة، وجعلوه مقياسا للشاعرية والنبوغ، بل إن البراعة في صياغته اقترنت – لدى بعض الشعراء الأوائل – بالبراعة في نظم الشعر نفسه".[4] ويكفى مثالا لذلك ما يروى عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان صبيًا – كيف جاء إلى أبيه باكيًا "يقول: لسعنى طائر. قال فصفه لي يا بني. قال: كأنه ثوب حبرة، قال حسان: قال ابني الشعر ورب الكعبة"[5].

ويفهم من هذا النص "أن حسانًا يجعل من الوصف معياراً على الشاعرية، ويقصد حسان –هنا– بالوصف التشبيه، ويربط بينه وبين القدرة على الشعر".[6] ولذا جاء تعليق عبد القاهر الجرجانى على هذا النص بقوله: "أفلا تراه جعل هذا التشبه، مما يستدل به على مقدار قوة الطبع، ويجعل عياراً في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له، وسرّه ذلك من ابنه"[7]. وكما "يعد النقاد الصورة التشبيهية التي يكثر دورانها على العيون، وإدراكها بالحواس في كل وقت من الصور المبتذلة، أما إذا كان التشبيه غريبًا ونادرًا، كان ذلك

أفضل"[8]. وفى هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن كلّ شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة، من شأنها أن ترى وتبصر أبدًا، فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل، وما كان بالضد من هذا، وفي الغاية القصوى من مخالفته، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع".[9]

والتشبيه الضمنى من أنواع التشبيهات الخفية النادرة، إذ به يتم الربط بين الصورتين (صورة المشبه والمشبه به) بدون استخدام أداة تشبيه، وهو ليس موضوعاً على الصورة التشبيهية العادية، بل يلمح من خلال الكلام، فيكون الطرف الثاني منه دليلا على الطرف الأول، وللتأكيد على صحة الأول.[10] وبعبارة أخرى تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب للإفادة بأن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.[11]

وقصيدة الفازازى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المتسمى: "الوسائل المتقبلة" مليئة بهذا النوع من التشبيه الضمنى الرائع.

وقد ورد فيها منه ما يبلغ خمسا وثلاثين بيتًا، كما سيظهر لنا –إن شاء الله– خلال عرضنا لمحتويات القصيدة.

عرض القصيدة:

قبل أن يخوض الباحث في شرح وتعليق على الأبيات التي تتضمن نوع التشبيه الضمنى في قصيدة الفازازى، يجدر به أن يذكر شيئًا موجزاً حول القصيدة ككل؛ ليسهل على القارى فهم مقاصد الباحث في المقالة.

بين يدي القصيدة:

إن قصيدة أبي زيد عبد الرحمن الفازازى الأندلسى المتسمى "بالوسائل المتقبلة" من أنواع القصائد الرائعة المنظمة في موضوع "المديح النبوى". نظمها صاحبها حسب ترتيب الحروف الهجائية، أي على تسعة وعشرين حرفًا، بزيادة "لام ألف". وألّف بكل حرف عشرين بيتًا، فسميت بالعشرينيات. وبلغ عدد الأبيات خمسمائة وثمانين بيتًا (580). لقد راعى الناظم نظام التوافق بين أول حرف في الصدر وآخر حرف في العجز فيقول مثلا في باب الهمزة:

أحق عباد الله بالمجد والعلى نبي له أعلى الجنان مبوأ [12]
أمين لإرشاد العباد مؤهل حبيب بأسرار القلوب منبدأ

وفي باب الباء:

بيثرب نور للنبوّة لا يخبو تشارك في إدراكه الطرف والقلب [13]
بدا وبقاع الأرض ظلم وظلمه فأشرقت الأرجاء وانقشع الكرب

ويستمر هكذا بكل بيت إلى أن يتم عشرين بيتًا، ثم يشرع بالبيت الذي يلي. هذا هو نظام القصيدة في أول أمرها.

ثم جاء الشيخ الإمام أبى بكر محمد بن المهيب وخمّسها، فزاد عليها ثمانمائة وسبعين (870) بيتًا. فبلغ عدد أبيات القصيدة ألفًا وأربعمائة وخمسين (1450) بيتا. غير أن تخميس بن المهيب لم يكن على توافق حروف أوائل الأبيات بأواخرها، كما هو مثبت في قصيدة الفازازى.

شرح وتعليق:

لعل أهم ما يجب أن يلفت به وجه القارئ هو أن هذا الشرح والتعليق يخص أصل القصيدة التي ألّفها عبد الرحمن الفازازى المتسمى بالوسائل المتقبلة أو (العشرينيات) دون الأبيات التي خمّسها بها ابن المهيب.

أما الشرح والتعليق فهو:

يقول الناظم:

1- تلوذ به الأبصار في الحشر وحده * ويعرف قدر الشمس بين الأهلة (14)

أي: كما لا يعرف قدر الرسول صلى الله عليه وسلم إلا إذا قورن بالأنبياء والرسل يوم القيامة، كما لا يعرف قدر الشمس إلا إذا ظهرت بين الأهلة التي دونها في الضوء.

ففى البيت تشبيه منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء والرسل وسائر الخلق بمنزلة الشمس بين سائر الكواكب.

*2- ثرى نعله كالمسك بل هو فوقه * وشتّان طيبًا ما يحول ويمكث (15)*

أي: إن طيب تراب ما تحت نعل النبي صلى الله عليه وسلم يفوق طيب المسك، لأن طيب ثرى نعله يبقى دائمًا ولا يتغير، وأما طيب المسك فإنه يتغير ويزول بمرور الزمن.

وفي البيت تشبيه الثرى التي وطئها نعل النبي صلى الله عليه وسلم بالمسك بل هي أطيب من المسك.

*3- حضور رسول الله من غير غيبة * وأنّى يغيب القلب قدّس بالشّرح (16)*

أي: إن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظ فلا يغشاه غفلة بحال، فما ظنك بالقلب إذا كان الله تعالى هو المتولي لتطهيره.

ففى البيت تشبيه شقِّ قلب النبي صلى الله عليه وسلم الذي حدث قبل نبوته وإبعاد حظ الشيطان عنه بتطهيره وتصفيته من كل شين.

*4- حططنا به الأعباء كلّ خطيئة * ومن قدّم المحبوب أيقن بالنجح* (17)

أي: به تحط جميع الذنوب وتغفر، وهذا ممكن جدًا، وذلك كما يقضى الحبيب حاجة محبيه بدون أي توان.

شبه الشاعر حاله –وهو يقدم النبي صلى الله عليه وسلم في حط خطيآته–، بحال من يقدم محبوبه في طلب قضاء حاجات

5- حفيل ثنائى قاصرٌ عن حقوقه * وللبحر قعرٌ ليس يدرك بالسبح (18)

إن ثناءه للنبي صلى الله عليه وسلم –مع كثرته– لم يف بحقوقه عليه، لأنه كالبحر الذي لا يدرك قعره مهما بلغت مهارة السابح.

يشبه الشاعر قاصد إدراك حقيقة حقوق الرسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته، بالسابح في البحر ليدرك حقيقة قعره، وهو لن يدرك.

6- دفعنا به عنا دجى كل شبهة * إذا انتضى البرهان فا الإفك مغمد (19)

أي: لقد أزلنا به ظلمة الشرك والكفر، كما يزول الشك بظهور الحجة والدليل.

شبه الشاعر إزالة ظلمة الشرك والكفر بالإسلام بزوال الإفك عند ظهور الحجة والدليل.

7- ذوت زهرةٌ كان السراب شرابها * إذا اتضح البرهان طاح التشعوذ (20)

أي: إن الزهرة تذبل إذا أسند سقيها إلى السراب، كما تذبل وتطيح الخرافات والكذب بوضوح الحجة والبرهان.

شبه الشاعر حال الخرافات والكذب أمام الحجج والبراهين، بحال الزهرة التي أسند سقياها إلى السراب، فإنها تنزوي وتموت عطشًا.

8- ذنوبي أرجو محوها بامتداحه * وكم غرقٍ في لجةٍ وهو ينقذ (21)

أي: إننى أرجو أن يمحى ذنوبي بمدحي للنبي صلى الله عليه وسلم، كما ينقذ الغريق في لجة البحر.

شبه عفو الله تعالى عليه ومحوه للذنوب التي تراكمت عليه بإنقاذه من الغرق في الماء اللجي.

9- رسالته لم تبق للخلق حجة * إذا الشهب لم تدرك فلاشك في الفجر [22]

أي: إن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق، لأنه آخر الرسل فلا يبقى للخلق عذر في عدم إجابة دعوته، كما أنه إذا لم يبق أثر من نجوم السماء فلا ينبغي لأحد أن يشك في طلوع الفجر.

شبه عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بعموم نور الفجر جميع آفاق السماء.

10- سيادته للرسل غير خفية * ولا عجب أن يفضل الشخص في الجنس [23]

أي: إن سيادة النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل أمر لا يخفى على أحد له أدنى بصيرة، وهذا لا يكون بعيدًا، كما أنه لا يكون بعيدًا أن يفضل إنسان على بني جنسه.

شبه إمكانية سيادة النبي صلى الله عليه وسلم للرسل عليهم السلام بإمكانية تفضيل أي إنسان على بني جنسه.

11- سبقنا به في الحشر من كان قبلنا * ومن عجبٍ أن يسبق الغد للأمس [24]

أي: إذا كان يوم الحشر تقدم أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الأمم الذين جاءو قبلهم، ومن العجائب أن ترى الغد المستقبل يسبق الأمس الماضي.

شبه الشاعر تقدم أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الأمم قبلها بتقدم الغد الذي لم يأت بعدُ على الأمس الذي مضى.

12- سعادتنا مشروطة باتباعه * وهل يثبت البنيان إلا على الأسّ [25]

أي: إن الحصول على سعادة الدارين مشروط في اتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك كمثل البنيان فلا ثبات له إلا إذا وضع على الأسس القوية.

في البيت تشبيه سنة النبي الغراء بالبنيان الثابت على الأرض.

13- شرفنا به نصًّا على كل أمَّة * ولا عجب فالدبل في عقب الرش [26]

أي: إن شرفنا على كل الأمم السابقة ثابت بنص من آي الذكر الحكيم، وهذا ليس بعجيب فإن المطر الغزير دائمًا يأتي عقب الرش، وهو المطر الضعيف.

في البيت تشبيه أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالمطر الغزير الوابل، وسائر الأمم قبله بالرش.

14- **شكوت الثوى والحال عونٌ على النوى * وهل طار مقصوص الجناحين من عش**[27]

أي: إن حالى من عدم الحصول على الزاد المبلغ إليه صلى الله عليه وسلم وفقد ملتزمات المسافر عون على القعودى وقطع جميع الحبال الموصل إليه؛ فأن الطائر المقصوص الجناحين لا يمكن له أن يطير من عشه.

شبه نفسه وعدم طاقته للوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالطائر المقصوص الجناحين في عشه.

15- شننئت حياتي دونه وشكوتها * وراحة مكروب السريرة أن يفشى [28]

أي: لا تطيب حياتي إلا مع وصولي إليه صلى الله عليه وسلم، كما أن قلب المكروب لا تجد راحة إلا إذا نطقت وأفشت بما يُداهمها.

شبه حاله في فراق محبه صلى الله عليه وسلم -وهو لا يطمئن إلا بالوصول- بحال الإنسان المكروب المهموم فلا يستريح قلبه إلا إذا نطق بهمه في الناس.

16- ضحى لم يدع إشراقه ليل شبهة * ولا عجب أن تطلع الشمس في الأرض [29]

أي: إنه صلى الله عليه وسلم ضحى مزيلا لظلمة الشرك والكفر، وليس بعجيب أن ترى الشمس تطلع في الأرض.

شبه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهي لم تبق أي أثر من الشرك والكفر، بالشمس التي إذا طلعت لم يبق في الأرض أثر ظلمة.

17- عشوت لبرق لائح من دياره * ومن فقد المحبوب حن إلى الربع (30)

أي: عشقت إلى هذا البرق الذي يلوح من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن من فقد الاتصال بمحبوبه يكفيه أن يحن إلى ربعه الذى يمكث فيه.

شبه الشاعر حاله –وهو يعشق إلى برق لائح من المدينة المنورة– بحال من يعشق إلى ربوع المحبوب لما تباعد عنه اللقاء المباشر بمحبوبه.

18- عسى داره تدنو ولو لمح مقلة * وقد يدرك المأمول والروح في النزع (31)

أي: وأرجو أن أقترب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولو طرفة عين، وليس ذلك ببعيد، فإن الإنسان قد يدرك مأموله وهو في حال الغرغرة وخروج الروح.

شبه الشاعر حاله –وهو راغب أن يحصل على فرصة اللقاء بالمحبوب صلى الله عليه وسلم ولو بقدر لمح مقلة –بحال طالب شيء راغب فيه، فإنه لا ينقطع أمله ويأمل في الحصول عليه إلى آخر لحظة من عمره.

19- فخذ في ثناء ماله من نهاية * فروض العلا ينمى على كثرة القطف (32)

أي: لا تقتصر في ثنائك على النبي صلى الله عليه وسلم فإنك مهما أكثرت من الثناء عليه فلا تبلغ غايته، كما أن الرياض إذا كانت في مكان مرتفع بحيث يعكس عليها ضوء الشمس تراها –دائمًا– تنمو مع كثرة روادها للقطف.

شبه الشاعر مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعجز المدّاح عن الإحاطة بغايته بروض العلا الذي ينمو مع كثرة روّاده وقطّافه.

20- فضلنا به السباق من كل أمةلا * ولا عجب أن يوجد الفضل في الصنف (33)

أي: إن فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم تفوق فضل كل أمة من الأمم قبلها ولا عجب في ذلك، إذ من الممكن أن يوجد التفاضل في الصنف الواحد.

لقد ضاها الشاعر فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم بفضل الشيء وامتيازه من بين أفراد جنسه.

21- فإن كان معطوفاً على الرسل آخرًا * فما هو إلا الواو في أحرف العطف (34)

أي: وإن كان صلى الله عليه وسلم بحسب الزمن معطوفًا آخر الرسل، فإن هذا العطف لا يقتضى تفضلهم عليه في الرتبة، بل ما مثاله إلا العطف بالواو، فإن العطف إذا كان بواو فإنه يقتضى مطلق الجمع وليس تقدمًا في الرتبة.

ففى البيت تشبيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الرسل قبله، بموقف واو العطف من سائر حروف العطف.

22- كساه إله الناس في الناس هيبة * وشتّان ما بين النبوّة والملك (35)

أي: لقد أعطاه إلهه، وإله جميع الناس هيبة لم يعطها أي ملكا من الملوك، فإن هيبته من خصائص النبوة وليست من خصائص الملك.

في البيت تشبيه هيبته صلى الله عليه وسلم بالنبوة، وهيبة الناس بالملك.

23- كشفنا به عنّا دجى كل شبهةٍ * فما تعدم الأنوار في الظلم الحلك (36)

أي: وبه ينكشف ظلام الشرك والكفر، كما يزول سواد الظلام بالأنوار.

شبه الشاعر كشف النبي صلى الله عليه وسلم عن ظلم الشبهات والشرك بدعوته، بالأنوار التى تتكشف بها الظلام الهالك.

24- محا ظلم الإشراك نور ولاده * ولا عجب فالليل بالصبح يهزم (37)

أي: لقد زالت ظلم الشرك والكفر بولادة النبي صلى الله عليه وسلم كما تزول ظلمة الليل بسطوع نور الصبح.

شبه الشاعر نور ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ومحوه لظلم الشرك والضلال، بالصبح الذي يهزم نوره ظلام الليل ومخوفاته.

25- نقلنا له عن صحة ألف آية * وهل تنكر الأزهار في الروضة الغنا (38)

أي: لقد وصلت إلينا –عن طريقة صحيحة– ألف من المعجزات التي تبرهن على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم. فإنك لا يمكن أن تفتقد الأزهار في الروضة الغناء الناعمة.

لقد شبه الشاعر هنا الآيات ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم بالأزهار الناعمة الكائنة في الروضة الغناء.

26– نقبّل بالأفكار آثار نعله * ومن فاته المحبوب حن إلى المغنى (39)

أي: فها نحن نقبّل –بأفكارنا– آثار نعل النبي صلى الله عليه وسلم لفوات فرصة تقبيلنا وجهه مباشرة، ومن فاتته فرصة اللقاء بمحبوبه مباشرة، فإنه يحن إلى مسكنه.

شبه حلمه في تقبيله لآثار نعل النبي صلى الله عليه وسلم، بحال المحب الذي فاته اللقاء بمن يحب فإنه يفكر –دائما– إلى مسكن ذلك الحبيب ويعشق إليه.

27– وحيد المعالي بين عيسى وآدم * ولا عجب أن يفضل الصنو للصنو (40)

أي: إنه صلى الله عليه وسلم وحيد في معاليه، فلا يجاريه فيها أحد من الرسل الذين جاءو قبله من لدن عيسى إلى آدم عليهما السلام. ولا يكون غريبًا أن يفضل أخٌ على أخيه الشقيق.

شبه إمكانية تفضله صلى الله عليه وسلم على الرسل قبله بإمكانية تفضل أخ على شقيقه.

28– **وضيء المحيا يحسر الطرف دونه * ومن ذا يحس الشمس في رونق الصحو**(41)

أي: إنه صلى الله عليه وسلم وضيء الوجه؛ ويكلّ الطرف دون النظر في وجهه، كما لا يتأتى للعين أن تنظر إلى الشمس عند ما تكون في وسط السماء.

شبه الشاعر وضاءة وجه النبى صلى الله عليه وسلم بضوء الشمس عندما تكون في وسط السماء.

29– وزيراه جبريلٌ وميكال إثره * فأهلاً بشمسٍ بين بدريْن في جو (42)

أي: إن وزيرريه هما: جبريل وميكائيل فهو يتوسطهما. فمرحبا بالشمس الطالعة بين البدرْين الكائنيْن في جو السماء.

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم –وهو يتوسط بين جبريل وميكائيل– بالشمس وهي طالعة بين بدرين طالعيْن في جو السماء.

30– وصفناه مذ عامين وصف مقصرٍ * ومن ذا الذي يأتي على البحر بالدلو (43)

أي: لقد كنا نصف رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ عامين ولم نبلغ أقصى وصفه، فصرنا كمن يحاول أن يغرف البحر بالدلو.

شبه حقيقة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولة الشاعر لوصفها بأدبه، بالبحر ومحاولة غرفه بالدلو. كما وصف عجز وصوله إلى كنه صفته بعجز محاول غَرف البحر بالدلو.

31– ولا غرو أن نرتاح شوقًا لمدحه * فهذي حمام الأيك ترتاح للشدو (44)

أي: ولا غرابة إن كنا نجد راحة وطمأنينة في نفوسنا لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن حمام الأيك تطرب فرحًا لما كان يخرج من الغناء والترنم من أيكها.

شبه الشاعر حاله وارتياح نفسه عند مدحها للنبي صلى الله عليه وسلم بحال حمام الأيك التي ترتاح وتطرب لذلك الترنم والغناء الذي تسمعه من أيكها.

32– يرى ما وراء الغيب والجفن مطرقٌ * ولا عجبٌ فالقلب ممتلىءٌ وعْيا (45)

أي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بقلبه ما لا يراه بعينه، ولا عجب في ذلك، فإن قلبه يقظ، وممتلئ حكمة.

شبه رؤيته لما وراء عينيه بحال القلب إذا امتلأ نورًا.

33– يضيق نطاق الصبر عنه وبعده * وهل يألف الإظماء من يبتغي الريا (46)

أي: إننا لا نكاد نصبر على بعدنا عنه صلى الله عليه وسلم كما لا يألف لك العطشان دون إروائه بالماء.

شبه الشاعر حاله وهو بعيد عن محل النبي صلى الله عليه وسلم بحال العطشان الظامئ الذي لا يكون مطمئنا إلا بحصوله على الماء.

34- يسيرٌ علينا الموت في جنب قربه * ومن قصد المحبوب لم يسأل البقيا (47)

أي: إننا لا نزال نسير نقترب إليه صلى الله عليه وسلم أو نموت دونه، فإن من كان قصده الوصول إلى محبوبه فلا يهمه أمر الموت.

لقد أنزل الشاعر هنا الموت دون الوصول إلى الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة الحياة معه، فهما سويان لدى الشاعر.

35- يشق علينا العيش دون لقائه * إذا الدين لم يكمل فلا كانت الدنيا (48)

أي: إننا لا يمكن لنا أن نعيش دون لقاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإن الدين إذا انتقص وضعف فلا معنى -إذن- للحياة في الدنيا.

لقد شبه الشاعر العيش دون لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا بزوال الدنيا، فهما سويان.

الخاتمة:

لمسنا فيما سبق نوعًا من الصور التشبيهية التي لا يوضع فيها المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب؛ وذلك ليفيد بأن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن. كما لمسنا وجود هذا النوع من التشبيه في خمسة وثلاثين بيتا من قصيدة "الوسائل المتقبلة" (العشرينيات)، ووجوده في القصيدة دليل على جودتها ورونقها وحسن تنظيمها.

هـ

الهوامش:

1 – عبد القاهر الجرجانى، "أسرار البلاغة"، ص: (78–79)، تحقيق: هـ. ريتر، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

2 – د، جابر أحمد عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدى والبلاغي" ص: (188)، دار المعارف القاهرة، 1980م.

3 – ابن رشيق: "العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده" ص: (289)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة: 1982م.

4 – د، جابر أحمد عصفور: "الصورة الفنية في التراث النقدى والبلاغي". المرجع السابق، ص: (112).

5 – الجاحظ: "الحيوان"، ص: (65) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية: 1975م مكتبة البابي الحلبي.

6 – الشناوى، على الغريب: "الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلى"، ص، (160). مكتبة الآداب، الطبعة الأولى: 2003م.

7 – عبد القاهر الجرجانى: "أسرار البلاغة". ص: (175)، المرجع السابق.

8 – الشناوى، على الغريب: "الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلى"، ص: (160)، المرجع السابق.

9 – علي الجارم و مصطفى أمين: "البلاغة الواضحة"، دار المعارف، لبنان، بلا تاريخ، ص 47.

10 –العثيمين، محمد صالح: دروس في البلاغة، "دار السلفية"، بلا تاريخ، ص 102.

11 –العثيمين، المرجع نفسه، ص 102.

12 -الفازازي، عبد الرحمن بن أحمد، "الوسائل المتقبلة"، مطبعة عاطف بمصر، بلا تاريخ. ص4.

13 -المرجع نفسه، ص 9.

14 -الوسائل المتقبلة: المرجع السابق، ص 17.

15 -الوسائل المتقبلة: ص 21

16 -الوسائل المتقبلة: ص 31

17 -الوسائل المتقبلة: ص 23

18 -الوسائل المتقبلة: ص 24

19 -الوسائل المتقبلة: ص 43

20 -الوسائل المتقبلة: ص 48

21 -الوسائل المتقبلة: ص 50

22 -الوسائل المتقبلة: ص 50

23 -الوسائل المتقبلة: ص 61

24 -الوسائل المتقبلة: ص 64

25 -الوسائل المتقبلة: ص 65

26 -الوسائل المتقبلة: ص 69

27 -الوسائل المتقبلة: ص 70

28 -الوسائل المتقبلة: ص 70

29 -الوسائل المتقبلة: ص 76

30 -الوسائل المتقبلة: ص 95

31 -الوسائل المتقبلة: ص 95

32 -الوسائل المتقبلة: ص 101
33 -الوسائل المتقبلة: ص 104
34 -الوسائل المتقبلة: ص 104
35 -الوسائل المتقبلة: ص 112
36 -الوسائل المتقبلة: ص 114
37 -الوسائل المتقبلة: ص 124
38 -الوسائل المتقبلة: ص 127
39 -الوسائل المتقبلة: ص 129
40 -الوسائل المتقبلة: ص 135
41 -الوسائل المتقبلة: ص 135
42 -الوسائل المتقبلة: ص 137
43 -الوسائل المتقبلة: ص 137
44 -الوسائل المتقبلة: ص 139
45 -الوسائل المتقبلة: ص 146
46 -الوسائل المتقبلة: ص 148
47 -الوسائل المتقبلة: ص 148
48 -الوسائل المتقبلة: ص 148.

الاختيار القرآنيّ في سورة يوسف: دراسة أسلوبيّة

محمد خامس محمد

المحاضر بكلّيّة المنار كدونا، نيجيريا

Abstract:
The title of this paper is: Choice of Diction in Suratu Yusuf: Stylistic study**.** This article is a sort of an academic adventure within the form and content of modern stylistic which comprises: introduction, the meaning of the concept 'Choice of Diction', the emergence of Stylistic Study, types of Choice with its categories and various examples from the holy Qur'an, and analysis of choice with its general features and characteristics in suratu Yusuf. While the conclusion contains the most important findings of the research, follows by some recommendations and references.

مدخل:

تستهدف هذه المقالة إلى دراسة صور الاختيار القرآنيّ في سورة يوسف عليه السلام من بين خصائص الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة الّتي تبحث عن الاتّجاهات العامّة لعلمِ اللّغة من النّواحي الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والجماليّة، والتي هي منهج نقديّ لسانيّ يقوم على دراسة النّصّ الأدبيّ دراسة لغويّة لاستخلاص أهمّ العناصر المكوّنة للأدب، إذ تجعل منطلقها الأساس النّصّ الأدبي[1].

واختار الكاتب هذه السّورة لأنّها موسوعة لغويّة تحتوي على مضامين أسلوبيّة، ودقائق عربيّة رفيعة، ممتلئة بالعبر والنّصائح البديعة والصّور الجماليّة؛ لكونها أحسن القصص في أحسن أسلوب عن النّبيّ الحسن الجميل يوسف –عليه السلام –، قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (يوسف: 3). وفيها صور لطيفة جامعة لأجواء الأنس والرّحمة بأسلوب فريد من

نوعه في اختيار الألفاظ والعبارات ممّا يجعل النّفس تستريح لها، كما قال عطاء: "لا يَسمع سورةَ يوسف محزونٌ إلا استراح إليها"[2].

كما يهدف الكاتب وراء إكمال المقالة إثبات وجود صور الاختيار في الكتاب العزيز، كما سيتّضح ذلك في صميم هذا البحث. وتتناول المحاور التّالية:

أوّلاً: مفهوم الاختيار بين اللّغة والاصطلاح.

ثانيًا: نشأة الدّراسة الأسلوبيّة.

ثالثًا: أنواع الاختيار.

رابعًا: صور الاختيار في سورة يوسف.

خامسًا: الخاتمة.

سادسًا: المصادر والمراجع.

أوّلًا: مفهوم الاختيار في اللّغة والاصطلاح:

كلمة الاختيار في اللّغة هي الانتقاء والاصطفاء، مأخوذة من خار الشّيء: انْتَقاهُ واصْطَفَاهُ، يقول أَبو زُبَيْد الطَّائِيّ[3]:

إِنَّ الكِرَامَ عَلَى مَا كَانَ من خُلُقٍ * رَهْطُ امْرِئٍ خارَه لِلدِّينِ مُخْتَارُ

ومنه قولك خَارَ الله لك في الأمر أي اختار، فمصدره اختيارٌ، والخِيَرَةُ بوزن العنبة الاسم، من قولك اخْتارَ الله تعالى، ويقال محمد خِيَرَةُ الله من خلقه، وخيرة الله أيضا بالتّسكين.

فالاخْتِيَارُ هو الاصطفاء وكذا التَّخَيُّر وتصغير مُخْتَارٍ مُخَيِّرٍ كمغير، والاسْتِخارةُ طلب الخيرة يقال: اسْتَخِر الله يخر لك، وخَيَّرَهُ بين الشيئين أي فوّض إليه الخيار، واختار الشّيء أي انتقاه واصطفاه، واختار الشّيء على غيره أي فضّله عليه.

ومنه قوله تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ، ما كان لهم الخِيرةُ} (القصص: 68). أي: ليس لهم أن يختاروا على الله. وقال عزّ مِن قائلٍ سبحانه: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}(الدخان:32).

والفرق بين الاختيار والاصطفاء أنّ الاختيار أخذ خير ما في الشّيء على وجه الحقيقة، والاصطفاء أخذ ما يصفو منه، وإن كان قد كثر استعمال أحدهما موضع الآخر، قال تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً}(الأعراف: 155). أي اصطفى رجلا من قومه. وقال عزّ مِن قائلٍ سبحانه: {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ}(ص: 47). أي: ممّن اختارهم الله. ويقول الله تعالى في اختيار الدّار الآخرة على الدّنيا: { وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }(الأعراف: 169). وجاء فيما صحّ عنه صلى الله عليه وسلم: "خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي ٱلإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا"[4]، أي: من كان مختارًا في الجاهلية هو المختار في الإسلام إذا فهم الدّين.

وقال عبد الغني النّابلسيّ[5]:

وما أنت مجبورٌ وربك خالق لك الإختيار المحض من غير مرية
وحيث اختيارٌ فيك خلْقه ربنا كباقي صفات مثل حول وقوة

وأمّا معناه عند أهل الفنّ فهو "اختيار سمات لغوية معيّنة يقوم به المنشئ لغرض التعبير عن موقف معين، ومن مجموع الاختيارات الخاصّة لمنشئ معيّن يتكوّن أسلوبه الذي يمتاز به"[6]. فمن اختيار الألفاظ المناسبة للسّياق وتأليف الكلام يُعرَف أسلوب الكاتب؛ لذلك يُعرَّف الأسلوب أحيانًا بأنّه: "طريقة الكاتب أو الشّاعر الخاصّة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام، وهذه الطّريقة فضلاً عن اختلافها بين الكُتّاب والشّعراء تختلف في الكاتب أو الشّاعر نفسه باختلاف الفنّ الّذي يعالجه، والموضوع الّذي يكتبه، والشّخص الّذي يتكلّم بلسانه أو يتكلّم عنه"[7]. ويكون هذا الانتقاء والاختيار من بين البدائل الكثيرة لملاحظة أسلوبيّة [8]، حين

يؤثر المنشئ كلمة على كلمة أو تركيبا على تركيب لأنّها أصحّ عربية أو أد قّها في توصيل ما يريد ؛ ويمكن أن يدخل تحت هذا النّوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة المعروفة كالفصل والوصل والتّقديم والتّأخير والذّكر والحذف وغيرها. وله شأن رفيع في وضوح المعنى. وقد أشار الجرجانيّ إلى أنّه لا تفاضل بين اللّفظتين في الدّلالة حتىّ تكون إحداهما أدلّ على معناها في الأخرى[9].

ومن المعروف أنّ القرآن الكريم هو أرفع كتاب يحمل في طيّاته جوانب البيان والمعاني والأسرار الفنّيّة من خلال حسن اختياره للحروف والأدوات والألفاظ والعبارات في سوره. وما الأسلوب من جهة اللغة إلاّ "اختيار لقاموس لغويّ أوّلاً ثمّ اختيار للعلاقات بين عناصر القاموس ثانيًا، وكما أنّه من جهة التّعابير وجود تعبيرين أو أكثر لهما نفس المعنى غير أنّهما يختلفان في طرائق تأديته ، فليس متعلّقا بالتّعبير فقط ولكن بالتّفكير "[10]. "واللّغة تزخر بمفرداتها ومعانيها وتراكيبها، وتتيح الفرصة لمن يشاء أن يغترف من ينابيعها ويتزوّد بزخارفها عن طريق اختيار الألفاظ اللاّئقة والمعاني المناسبة والتّراكيب المفضية إلى الغرض المنشود. وكلّ منشئ يختصّ بأسلوبه الخاصّ عن نظرائه من المنشئين في الصّياغة والتّعبير والاختيار من معجمه اللّغويّ، فقد يميل إلى استخدام بعض الكلمات دون بعضها الآخر، وقد لا يستخدم كلمات كثيرة في اللّغة الّتي يتكلّم بها على الإطلاق لكونها لا تعجبه، مع أنّه يفهم معانيها، كما أنّ هناك كلمات كثيرة أخرى لا يستخدمها ولا يعرف معانيها لخروجها عن نطاق بيئته وثقافته، فتراه دائمًا يحاول في انتقاء الجمل والرّبط بينها، فيستعمل بعض الصّيغ دون بعض، أو يستعمل أدوات معيّنة دون أخرى، وهكذا..."[11].

فالكاتب عندما يختار مفرداته لِيَصُبّ فيها أحاسيسه وعواطفه لا بد له من التزام الدّقّة والوضوح حتّى يتمّ الجمال والحسن في الكلام. فكلّ جملة تنبعث عن الاختيار كم ا أثبت ذلك تشومسكي في قوله: "الجُمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات للكلمات داخل الجملة"[12].

ثانيًا: نشأة الأسلوبيّة:

وقد ظهرت كلمة الأسلوبيّة في أوائل القرن العشرين نتيجة ظهور العلوم اللّغويّة واللّسانيّة الحديثة "الّتي قرّرت أن تتّخذ من الأسلوب علمًا يُدرَس لذاته، أو يوظَّف في خدمة التّحليل الأدبيّ، أو التّحليل النّفسيّ، أو الاجتماعيّ، تبعًا لاتّجاه هذه المدرسة أو تلك"[13]، على يد العالم السويسري (*شارل بالي*) *فرديناد دسوسير* (1858–1913م). فأصدر كتابه – في الأسلوبيّة الفرنسيّة –، وفي عام 1905م أصدر كتابًا آخر سمّاه "المجمل في الأسلوبيّة".

ثمّ جاء بعده بعض علماء اللّغة الّذين تأثّروا بمنهجه في أبحاثهم اللّغويّة أمثال *بند يتكوكروتش* (Benedctto Croce) *وكارل فوسلر* (Karl Vossler)، *وليوسبيتزر*، (Leo Spitzer) *ورومان جاكبسون* (Roman Jakobson) وغيرهم على اختلافهم في النّظرية والاتّجاه[14]. وتظهر مساهماتهم في تطوير الأسلوبيّة الحديثة ودفع عجلتها إلى الأمام، وظهور المذاهب والاتّجاهات الأدبيّة والنّقديّة الّتي اهتمّ بها الفكر الغربيّ في القرن العشرين.

رغم حداثة هذه الدّراسة إلاّ أنّ هنالك نخبة من النّقّاد العرب الّذين بذلوا جهودهم في تطويرها، من أشهرهم:

1–الدّكتور محمد الهادي الطرابلس يّ، في كتابه المسمى: "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، طبع بالمجلس الأعلى للثقافة، سنة: 1996م، وعدد الصفحات 588، ويحتوي على شعر أحمد شوقي تحليلاً وتطبيقًا بالإيقاع الّذي تولده نصوصه الشّعريّة من قوافٍ وجناس وطباق وتقطيع، وفنّ المقابلة السّياقيّة واللّغويّة، وغير ذلك "[15]، وللكتاب أهمّيّة كبرى في الدّراسة الأسلوبيّة العربيّة.

2–الدّكتور عبد السّلام المسدي، في كتابه: "الأسلوبيّة والأسلوب " طبع بالدّار العربيّة للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط" 3، سنة:2013م، وهو من أهمّ الكتب النّظرية الأسلوبيّة، فقد تناول فيه تطوّر هذا المصطلح عند النّقّاد والأسلوبيّين، في الغرب أمثال تشادي، ودي

سوسير ورولان بارت، وقسّم هذا الكتاب إلى ستّة فصول، ختمه بكشف كامل لأهمّ المصطلحات في الغرب مثل: الانزياح والانصراف والمجاورة والتّناظر والتّضاد والتّوازي وغيرها من المصطلحات.

3-الدّكتور صلاح فضل، أصدر في هذه الدّراسة كتابًا مشهورًا وسمّاه: "علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته"، طبع بدار الشّروق بالقاهرة، ط: 1، سنة 1998م، فقد ركّز فيه صلاح على أهمّ المدارس الأسلوبيّة في الغرب، وعلى أهمّ الإجراءات الواجب توفّرها لدراسة النّص الأدبيّ دراسة أسلوبية ... وأخذ عليه الغموض في المنهج والصّعوبة في فهم مصطلحاته[16].

ثالثًا: أنواع الاختيار:

يمكن تقسيم الاختيار إلى قسمين، هما[17]:

الأوّل: اختيار الألفاظ المفردة:

هو اختيار لفظ مفرد مناسب للمقام والدّلالة على المعنى. فيجب على الأديب أو الكاتب أن يختار ألفاظه قبل النّظم لكي يتّصف كلامه بالحسن والجودة والجمال، ولذلك يشبه درويش الألفاظ باللآلئ حيث قال حكم الألفاظ: "حكم اللآلئ المبدّدة فإنّها تتخيّر وتنتقى قبل النّظم"[18].

ويرى الباحث أن هناك اختيارًا آخر يتعلّق الحروف والأدوات؛ فاختيار الحروف هو أن يختار السّياق حروفًا خاصّة للوصول إلى التّعبير لأهداف فنّيّة لو استعمل غيرها محلّها لما تمّت الدّلالة الحقيقيّة على المراد، أو لأدّى إلى لفظ غير مناسب، وبالتّالي إلى معنى غير لائق. فمثاله اختيار الواو دون الفاء في قوله تعالى: {وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ}(يوسف: 10). للدّلالة على التّراخي بمعنى "ثمّ" بدلاً من الفاء الّتي تفيد التّرتيب، لأنهم يحتاجون إلى الخروج به إلى مكان بعيد لئلاّ يقفى أثره.

وأما اختيار الأدوات فهو أن يختار السّياق أداة لو بدّلت بغيرها لتغيّر المعنى المراد به لفظًا. مثاله اختيار "حتّى" بدلاً من "إلى" في قوله: {لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} (يوسف: 35)،

بمعنى "إلى"، ليفيد الجناس غير التّام، ولما احتوت عليه من الغاية والزّيادة، وتعميم الدّلالة على أنّ "حتّى" بمعنى الحين، فتقدير الكلام: "إلى أن يحين حين".

الثاني: اختيار الجمل والعبارات:

هو أن يختار المقام أسلوبًا لو غيّر بغيره لتحوّل المراد أو أتى بمعنى نازل غير مراد. مثاله اختياره "أحد عشر كوكبًا" من قوله تعالى: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}

(يوسف:4)، لما يأتي:

أ. الاختصار، مع أنّ لكلّ كوكب اسمًا.

ب. وأخرج الشّمس والقمر من ضمن الكواكب لمزيّتهما ومهمّتهما، فلو شاء لقال: إنّي رأيت ثلاثة عشر كوكبًا"، وهذا ليس فيه ذوق جميل ورونق حسن.

ج. ولأنّ الشّمس تدلّ على أمّه، والقمر يدلّ على أبيه، والكواكب الحادية عشر على إخوته.

فحسنُ نظم العبارة القرآنيّة وجمال أسلوبها ودقّة اختيار ألفاظها وملائمتها للمعنى وسبكها في تسلسل منطقيّ وَفْقَ نظام متماسك، وموقعها وشكل بنيتها والأصوات الموحية بدلالة بنية اللفظ والتركيب بحيث لا نجد بديلاً عنها في دقّة التّعبير والإحاطة بالمعنى أمرٌ واجب.

رابعا: صور الاختيار في سورة يوسف:

للاختيار صور مختلفة في السّورة منها التّكرار، والزّيادة، والحذف، والتّقديم والتّأخير، والاستفهام، والمفاجأة، والعدول، والانزياح وغير ذلك، وهنا إشارة عابرة لكل صورة منها في السّورة على سبيل التّلميح لا للإحاطة.

أ –**اختيار التّكرار**: وهو رصد الظّواهر الأسلوبيّة المتكرّرة داخل النّصّ الأدبيّ، بحيث يمكن أن تشكّل ظاهرة أو مثيرًا أسلوبيًّا نابعًا من هذا التّكرار [19]. ومثاله في سورة يوسف عليه السلام قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} (يوسف: 3)، فيه اختيار تكرار النّون والميم، وحرف النّون أكثر الحروف دورانًا في السورة لأنّه من أغنى الحروف إيقاعًا ونغمًا موسيقيًّا، ويليه حرف الميم وهما حرفا غنّة. وهكذا تتّسق الأصوات في جمال لغويّ ينفذ إلى النّفس ويحرّك عواطفها بمشاعر مختلفة؛ ففي الآيات الثلاث الأولى من سورة يوسف إشعار القارئ ببطء الإيقاع ممّا يوحي بانتهاء مقدمّة السّورة، ثمّ ترد الآيات الثّلاث الّتي تليها تبيّن ملخّص القصّة بالانتهاء بحرف الميم عند قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (يوسف: 6)، فالملاحظ هنا اختلاف حرفي الفاصلة من النّون إلى الميم.

ومثله أيضًا تكرار ضمير الغائب إيحاءً إلى سخرية النّسوة وذلك في قوله: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}(يوسف: 43).

ومثله كذلك تكرار لفظ "تأويل" ثماني مرّات في آيات السّورة لأهمّيّة دلالتها على تعبير الرّؤيا، وهو علم آتاه الله يوسف عليه السّلام لأنّ ذلك أكبر ما يفتخر به النّاس في زمانه.

ب. الحذف: هو حذف كلمة أو جملة فأكثر مع قرينة أو بدونها تدلّ عليه لغرض الإيجاز، وقد تحذف ليكون أبلغ وأدلّ على المقصود، أو هو إسقاط وطرح جزء من الكلام أو الاستغناء عنه، لدليل دلّ عليه، أو للعلم به وكونه معروفًا [20]. فمثاله حذف الياء في قوله تعالى: {فَأَرْسِلُونِ} (يوسف: 45)، للتّخفيف، واختار جمع ضمير الملك للتّعظيم. ومثاله أيضا: حذف المفعول به في قوله: "وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض" ليدلّ على العموم. أي جعلنا كلّ شيء ممكنًا بين يدي يوسف عليه السّلام.

جـ. الزيادة : زيادة حرف أو كلمة أو جملة فأكثر بقرينة أو بغيرها لقصد الإطناب الّذي يحتاج إليه المقام. من ذلك اختيار زيادة الباء في قوله تعالى: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ} (يوسف: 31)، اختار زيادتها مع أنّ الفعل (سمع) يتعدى بنفسه كما ورد في مواضع من آي الذّكر الحكيم مثل قوله تعالى: {قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها}(يوسف: 31)، وقوله أيضا: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}(آل عمران:181)، فيرجع السّبب إلى أنّ امرأة العزيز لم تسمع من تلك النّسوة مباشرة. لأنّ المكر بمعناه الظّاهر لا يسمع، لذلك جاءت الباء تؤدّي رسالة لا يتمّ الأمر إلاّ بها، فكأنّ معنى الآية: أنّها أُخبِرت بمكرهنّ، واختير الفعل "سمع" لبيان عناية المرأة ورغبتها أن تسمع كلّ ما يقال فجاءت الباء لتبيّن أنّ السّماع كان بواسطته. ومفهوم الكلام أنّها كانت جالسة معهنّ في مجلس واحد، فالباء من أساسيّات النّظم الّذي هو انسجام اللّفظ والمعنى[21].

ومثال اختيار الزّيادة أيضا زيادة حرف "مِنْ" في قوله: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} (يوسف:38)، للدّلالة على عظم شأن الشّرك عند الله تبارك وتعالى، وكذلك إذا كانت للتّبعيض. وهذا كلّه تأكيد لما كان يوسف بصدده (التّوحيد)، والحال هي الّتي سوّغت له المجيء بـ"مِنْ" لكون صاحبيه المدعوين إلى التوحيد لم يتذوّقا لذّة التّوحيد قط.

د. التّقديم والتّأخير : هو تقديم ما حقّه التّأخير، أو تأخير ما حقّه التّقديم لغرض من الأغراض الأسلوبيّة[22]. فمثاله تقديم الجار والمجرور في قوله: {وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} (يوسف: 11)، ليفيد حصر نصحهم ليوسف عليه السّلام. ومثال التّقديم أيضًا قوله: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}(يوسف: 37)، وسرّ تقديم الإيمان على الكفر ليتّضح عند ذكره (يوسف) إياه. ومثال التّأخير قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} (يوسف: 36)، اختار تأخير الفاعل لأنّه مبهم.

هـ. الاستفهام: طلب معرفة ما لم يكن معروفًا من قبل، عن طريقة الألفاظ المهيّئة له. وقد تخرج تلك الألفاظ أحيانًا عن معانيها الأصليّة لتفيد الجمال في الأسلوب، وهو أحد أكثر الأساليب الإنشائيّة استعمالاً وأهمّيّة ويراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذّهن [23]. فمثاله اختيار استعمال "هل" الاستفهاميّة في قوله: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ} (يوسف: 64)، لتفيد الإنكار، بدلاً من أن يستخدم "ما" النّافية الّتي هي الأصل، فأتى بـ "هل" الفرعية للدّلالة على المبالغة. ومثله قوله: {قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي} (يوسف: 90)، فسرّ اختيار الاستفهام للتّعجب، دلّ عليه الحال.

و. الإفراد والجمع : هو جعل أحدهما محلّ الآخر للغرض الّذي يقصده الكاتب. فمثاله اختيار جمع ضمير الملك للتّعظيم في قوله تعالى: {فَأَرْسِلُونِ}(يوسف: 45). ومثاله اختيار الجمع دون الإفراد قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}(يوسف: 22). فقوله: "أشده" من شُدَّة، فاختار الجمع ليدلّ على تقوية الحواس والعقل، وهذا معروف في المنطق.

ز. المفاجأة: هو عنصر نفسيّ هامّ، لإثارة الانفعالات، وجذب الانتباه... [24] فمثاله اختيار زيادة "على" بدلاً من "في" في قوله: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ} (يوسف: 99)، للدّلالة على المفاجئة.

حـ. العدول: هو أن يكون المتبادر من السّياق أن يستعمل المادّة أو الصّيغة فيعدل عنها إلى صيغة أو مادة أخرى غير المتبادرة لملاحظ بلاغيّة[25]. فمثاله استعمال اسم الفاعل بدلاً من صيغة المضارع في قوله: {وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} (يوسف: 11)، لإفادة الدّوام، وهي قاعدة بلاغيّة معروفة؛ فكأنّهم يؤكّدون لأبيهم أنّهم لا يقصرون النّصح له مدّة دوام سفرهم وبعد رجوعهم، فنزلوا أباهم منزلة المنكر لما أبطنوا من الدّسيسة، ولأنّ المخطئ دائمًا يستشعر بفعلته الخاطئة.

ومثله أيضا وقوله:" أن تذهبوا به" محوّل من المصدر للمبالغة في الجمال، ولأنّ المضارع في هذا السّياق من الآية يدلّ على استقبال القريب خلافًا لمصدر "الذّهاب" في هذا السّياق أيضًا، وكون الفعلين مستقبلين لسبق اللّام فعلَ "يحزنني" لأنّها تفيد الاستقبال سواء كانت ابتدائيّة أو توكيديّة أو للقسم. ومثله أيضًا قوله تعالى: {تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ}(يوسف: 30). تحاول، فالمحاولة مشتقّة من حَوِلَ أي حاول أي راود، ومنه قول الأعشى[26]:

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا، وَعُلِّقتْ رَجُلاً غَيرِي، وَعُلّقَ أُخرَى غيرَها الرَّجُلُ
وَعُلِّقَتْهُ فَتَاة مَا يُحَاوِلُهَا ومِنْ بَنِي عَمِّها مَيْتٌ بِهَا وَهِلُ
وَعُلِّقَتْنِي أُخَيْرَى مَا تُلائِمُني فاجتَمَعَ الحُبُّ حُبّاً كُلُّهُ تَبِلُ

ولكنّ المولى عزّ وجل لم يقل: " تحاول فتاها " لعدم صراحة معناها أكثر من صراحة معنى المراودة فإنّها أدلّ على المعنى وأسهل لفظًا.

ط. الانزياح: كالعدول، وهو جعل شيء من اللّفظ أو الكلام في غير ما وضع له أصلاً [27]. فمثله: قوله "أو نتّخذه ولدًا" استعمل لفظ "ولدًا" ليدلّ على أنّه حرّره فليس عنده بمثابة العبد.

خامسا: الخاتمة:

يظهر من المقالة أنّ الاختيار القرآنيّ من مباحث الدّارسة الأسلوبيّة الّتي تخدم النّصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة. والقرآن الكريم يحمل في طيّاته وجوه الإعجاز الجماليّة والدّلاليّة في ألفاظه ومعانيه، وتوصّل الباحث إلى أنّ الاختيار يمكن تقسيمه إلى اختيار الألفاظ واختيار العبارات، ثم تطرّق لبيان صوره في سورة يوسف ممّا يمكن اعتباره إضافة علميّة إلى المكتبة العربيّة.

الهوامش:

1. موقع الإنترنيت: منتديات الوليد، "الأسلوبية وروادها عربيا، رؤية في اشكالية دراستنا الأسلوبية"، 2005م، ص:2.

2. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (الدكتور)، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج"، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، الجزء: 12، بلا تاريخ، ص: 189.

3. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأول، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، بدون أخبار النشر، ص: 2800.

4. الألباني، محمد ناصر الدين، (الألباني)، صحيح الجامع، الجزء الثالث، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، بدون أخبار النشر، ص: 228.

5. عبد الغني النابلسي، الديوان، بدون أخبار النشر، ص: 304.

6. محمد العاشر أول، (الدكتور)، "صور من أسلوب القرآن في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة"، رسالة الدكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو، كنو، 2007، ص: 92.

7. محمد سعد، "الاختيار في الدراسات الأسلوبية الحديثة"، موقع الفصيح لعلوم اللغة العربية، 2010م، ص:1-10.

8. عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي، (الدكتور)، علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط:1، 2001م، ص: 64.

9. عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 1995، ص: 52.

10. سامية محصول الجزائر، "أسلوب الاختيار في الدراسات الأسلوبية"، مجلة دراسات أدبية، وهي مجلة علمية محكمة، العدد:9، 9/1/ 2010م، ص: 1-11.

11. فتح الله أحمد، (الدكتور)، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ط: 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2008م، ص: 14.

12. قليل يوسف، "مدخل إلى الأسلوبية"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد:10، 2010م، ص: 8-11.

13. عقيلان عبد الكريم، "الأسلوبية مفهوما ونظرة تطبيقية"، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية،2010م، الساعة: 20:23 م، ص: 8- 12.

14. جعفر إسماعيل، "حديث أم زرع، دراسة أسلوبية"، بحث تكميلي مقدّم لقسم اللّغة العربية للحصول على شهادة اللّيسانس في اللّغة العربيّة، 2011، ص: 16.

15. عصام شريح، "الأسلوبية وروادها"، موقع منتديات الوليد، 8/ 01/ 2005م، ص:2.

16. عصام شريح، "الأسلوبية وروادها"، المرجع السابق، والصفحة نفسها.

17. محمد العاشر محمد الأول، (الدكتور)، "صور من أسلوب القرآن الكريم في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة"، رسالة الدكتوراه، مقدّمة إلى قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب والدّراسات الإسلاميّة، جامعة بايرو، كنو نيجيريا، 2007، ص: 92، و99.

18. أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه ، دار ابن كثير، دمشق، ج: 5، ط: 4، 1994م، ص: 37.

19. أحمد علي محمد، "التكرار وعلامات الأسلوب، في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي، دارسة أسلوبية إحصائية"، مجلة جامعة دمشق، م:26، العدد، 1-2، 2010، ص: 1-35.

20. عبد الله بن عقيل، شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط: 20، 1980م، ص: 243.

21. محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التّحرير والتّنوير، الجزء: 12، ط:1، بيروت –لبنان، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، موقع مكتبة المدينة الرّقميّة، 2000م، ص: 54.

22. مروان محمد سعيد عبد الرحمن، "دراسة أسلوبية في سورة الكهف"، رسالة الماجستير مقدّمة إلى كلّيّة الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنيّة، 2006م، ص: 93.

23. ناغش عيدة، "أسلوب الاستفهام في الأحاديث النّبويّة في رياض الصّالحين: دراسة نحويّة بلاغيّة تداوليّة"، رسالة قدّمتْها إلى قسم الأدب العربيّ، كلّيّة الأدب واللّغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012م، ص، 23.

24. وقد تناول بعضًا منه أحمد جمال الدّين في: " لغة الحوار في سورة يوسف عليه السلام: دراسة أسلوبية "، بحث الماجستير مقدم إلى كلية الآداب الإسماعيلية، جامعة قناة السّويس، 2012م، ص: 1-22.

25. وقد بحث فيه عبد الحفيظ مراح، "ظاهرة العدول في البلاغة العربيّة -مقارنة أسلوبيّة"-، في رسالته للماجستير مقدّمة إلى قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب واللّغات، جامعة الجزائر، 2006م.

26. الأعشى ميمون، ديوان الأعشى، بدون بيانات النّشر، ص:48.

27. سامية محصول، الجزائر، "الانزياح في الدراسات الأسلوبية"، مجلة دراسات أدبية، العدد الخامس فيفري، 2010م.

سادسا: المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-أحمد جمال الدين، (الدكتور)، " لغة الحوار في سورة يوسف عليه السلام: دراسة أسلوبية "، رسالة الماجستير إلى كلية الآداب الإسماعيلية، جامعة قناة السويس، 2012م.

-أحمد علي محمد، "التكرار وعلامات الأسلوب "، في قصيدة (نشيد الحياة) للشابي، دارسة أسلوبية إحصائية، مجلة جامعة دمشق، المجلد، 26، العدد، 1-2، 2010م.

-أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه ، دار ابن كثير، دمشق، ج: 5، ط:4، 1994م.

-الأعشى ميمون، ديوان الأعشى، بدون بيانات النشر.

-الألباني، محمد ناصر الدين، (الألباني)، صحيح الجامع، الجزء الثالث، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، بدون أخبار النشر.

-جعفر إسماعيل، "حديث أم زرع، دراسة أسلوبية "، بحث تكميلي مقدم لقسم اللغة العربية للحصول على شهادة الليسانس في اللغة العربية، 2011م.

-الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الأول، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، بدون أخبار النشر.

-الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (الدكتور)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، الجزء: 12، بلا تاريخ.

-سامية محصول الجزائر، "أسلوب الاختيار في الدراسات الأسلوبية"، مجلة دراسات أدبية، وهي مجلة علمية محكمة، العدد:9، 9/1/ 2010م.

-سامية محصول، الجزائر، "الانزياح في الدراسات الأسلوبية"، مجلة دراسات أدبية، العدد : 5، فيفري، 2010م.

-عبد الحفيظ مراح، "ظاهرة العدول في البلاغة العربية : مقارنة أسلوبية"، في رسالته للماجستير مقدمة إلى قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2006م.

-عبد الله بن عقيل، شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: 20، 1980م.

-عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي، (الدكتور)، علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2001م.

-عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 1995م.

-عصام شريح، "الأسلوبية وروادها عربيا رؤية في إشكالية دراستنا الأسلوبية"، موقع منتديات الوليد، الساعة: 4:29، 8/ 01/ 2005م.

-عقيلان عبد الكريم، "الأسلوبية مفهوما ونظرة تطبيقية"، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، الساعة: 20:23 م،2010م.

-فتح الله أحمد، (الدكتور)، "الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية "، ط:1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2008م.

-قليل يوسف، "مدخل إلى الأسلوبية"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد:10، 2010م.

-محمد سعد، "الاختيار في الدراسات الأسلوبية الحديثة"، موقع الإنترنيت، الفصيح لعلوم اللغة العربية، 2010م.

-محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير، ج: 12، ط: 1، بيروت -لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، موقع مكتبة المدينة الرقمية، 2000م.

-محمد العاشر أول، (الدكتور)، "صور من أسلوب القرآن في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة"، رسالة الدكتوراه مقدمة إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة بايرو ، كنو، 2007م.

-مروان محمد سعيد عبد الرحمن، "دراسة أسلوبية في سورة الكهف"، رسالة الماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2006م.

-النابلسي، عبد الغني، الديوان، بدون أخبار النشر.

-ناغش عيدة، "أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين: دراسة نحوية بلاغية تداولية"، رسالة قدمتها إلى قسم الأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2012م.

التربية وتعليم اللغة العربية:
دراسة لعملية التدريس والأدوات التعليمية

ABUBAKAR ALIYU ABBAS ZAGE-ZAGI

ABSTRACT

This paper focuses on Education and responsibility of teaching Arabic Language. It talks on the instructional materials, method of teaching Arabic Language and the qualities of an Arabic teacher. It establishes that education and knowledge of teaching methodology as well as qualitative materials for teaching are indispensable for a qualified Arabic Teacher.

المقدمـة:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير الأنام سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

التعليم أمر يتطلب من يقوم به نحو إلقاء التدريس على التلاميذ، فكأن وظيفة التعليم ينقل إلى مفهوم التربية والتعليم، إذ لا يتم هذا العمل إلا بسلك الجانب التربوي، وعلى هذا فلا بد لمن يقوم بعملية التعليم أن يكون مربيا قبل أن يكون معلما.

فالتعليم يطلب الأدوات المعينة لأداء عملية التدريس للتلاميذ. فلا غرابة في أن هذه الوظيفة تحتاج إلى الأدوات التي على سبيلها يتم هذا العمل، وبدونـها لا يتم وظيفة المعلم نحو التلاميذ.

أما معلم العربية في نيجيريا فلا يختلف عن معلمالعربية في باقي الأقطار، إلا أن البيئة التعليمية تختلف باختلاف الأماكن وبيئة الشعب.

فوظيفة تعليم العربية في نيجيريا وظيفة قديمة منذما قبل دخول المستعمرين، فلم تكن إذا وليدة الصدفة. وهذه الورقة تتناول موضوع التربية والتعليم من زاوية دراسة عملية التربية وأدوات التدريس، وتكون الدراسة من العناصر الآتية:

1 - تعريف التربية والتعليم
2 - واجبات المعلم نحو التدريس
3 - الأدوات التعليمية
4 - متانة المادة

5 – التعليم في الكتّاب
6 – طرق تعليم اللغة العربية
7 – تعليم اللغة العربية ومتطلباته
8 – مواد اللغة العربية
9 – الخاتمة

تعريف التربية والتعليم:

معنى التربية:

التربية هي إعداد الروح والجسم بكل ما يمكن من الجمال والكمال، هذا هو ما يراه أرسطو (الشيخ نور الدين بدون تاريخ: 6)، وعلى هذا فالرتبية هي القيام بتأدية ما يفيد الروح والجسم، حتى يعرف ما يمس التلميذ من الجانب الروحي، والجسمي وعلى ما يراه أفلاطون: هي إعداد العقل والجسم بكل مايكسب من الصناعات حتى يفيد نفسه وجسمه، ومجتمعه(الشيخ نور الدين بدون تاريخ: 6).

وعلى ما يراه محمود كامل (بدون التاريخ: 8) أنه: "عادة ما نعبر المبادئ التربوية عن النظرة التطبيقية في عملية التعلم لما تقدمه الأسس الأخرى من معلومات مثل الأساس النفسي والثقافي والتربوي. ومعرفة هذه المبادئ تساعد المسؤلين في وضع المواد التعليمية، واختيارها على تحليل هذه المواد؛ وتحديد أيها تصلح للبرنامج الذي يقومون على تحطيطه وتنفيذه". فكأن هذا يرجع إلى التربية هي اللبنة الأساسية لعملية التدريس.

حيث لا يكون التعليم إلا من ناحية التربية.

التعليم:

التعليم شيء ينتمي إلى شيئين أساسيين هما – التعلم والتعليم، ولكل منهما دور ووظيفة عبر تحصيل التغيير العقلي والروحي، من جانب التلاميذ، فالمبروك عثمان وغيره، (1990م:37)، يرى أن التعلم: هو التغيير الحاصل في سلوك المتعلم، بسبب ما اكتسبه من

خبرة في الموقف الذي تعلمه الآن، إنه عملية يقوم بها التلميذ من أجل السيطرة على الفكرة الجديدة واستيعابها في رصيده المعرفي، وإجراء ما يناسبها من مواءمة أو تعديل في تنظيمه المعرفي السابق، بحيث يصبح تنظيما جديدا مع كل تعلم جديد، وخبرة جديدة. يرى أن التعلم شيء يطلب من المتعلم تغيير طبيعته الذاتية؛ التغيير الذي حصل عليه من التعليم، وأن ينفع نفسه ومجتمعه بما استفاد به عن ما تعلم، فالمتعلم إذا هو التلميذ أو الطالب الذي نال شيئا من المعلومات عن أساتذته وعلمائه.

أما التعليم: فهو صناعة يقوم بها المعلم لإدخال المعلومات على التلاميذ، وتغيير طبائعهم النفسية والتقليد البحت، فيأخذها التلميذ إلى أسرته ومجتمعه (مبروك عثمان وغيره 1990م:38). يرى مبروك عثمان وغيره (1990م:38) أن مفهوم التعليم (أو التدريس)يشير إلى تلك العملية والأنشطة والفعاليات التي يقوم بها المعلم، وهو يقوم بتعليم تلاميذه درسا جديدا، بحيث يسخر كل تلك الفعاليات إلى تحقيق الهدف من الدرس وهو توصيل ما يود المعلم توصيله إلى التلميذ بحيث يتعلم هذا الأخير شيئا.

واجبات المعلم نحو التدريس:

المعلم هو الذي يقوم بوظيفة التدريس، ولا بد له أن يتصف بصفات المعلم الناجح، أثناء القيام بوظيفته، ولا يتساهل بواجبه عند القيام به، إذ هو معلم ومرب، فهو إذا مرشد وقائدلتلاميذه. يرى الدكتور يوسف: (2002م: 21) أن المعلم الناجح هو –باختصار– حضور وتحضير، وهما شأنان يتمان قبل الدرس. فبالنسبة للحضور هو شأن تربوي، يتعلق بشخصية المعلم، مظهره وسلوكه، باعتباره قدوة، الأمر الذي يوجب عليه أن يكون حسن المنظر، ظاهر الهندام، أنيق الملبس، مميزا بهيئة عن الكبار من التلاميذ، متمتعا بشخصية حاضرة، تنم عن ثقة بالنفس، وقوفا وسيرا، وتعاملا، وتكلما، وبناء علاقات، الأمر الذي يجعله موضع احترام زملائه وتقيد إدارته وإكبار تلاميذه.

وهذا يشير إلى أن المدرس يقدر نفسه وقيمته أمام زملائه وتلاميذه، ويقدر كذلك قيمة غيره النفسية أمام التلاميذ، فلا يتسابّا المدرسان أمام تلاميذهما، ولا يقبلان أنفسهما بالجفاء والاحتقار. لازم لكل منهما أن يفبلا أنفسهما بالصبر والعفو، فهما مسيران لتقليد التلاميذ.

أما من ناحية التحضير، فإنه يعد من التساهل بعملية التدريس عدم إعداد الدروس من المدرسين، فالدكتور يوسف (2002م:22) يرى أن التحضير يشمل جانبين: أحدهما ذهنى والثاني معرفى، أما التحضير الذهنى فموقف نفسي، يسبق وصول المعلم إلى الصف، ويبدأ مع كل استعداد ليوم مدرسي جديد، وهذا يقتضى خلو الذهن من أي شاغل آخر غير شاغل الواجب المهنى، وهذا التحضير الذهني يستدعي بالضرورة، صفاء في التفكير، وطمأيننة في النفس. هذا هو ما يمس التحضير الذهنى، أما المعرفى، فيرى أنه – يستوجب دفترا خاصا يتجدد كل عام كما يستوجب عدة مواقف ثابتة، مثل أيام التدريس سنويا، وتوزيع هذه الأيام على فصول العام الدراسي، ونصيب مادة التدريس من الحصص المقررة أسبوعيا. وهذا يتمشى إلى ما يتناوله من تدريس مادته المقررة يوميا وأسبوعيا، بحيث يخطط النقاط التي يتمشى عليها عبر التدريس، وتكون مهارته التدريسية في التحضير وإدارة فصله فيه، حيث يقطع قطعة يقوم بتدريسها فيه مثل تدريس مادة القرآن للفصل الخامس الابتدائي بسورة النبأ، حيث لا يستطيع التلاميذ أن يأخذوا السورة كلها، يشير في التحضير القطعة التي يقوم بتعليمها، أو يدرس هذا الفصل مادة النحو، حيث يدرس الفعل المضارع حيث لا يستطيع التلاميذ دراسة الأمثلة والبحث معا مع الوصول إلى القاعدة، وهكذا واجبات المعلم نحو التدريس.

عملية التعليم تتطلب واجبات نحو المعلم، وهو العنصر الفعال الذي يقوم بعبأ عملية التعلم، وهذا على ما أشار إليه (الشيخ نور الدين، بدون تاريخ: 6) أنه من واجب المعلم أن يوجه عنايته إلى نشر الأخلاق وبث الفضيلة في نفوس التلاميذ بنفس القدر الذي يجعله

لمادته التي تخصص فيها، ويرمي إلى لحام التلاميذ فيها، فلا فائدة من وجود معلم، أو مهندس أو طبيب ماهر في عمله ولا يحترم العادات ولا التقاليد وقلبه فارغ من الإيمان.

على المعلم أن يشغل عقول التلاميذ بالمعرفة وقلوبهم بالإيمان وحب الوطن، وخير الناس جميعا، على المعلم أن يكون مربيا قبل أن يكون معلما.

الأدوات التعليمية:

أما أدوات التعليم، فهي كل ما يمت بصلة إلى المصادر العامة التي تطالب أثناء إجراء عملية التعليم، وهي تتنوع بنوعية الفصول، ومنها ما تكون عامة لجميع الفصول بصرف النظر عن نوع التلاميذ؛ وهي:

1/ السبورة: سبورة الفصل تنقسم إلى:

أ – السبورة العامة، المعلقة على جدار الفصل لكتابة الدرس، أو الشرح التفصيلي لمواد المدرس.

ب – السبورة الإضافية: وهي سبورة خصصت للمدرسين لكتابة القاعدة لمادة النحو، أو الشرح الإجمالي للدرس أو الحروف على اختلاف نوعيتها، وغير ذلك.

2/ الممسحة: وهي أدات يستعملها المدرس لمسح الكتابة على السبورة، أو بعض الأخطاء الواردة أثناء الدرس.

3/ المؤشر: وهو آلة تستعمل لتلميح التلاميذ إلى الدرس الذي قوق السبورة أو غيرها من أدوات التدريس المعلقة في الفصل.

4/ كتاب المدرس: وهو ما يستعمله المدرس لمراجعة مادته في البيت.

5/ كتب التلاميذ: وهي كتب خاصة ينظر فيها التلاميذ أثناء الدرس.

أما الأدوات الخاصة: وهي التي تمس فصلا معينا دون غيره، وهذه مثل:

أ – البطاقة الشخصية: وهي إما الورقة التي يرسم فيها المدرس الصور المختلفة وأسماءها على اختلاف نوع الصور والأسماء.

ب – الأدواتالإلكترونية، مثل كمبيوتر، والسبورة الإلكترونية وغيرهما.

ج – اللوح: لتلاميذ الفصل الأول والثاني، دون فيها الحروف الهجائية والتهجي، وأرقام 1-100.

د – دفتر التحضير: الذي يستعمله المدرس لكتابة التحضير أو إعداد الدرس.

متانة المادة:

وظيفة التدريس يتطلب الأدوات التي تكون في غرارها حسن عملية المعلم للتعليم، ومتانة مادته أثناء التدريس، وهذا ما يقوله الشيخ نور الدين (بدون تاريخ: 6)أن مهنة التدريس تتطلب ما يأتي:

1/ متانة المادة:

ويقصد بها ما يلي:

أ – أن يعرف المعلم المواد أو المادة التي يدرسها معرفة حقة تناسب الزمن الذي يعيش فيه.

ب – أن يعرف كل صغيرة وكبيرة عنها وأن يحيط بكل الكتب والمجلات التي تتصل بها قديمها وحديثها.

ج – أن يعرف المواد التي تتصل بمادة درسه

د – أن ينتهز المعلم كل فرصة لتحسين معلوماته

هـ– أن يعد المعلم درسه إعدادا جيدا.

و – أن يستمع إلى المحاضرات والبرامج الإذاعية التي لها صلة بمادته.

ز – أن يستفيد من خبرات المعلمين المهرة والمربين الذين قضوا عمرهم في البحث والتنقيب عن التربية.

2/ دراسة علوم التربية، وتفسية الأطفال وميولهم وعرائزهم.

وبهذا يجب على الذي يختار مهنة التدريس أن يكون ملما بمعرفة علوم التربية وحب الأطفال والميل للتعليم والأمانة في العلم والإخلاص في العمل، ودراسة غرائز الأطفال وميولهم وعاداتهم وطبائعهم.

التعليم في الكتّاب:

تاريخ التعليم قد سبق من قديم الزمان، حيث كان التعليم مهنة من الأمم السالفة، إذ كانوا يعلمون أبنائهم في الحوانيت والمساجد والدهاليز، ويعتبر تعليم اللغة العربية والإسلامية عمل يؤاجر به العبد عند ربه، وقد جذبت عقول العلماء آية قرآنية حيث يقول المولى جل وعلا (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر: 9). وقد ذهب غلادنش (1993م: 47) إلى أن التجار كانوا قبل دخول الإسلام قد بدؤا في وضع الحجر الأساسي للعربية كما تقدم، ولقد بدأت البذور الأولى تنبت وتتسع بانتشار الإسلام. فحيثما وضع الإسلام قدمه يدخل معه التعليم، إذ يجب على كل مسلم أن يتعلم على أقل تقدير ما يكفيه لأداء فرائضه من صلاة وغيرها، فيتعلم بعض الآيات والسور القرآنية وبعض الاصطلاحات الدينية. ولا يخفى أن الدين الإسلامي دائما يشجع التعليم ويجعله جزءا لا يتجزأ من الدين، ويعطي العلماء في المجتمع الإسلامي منزلة لا تساويها منزلة.

وعلى هذا كان التعليم حرفة من حرف العلماء المطوعين لله تعالى، لا ينالون منها أجرة، ولا راتبا، فكان التعليم عندهم يبدأ من القراءة حيث يعلمون الأطفال حروف الهجائية مع مراعات بعض مخارج الحروف قدر أذهانهم، أشار غلادنش (48:1993) إلى أنه في الغالب كان المعلم يبدأ بتعليم أولاده أو أولاد أقاربه وأصحابه فيرسل الناس أطفالهم بعد ذلك حتى تصبح مدرسة. ويتعلم البنون والبنات فيها القراءة والكتابة ويستطيعون بذلك قراءة القرآن وكتابته.

هذه هي المرحلة البدائية لتعليم الأطفال في الكتّاب، وهي المدارس الأولية التي يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة حتى يكمل التلميذ مرحلته الأولى من التعليم حسب ما

ذكره غلادنش (1992م: 48). فإذا أكملها التلميذ استطاع بعد ذلك أن يقرأ القرآن، ويقرأ كذلك لغته ويكتبها، فهي بمثابة المدارس الأولية.

طرق تعليم اللغة العربية

فتعليم اللغة العربية على النظام المعاصر في نيجيريا شيء يختلف عن التعليم في الكتّاب، إذ كان هذا يكون بإعداد أجهزة علمية على نظام التربية، وهذا يتمثل على قدر ما أشاره المنهج الدراسي للتربية.

تعليم اللغة العربية ينتمي إلى تعليم الحروف والكلمات في المرحلة الأولى ثم تدريس القراءة والكتابة على الأرض والألواح في المرحلة الثانية، وتعليم قواعد اللغة العربية في المرحلة الثالثة إلى السادسة، وهذا ما أبرزه يوسف الصميلي (2002م: 31). والتكلم والقراءة والكتابة هي التي أوجبت التنوع في كيفية اكتساب اللغة وقسمتها إلى وحدات في إطار تكاملها، تقنعا بأن هذه القسمة هي لتيسير الفهم والاستيعاب.

حاول علماء التربية وطرق التدريس وضع طريقة لتدريس اللغة العربية، وهذه الطريقة تبدأ من الهجائية حيث يعرف الطفل الحروف ثم ينتقل إلى الأصوات، ليعرف أصوات الحروف، ويمكن إجمال هذه الطرق إلى ما يأتي، على ما أشار إليه الصيملي (2002م:42).

1 – التعامل مع الأصوات المتعددة للحرف الواحد –مرة واحدة– فإذا ما أخذنا أصوات حرف الألف مثلا (أَ – إِ –أُ) كان ما يقابلها من الكلمات وصولا إلى تحقيق الهدف وهو معرفة الأصوات (أَ:أرنب) (إِ:إبريق) (أُ:أذن) وكل كلمة مرفقة بصورة تمثلها.

2 – التعامل مع الأصوات المتعددة للحرف الواحد كوحدات مستقلة والانتقال من السهل إلى الصعب أي البدء بالصوت الساكن، فالصوت المفتوح، فالمضموم، فالمكسور، ولكن يعلم الطفل حينئذٍ حرف (الدال) مثلا يُبدأ معه من خلال نطق الحرف ساكنا في كلمة أولا مثل:

(هُدْ هُدْ) (أَدْهَم) (بَدْر) ويجب أن تكون هذه الكلمة مرفقة بالصورة الدالة عليها، من خلال قصة بسيطة تكون هي موضوع الدرس.

3 – ترتيب الحرف في هذه الطريقة يراعى البدء بالحرف الذي يمكن أن يشكل مع غيره كلمات ذات حروف منفصلة مثل (دَرَسَ)، (دَرَجَ)، ثم يليه الحرف الذييكون مع غيره كلمات مكونة من حروف منفصلة ومتصلة مثل (دَخَلَ) ثم تليها الحروف التي تكون مع غيرها متصلة مثل: (سَحَبَ).

تعليم اللغة العربية ومتطلباته:

أما اللغة العربية فتتطلب طريقة معينة لتدريسها. وهي إما طريقة حوارية أو استقرائية؛ أو استنتاجية قياسية، أو تحليلية تركيبية، وقد تتطلب أيضا تحضيرا مع إستعداد دفتر للتحضير.

هذه هي الأسلوب التي يتمشى معها المعلم عند تدريس اللغة العربية، وهي الوسيلة الوحيدة التي عن طريقها يجهز المعلم درسه قبل أن يقدمه للتلاميذ، على نمط ما يعرض درسه في الفصل. فالطريقة الحوارية تنظر إلى عرض الشيء أمام التلاميذ ومطالبتهم بالاستجواب عن هذا، ومناقشته في الفصل مع التلاميذ، وأما الاستقرائية أو الاستنباطية فتتطلب الانتقال من الجزئي إلى الكلي، ومن أمثلة متعددة إلى القاعدة المرادة مع حض التلاميذ على المشاركة في معرفة الأجزاء واستخلاص النتائج، لتتولد لديهم لذة اكتشاف المفهوم. وأما طريقة تحليلية تركيبية فهي أسهل الطرق المعتمدة عليها. تبدأ بالجملة تم بالكلمة ذات المعنى وتحاول تحليلها تحليلا إلى أصواتها الصحيحة لتركب منها كلمات جديدة ذات معنى.

فالتحضير عمل يقسم فيه المدرس مادته التدريسية إلى أجزاء يقدمها إلى التلاميذ. يرى الصميلي (2002م:22) أن التحضير يستوجب دفترا خاصا، يتجدد كل عام، كما يستوجب عدة مواقف ثابتة مثل تحديد أيام التدريس الفعلية سنويا، وتوزيع هذه الأيام على الفصول الدراسية العامة، ونصيب مادة التدريس من الحصص المقررة أسبوعيا، وتوزيع

البرنامج المقرر وفقا لحصص التدريس المحددة من خلال نظام مدرسي ثابت، وهذه الخطوات لا بد منها لضبط إنجاز المقرر، إنجازا موضوعيا يتناسب مع الخطة العامة، وحسن تطبيقها.

فالمدرس الحقيقي يتمشى دائما مع التحضير لأداء واجبه نحو التلاميذ. يستحسن للمدرس أن يختار طريقته للتدريس ويرسمها في دفتر تحضيره، على ما استدعت إليه مادته التدريسية.

مواد اللغة العربية:

فاللغة العربية كباقي المواد لها موادها التدريسية، على حسب مواضيع المادة، وهي إما المواد التي تتمشى بقواعد اللغة العربية ومنها النحو، والصرف، والبلاغة, والأدب– مع أن مادة البلاغة تطابق تنسحب أحيانا في الأدب لميلها إلى أسلوب الكلام، وفصاحة الكلمة– ثم القراءة والإملاء على حسب فروع القراءة والإملاء.

فالقراءة إما سرية أو جهرية، والإملاء، إما إملاء المحضّر، أو إملاء التلقائي؛ أو الاختبار، ثم مادة التعبير إما الشفهي أو التحريري. والأدب العربي، وهو إما الأدب العربي أو النيجيري، وهكذا.

الخاتمة:

هذه الورقة تدور حول موضوع الأدوات التعليمية، وعملية التدريس والتعليم العربي. حاول الكاتب أن يبرز معنى التربية والتعليم، حيث ظهر من خلال الموضوع التربية وأسرارها وعملية التعليم، وقد أبرز فيها الواجب بالقيام بعملية التدريس، وواجبات المعلم نحو التدريس، كما أظهر في هذه الورقة التعليم في الكتاب، وطرق تعليم اللغة العربية، وتعليم اللغة العربية ومتطلباته، والمواد التعليمية في اللغة العربية.

المراجع:

القرآن الكريم.

شيخو أحمد سعيد غلادنث (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1814 – 1966م، مطبعة دار المعارف، مصر, 1992م.

محمود كامل الناقة (أ. د.):أسس إعداد تعليم اللغة العربية وتأليفها ، المبروك عثمان وغيره ، بدون مطبعة وتاريخ.

نور الدين حسن (الشيخ): التربية وطرق التدريس لقسم الدراسات الإسلامية العالية , بدون مطبعة وتاريخ.

يوسف الصميلي (الدكتور): اللغة العربية وطرق تدرسيها نظرية وتطبيقا , بدون مطبعة، 2002م.

تطوير المهارة اللغوية لمعلم اللغة العربية في بيئة متعددة اللغات: نيجيريا نموذجاً

Advancement of Competence for Arabic Language Teachers in aMulti-lingual Society
(A case studyof Nigeria)

الدكتور: أسامة موسى إمام

معهد التربية، جامعة أحمد بلّو زاريا – نيجيريا

مستخلص:

تعد المهارة اللغوية لمعلم اللغة العربية الناطق بغيرها من العوامل المهمة في نجاح العملية التعليمية وفي إكساب المتعلم المهارات اللغوية المطلوبة، في ضوء هذا الرأي تجيء هذه الورقة لتتناول كيفية تطوير مهارات معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها وسط بيئة مُشبعة باللغات ومتداخلة اللهجات مثل نيجيريا ، وتتمثل المهارات المرجوة ترقيتها في المهارات اللغوية الشفوية والتحريرية والاتصالية التواصلية. وتهدف الورقة إلى وضع أسس نظرية لعدد من المعايير لتطوير كفاءةالملعلم وأدائهفي مثل هذه البيئة، واتبعت الورقة المنهج الوصفي، وتكونت من مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، تناول المِحْوَرُ الأول مفهوم الكفاءة اللغوية لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتناول المحور الثاني الوضع اللغوي في نيجيريا وواقع تعليم اللغة العربية. وأما المحور الثالث والأخير فقد تناول خطوات التطوير والترقية والأسس التي ستتبع فيهما، وختمت الورقة بالتوصيات والمقترحات ثم الخاتمة فالمصادر والمراجع.

هيكل الورقة:

– مقدمة.

- موجز عن تاريخ نيجيريا ودخول اللغة العربية فيها.
- عوامل ساعدت على انتشار اللغة العربية في نيجيريا.
- ما يعانية معلم اللغة العربية وطلابها من المشاكل في نيجيريا.
- طرق معالجة هذه المشاكل.
- التوصيات والمقترحات.
- الخاتمة.
- المصادر والمراجع.

مقدمة:

تهدف هذه الورقة إلىتقصِّي أسباب ومظاهر تطوير الكفاءات اللغوية لمعلمي اللغة العربية في بيئة متعددة اللغات – دولة نيجيريا نموذجًا، و تسعى للإجابةعن سؤال مِحْورِيّ هو: هل كانت اللغة العربية في المجتمع النيجيري في وضع جيد أم لا؟ وتقوم الورقة أيضًا على فرضية أن هناك عوامل طبيعية وبشرية ساهمت في هذا الغرض . ولبلوغ هدف البحث وللإجابة على سؤاله وتحققًا من فرضيته استخدم الباحث المنهج الوصفي. توصل البحث إلى أن أسباب تطوير الكفا ءات اللغوية في نيجيريا ليست مجرد وصول اللغة العربية إلى نيجيريا ، بل انتشارها في نواحي متعددة وكونها هي لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي،ويحتاجها كل مسلم على الأقل ليتعلم بها أم القرآن والسور القصيرة لأداء الصلوات المفروضة ومن ثمّ معرفة الأحكام ا لشرعية، فكل هذه الأسباب دعت إلى تأسيس الكتاتيب القرآنية وإنشاء المدارس الإسلامية والكليات والمعاهد العربية ثم فتح أقسام اللغة العربية في بعض الجامعات، وكليات التربية بالولايات، والفدرالية بنيجيريا تعد من الأنشطة المساعدة في إنفاذ هذا الغرض.

موجز عن تاريخ نيجيريا ودخول اللغة العربية فيها:

التسمية:

نيجيريا اسم مشتق من: النيجر"محرّفٌ من نيغرو وهي كلمة لاتنية، تعني الزنجي الصغير والأسود القصير. وكلمة نيجيريا بالمعنى العام تعني ما حول بلاد نيغرو أو ما حول وادي النيجر. وعلى هذا فإن هذا الاسم يطلق على سائر البلاد التي وجد فيها نيغرو و"قبائل الذنج" بغرب أفريقيا، أو على البلاد التي مرّ بها النهر من منبعه إلى مَصَبِّه حتى يشمل جميع ما يعرف اليوم بغرب أفريقيا، لأن النهر قد اخترق معظمها في مروره.[1]

واقتراحُ اسم الوطن "نيجيريا" جاء من فلورا شاوو د(Flora Shaw) في مجلة خاصة طبعت في اليوم الثامن من شهر يناير سنة ألف وثمانمائة وسبعة وتسعين 1897م، إلا أنه قبل أن يُطلق الاسم "نيجيريا" على الوطن النيجيري، كانت تدعى الأقاليم الموجودة في غرب السودان بأسماء متعددة منها: امبراطورية نيجر –السودان الوسطى– النيجر السوداني أو ممالك هوسا[2].

الموقع والمساحة والسكان:

تقع نيجيريا في غرب القارة الأفريقية الشمالية وتبلغ مساحتها نحو تسعمائة وثلاثةٍ وعشرين ألفاًوسبعمائة وسبعة وستين 923767 كيلو مترًا مربعًا. تتقسم إلى قسمين: الشمال والجنوب وتحت كل قسم ولايات. والقسم الشمالي توجد فيه تسع عشرة ولاية وهي:

أدَمَاوَا (Adamawa) بَوْشِي(Bauchi)

بِنُوِي(Binue) بورنو(Borno)

---

[1] – آدم عبد الله الألوري ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثانية، 1391هـ/1971م (بدون مكان الطبع)، ص : 13

[2] Olutayo C. Adesina, "Teaching History in Twentieth Century Nigeria: the Challenges of Change", *History In Africa* +vol, 33. pp 17 (2006) online.

غومبي(Gombe) جغاوا(Jigawa)

كدونا(Kaduna) كنو(Kano)

كتسينا(Katsina) كبّي(Kebbi)

كُوْغِيْ(Kogi) كُوأرَا(Kwara)

نصرَاوَا(Nasarawa) نيجا(Niger)

بِلَاتُوْ(Plateau) زمفرا(Zamfara)

سكُوْتُوْ(Sokoto) ترابا(Taraba) يوبي(Yobe).

وأما الولايات الجنوبية فسبع عشرة ولاية هي:

آبيا(Abia)أكو إبون(Akwaibom)أنمبرا(Anambra) بايلس(Bayelsa)كُرُوْسْ رِيْبَاسْ –Cross) (River دلتا (Delta) إبوني (Ebonyi) إدو(Edo)إكتي(Ekiti)إنوغو(Enugu)

إيمو (Imo) أوغون (Ogun)

أويو(Oyo)أوندو(Ondo)أوشون(Osun) لاغوس(Lagos)رِيبَاسْ (Rivers).

لنيجيريا حدود مع كل من بِنِين في الغرب وتشاد والكاميرون في الشرق والنيجير في الشمال وخليج غينيا في الجنوب . وكانت عاصمة نيجيريا في أول الأمر لاجوس (Lagos) منذ نشأتها إلى 12 ديسمبر منال عام 1991م[1] ، ثمّ انتقلت العاصمة إلى مقرها الحالي أبوجا(Abuja)لأن أبوجا تقع في وسط نيجيريا حاليًا تسهيلًا لشعبها في المعاملات بين الولايات، والاسم الرسمي للبلاد هو: جمهورية نيجيريا الفدرالية من موارد البلد النفط الخام ، وكاسافا، والعملة النيجيرية هي النير(Naira) .

نيجيريا دولة كبيرة ، وهي أكبر دولة في قارة أفريقيا من حيث عدد السكان[2] ، حيث تبلغ مائة وأربعةً وخمسين مليون نسمة 154000000 ، وهي إحدى الدول في الأفريقية

[1]- http:/answerbag.com/q_view/929673

[3]- http://ar.wikipedia.org

التي لها تاريخ عريق يصل في بعض الآراء المتواترة إلى عصر الحضارة المصرية القديمة وذلك لوجود صلة وثيقة بين مصر ونيجيريا [1] . ويضاف إلى ذلك أيضًا أن نيجيريا من الأقطار التي لها تقاليدها العربية وثقافتها المتوارثة وأمجادها التليدة التي تفاخر بها بلدان العالم ذات الحضارة والتاريخ.[2]

اللغات واللهجات في نيجيريا:

يتكلم الشعبالنيجيري أكثر من خمسمائة لغة ، على رأسها لغةالهوسا ولغة الفولاني 29%، وتتفرع من لغة الهوسا بعض اللهجات كلهجة زكزك، ولهجة كنو، ولهجة سكّتو، ولهجة كشينه، ولهجة غوبِرْ وغيرها. ويليها لغة يروبا 21% ثم لغة إيبو 18%، ولغة الايجاو 10% ، ولغة الكانوري 4%، ولغة الايبيبيو (Igbo)3.5%، ولغة التِيف (Tib)2.5%[3] وهكذا. وأما اللغة الرسمية التي تستخدمها الدولة النيجيرية هي اللغة الإنجليزية وهي لغة الاستعمار التي سيطرتعلى البلاد أيام الإمبراطورية.

الديانات:

يمتاز شمال نيجيريا بأغلبية مسلمة، وهناك أعداد كبيرة من المسلمين والمسيحيين على حد سواء في وسط البلاد بما في ذلك إقليم العاصمة الاتحادية. في غرب البلاد، وخصوصًا في منطقة يَرُوبَا(يوريبل لاَنْدْYoruba land)، فهنالك نسبة متساوية بين المسلمين والمسيحيين، بينما المناطق الجنوبية الشرقية يتركز فيها مسيحي ون من طوائف مختلفة

---

[2]– آدم عبد الله الإلوري ، موجز عن تاريخ نيجيريا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص :16 ، عام : 1965م.

[3]– صلاح صبري ، إفريقيا وراء الصحراء ، مكتبة النهضة المصرية ، ص : 159 ، عام : 1960م .

[1]- ar. Wikipedia.org/wiki

كالكاثوليك والانجيليين، وكذلك الميثوديون وهم يشكلون الأغلبية ويتبعون المعتقدات التقليدية، في حين أن منطقة دلتا النيجر(NigerDelta) تقطنه أغلبية مسيحية.

غالبية المسلمين في نيجيريا هم من السنة، مع وجود أقلّية من الشيعة والصوفية، وأقلية صغيرة من الأحمدية. بعض الولايات الشمالية أدرجت الشريعة الإسلامية في نظمها القانونية العلمانية السابقة[1] كولاية زَمْفَرَا وولاية كَنُو ولاية بو

ت نيجيريا بواسطة التجار من بلاد العرب ،لأن هؤلاء التجار كانوا يأتون بالبضائع العربية فالذين يتعاملون معهم بدأوا يعرفون هذه البضائع بأسمائها العربية أمثال: الكتان، والدواة، والفول، وبمجيء الإسلام عرفوا كثيرًا من الكلمات الجديدة بواسطة الإسلام واستعملوها في اللغة الهوسوية مباشرة أو بتغيير بسيط أمثال : القرآنواللوح ، والقلم، والجنة، والسماء، وكثيرا غيرها. وأدخلت العقود من الأعداد من عشرين إلى تسعين [2] . ومن بين هذا معرفة العدد لاسيما في القسم الشمالي الهوساوي الذي يقف العدد عندهم قبل مجيء اللغة العربية على تسع عشرة وإن أرادوا عشرين يقولون: "غُومِيا بِيُو" وعند الثلاثين يقولون :"غوميا أُكُ" إلى أن جاءت اللغة العربية فسمعوا العرب ينطقون: عشرون، ثلاثون، أربعون، خمسون، فعندئذ أخذوا هذه العدد فهوّسوها بتغيير بسيط هكذا : عشرون = إشرِن ، وثلاثون = تَلاتِنْ ، وأربعون = أربعِنْ وعند: خمسين يقولون: هَمْسِنْ، وهكذا.[3]

---

[2]- http://ar.wikipedia.org

[3]– شيخو أحمد سعيد غلادنثي ، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804–1966م، الطبعة الثانية 1414=1993م (بدون مكان الطبع) ص : 60.

[1] – منير ممن ورقة بعنوان: A philosophical Study on Derivation processes And Tenses of Arabic and Hausa " قدمها بقسم اللغات النيجيرية والأفريقية بكلية الآداب ، جامعة أحمد بلّو زاريا بتاريخ: 12 أكتوبر، 2006، ص11.

لقد بيّنت السجلات التاريخية أن أول من سكن المنطقة المعروفة بنيجيريا حاليا يعود إلى عام 500 سنة قبل الميلاد، حيث استوطنها قبائل الهوسا، والكانوري، والفولاني . فتعلّم اللغة العربية بدأ منذ ذلك الحين لأن العلاقة التجارية كانت موجودة بين الجزيرة العربية وبين بلاد نيجيريا منذ ذلك الوقت .

الدين الإسلامي:

أما الإسلام فدخل إلى نيجيريا في القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق التجار المسلمين القادمين من الشمال، وأخذ النيجيريون في اعتناق الإسلام في شمال نيجيريا، ثم الغرب، وانتشر الإسلام بشكل هاد ئ في باقي المناطق ، وانتشرت بذلك اللغة العربية لاهتمام المسلمين بها في معرفة دينهم الإسلامي ، ولكن بقيت المنطقة الشرقية تغلب الوثنية على أهلها.[1]

عوامل ساعدت على انتشار اللغة العربية في نيجيريا :

ونفهم مما سبق ذكره أن هناك عوامل ساعدت على دخول اللغة العربية وانتشارها في نيجيريا قديما وحديثا وهي على النحو التالي:

- الحركة التجارية.
- دخول الإسلام.
- أداء نسك الحج والعمرة.
- البعثات العلمية .

---

[2]- آدم عبد الله الألوري ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني ، الطبعة الثانية ، 1391هـ/1971م (بدون مكان الطبع)، ص: 13

- فتح المدارس العربية الإسلامية.[1]

- المواصلات الحديثة، أمثال: الراديو، والتلفزيون، والقنوات الفضائية، وإنترنت.

ويجدر بنا أن نذكر أن اللغة العربية دخلت إلى نيجيريا قبل مجيء الإسلام ، فساعد الإسلام عند دخوله على انتشار اللغة العربية في نيجيريا لاسيما أيام سيطرة إمبراطورية الفولاني بقيادة الشيخ المرحوم عثمان بن فودي حيث جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في أيامه، مما أدى إلى اهتمام المسلمين بمعرفة هذه اللغة و إتقانها وساعد ذلك على نبوغ كثير من العلماء في التأليف ومن ثمّنظم الشعر لما يقر أونه من قصائد العرب كقصائد الشعراء في العصرالجاهلي، والقصائد المفصلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ككتاب البردة للفازازي، فاقتبسوا من نور هذه القصائد وأخذوا ينظمون قصائد عربية من ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

وضع اللغة العربية في نيجيريا:

كانت العادة الجارية لدى المسلمين النيجيريين ولاسيما الشمال منها، أن يرسلوا أطفالهم إلى الكتاتيب ليتعلموا قراءة القرآن الكريم منذ فجر الإسلام في نيجيريا، ومن هنا يتعلم الطفل الحروف الهجائية وكيفية النطق بها مع أشكالها ثم يشرع في التلاوة إلى أن يختم القرآن الكريم كتابة وقراءة، فيبدأ الطفل بتعلم المباديء الدينية في المدارس الدهليزية حيث يبدأ بأيسر كتاب ككتاب مختصر الأخضري للشيخ العلامة عبد الرحمن الأخضري والعشماوي إلى كتاب مختصر الخليل في الفقه المالكي، وبعض التلاميذ يجمعون العلوم اللغوية والبلاغية والتوحيدية وغيرها من العلوم الدينية .

---

[3]- المجلة العلمية للبحوث في الدراسات الإسلامية ، قسم الآداب والعلوم الاجتماعية التربوية، ، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة أحمد بلّو زاريا، إصدار رابع، رقم:1، 2013م ص1-22

ولم يقف النشاط في حقل اللغة العربية هكذا، بل استمر الأمر إلى أن بدأ بعض من المثقفين إنشاء المدارس الإسلامية العربية بغية تعليم الأمة كتاب الله تعالى من تلاوته، وتجويده، وتفسيره وسائر العلوم الدينية ،وتمرين الشباب على معرفة اللغة العربية والتحدث بها.

ظلت أحوال اللغة العربية على نحو ما ذكره الباحث أعلاه فعهدت هذه النشاطات إلى تأسيس المدارس العربية النظامية من الإبتدائية، والإعدادية ، والثانوية، ولما رأت الحكومة شدة رغبة المسلمين في تعلم وتعليم اللغة العربية أسست لها مجلسا ليتولى هذه المهمة تحت إشراف معهد التربية بجامعة أحمد بلو زاريا في عام 1969/1968م.

سمي هذا المجلس بالمجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية، وكان المجلس أول أمرهيختص بالشمال فقط ويشرف على مدارس لم يتجاوز عددها أصابع اليد في بدايته[1] ، وأما اليوم فقد أصبح المجلس يخدم الوطن بكامله وهو بمنزلة المجلسين (WEST AFRICAN EXAMINATION COUNCIL WAEC) و (NATIONAL EXAMINATION COUNCILNECO) اللذين يشرفان على المدارس الثانوية الإنجليزية .

وأما عدد المدارس المنضمة إلى هذا المجلس فتبلغ 425 مدرسة ثانوية ، وعدد الطلبة الذين جلسوا للإمتحان الأخير في العام الماضي اثنا ن وثلاثون ألفاً وخمسمائة طالب(230500)ويبلغ عدد الطلاب في الثانوية من الصف الثانوي الأول إلى الثالث خمسة بعد المائة ألف طالب (105000)، ويبلغ عدد طلاب الإعدادي إلى مائة وخمس ة وثلاثين ألف طالب(135000)[2] . ومن أهم الأعمال التي يقوم بها المجلس وضع الأسئلة لطلاب

---

[1]– دليل المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية، معهد التربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا ، ص : 23 .

[2]– مقابلة شخصية مع : يهوذا سليمان إمام، منسق قسم الإحصائيات للمجلس المذكور أعلاه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا بتاريخ 3 يناير 2014م.

الصف الثالث الثانوي المتخرجين وإدارتها بإرسال الممتحنين إلى جميع مدارسها ثم القيام بتصحيح أوراق الامتحانات ومنح الشهادات للناجحين من الطلبة. ويقوم المجلس أيضا بإعداد المدارسات والمؤتمرات للمدرسين والموظفين في مثل هذه المدارس.

ما يعانيه معلم اللغة العربية وطلابها من المشاكل في نيجيريا:

إن الدولة النيجيرية دولة كبيرة جدًا تقع في غرب إفريقيا، وفيها عدد كبير من اللغات يبلغ عددها خمسمائة وثلاثة وعشرين لغة 523[1] ، وأكثرها انتشارًا هي لغة الهوسا ، وتليها اللغة اليربوية، واللغة الإبوية ثم اللغات الصغيرة كلغة الكانوري ولغة الف ولايتة ولغة إجو(Ijaw) وغيرها من اللغات الصغيرة .

أصبح معلم اللغة العربية في نيجيريا في مثل هذه البيئة التي حوت الكثير من اللغات المحلية منتشرة وغير منتشرة، يجد نفسه في أصعب حال عند بلوغ وتحقيق هدفه الرئيسفي تعليم طلابه ، لأنهلابد من فهم أي لغة ، الاستفادة من مهاراتها الأربع التي هي: (الاستماع – الكلام – القراءة – الكتابة)، ولما كان لكل علم أهدافه، فإن هذه المهارات الأربع في تعليم اللغات تمثل الأهداف الأساسية ، التي يسعى كل معلم لتحقيقها عند المتعلمين، فتعلُّم أي لغة من اللغات، سواء كانت اللغة الأم أم لغة أجنبية، إنما هدفه هو أن يكتسب المتعلم القدرة على سماع اللغة و التعرف على إطارها الصوتي الخاص بها، ويهدف كذلك إلى الحديث بها بطريقة سليمة تحقق له القدرة على التعبير عن مقاصده، والتواصل مع الآخرين أبناء تلك اللغة خاصة، وكذلك يسعى إلى أن يكون قادرا على قراءتها و كتابتها لتحقيق أفضل النتائج. وه ذه المهارات التي يلج المتعلم عبرها ميدان اكتساب أي لغة ، ويقف على تعليمها بالطريقة الصحيحة، هو نجاح العملية التعليمية كلها، والإخفاق فيها يُعَرْقِلُ العملية التعليمية و يُعَقِدُها،بحيث يكون ذلك عائقا كبيرا أمام تعلّمِ اللغة بصورة متكاملة

[1] www.online Nigeria.com/languages.asp

وصحيحة[1].فمعلم اللغة العربية في مثل هذه البيئة يصعب عليه تحقيق هذه المهارات لأسباب، منها:

1 مشكلة منهجية:

لقد أصبحت المناهج التي تستعملها المدارس والكليات وحتى الجامعات النيجيرية مناهج تقليدية قديمة بعضها ورد من الدول العربية لا ينبغ ي أن تستخدم في هذه الأيام وهي لا تستخدم حتى عند أصحابها. عندما زار الباحث بعض المدارس لاسيما المدارس الأهلية منها: كلية الأمة للغة العربية والدراسات الإسلامية غِيوَا زَرِيَا، ودعى بالمنهج المستعمل فإذا هو منهج مُعَدٌّ في عام 1996م. وزار كذلك مدرسة أنوار الإسلام بحارة قوربي داخل مدينة زاريا ولاية كدونا ورأى المنهج مستخدمً ا منذ عام 1982م. وهناك بعض المدارس العربية عندما زارها الباحث وجد مناهجها حديثة إلا أنها تحتاج إلى تعديلات . كما يقوم المجلس الوطني للغة العربية والدراسات الإسلامية تحت إشراف معهد التربية جامعة أحمد بلّو زاريا– نيجيريا بمحاولة في مراجعة المناهج الدراسية التي وضعها لجميع المواد ولجميع المدارس العربية والإسلامية المنضمة إليه كما قام بـالتعديلات والتصحيحات في المناهج في العام2010م.

ومن المشاكل التي تواجه المناهج العربية أن بعض المدارس العربية تبني مناهجها على العلمانية، لأنها ترفع شعار فصل العربية عن الإسلام وبدلًا من أن تنمي في نفوس طلابها حب العربية والإسلام، وتبني المساجد بجوارها لتدريب تلاميذها على إلقاء الخطب على منابرها حتى يتمرنوا على المجادلة بالتي هي أحسن ، لم تفعل ذلك بل فقدت اللغة العربية أهم أهدافها المذكورة. ومن هذه المشاكل أيضًا قلة الحصص الدينية وحصص اللغة العربية

[2]- www.101103.net/vb/1629.himl

التي لا تتجاوز واحدة أو اثنتين أو ثلاثًا في الأسبوع[1] ثم لا تكون إلا في آخر ساعات النهار حين يتعب التلاميذ ولم يبق في أذهانهم إلا ذكر مائدة طعامهم في منازلهم.

2 مشكلة معلم اللغة العربية:

إن معلم اللغة العربية في نيجيريا قد لا يجد الفرصة للتحدث بهذه اللغة إلا داخل الفصل عندما يلقي درسه أو محاضرته أمام تلاميذه ، وعندما يخرج من الفصل أو من قاعة المحاضرة يترك اللغة العربية إلا نادرًا، وكثيرًا من المدرسين لهذه اللغة درسوها في هذه البيئة من المراحل الابتدائية إلى الثانوية وحتى إلى الجامعة من البكلاريوس، والماجستير، وحتى الدكتوراه لم يسبق لهم زيارة أي دولة عربية لغرض التعلم من أصحابها الخلص، وأصبحت الأمور إلى أن تسلّم اليوم أبناءنا إلى معلمين أو معلمات بعضهم جاء إلى هذه المهنة مقهوراً بلا زاد ولا معرفة . هذه الأشياء قد أورثت النقص في تحقيق غرضه نحو تلاميذه. وفي آن واحد يصعب لمثل هذا المعلم إيجاد المصادر والمراجع الحديثة ، إما لعدم وجودها مباشرةً أمامه وإما لقلة النفقة.

3 مشكلة الطلاب:

إنّ كثيرًا من تلاميذ اللغة العربية يقضون سنوات دراساتهم في المدارس العربية الثانوية دون أن يتمكنوا من مهارات اللغة المذكورة سالفًا ، من بين هؤلاء الطلبة من يتم قبوله في الجامعات ليكملوا تعليمهم لهذه اللغة تجد بعضهم لا يفهم محاضرة الأساتذة، هذه المشكلة إما العيب منه في ثانويته أو من مدرسيه أو من حكومة مدرسته في عدم الحفاظ على حقوق الطلبة في مدِّهم بالأساتذة الأكفاء ، أو المشكلة من المجلس المنضم إليه المدرسة في عدم

---

[2] – عبد الحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري ، بحث مقدم لقسم اللغة العربية للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، بجامعة بايرو كنو – نيجيريا ، ص : 112–113 بتاريخ : 1989م.

مراقبته الكاملةوقيامه بـزيارة مفاجئة أيام الدراسة ليتفقد ما يجري بالكامل في مثل هذه الكليات.

4 – المشكلة المشتركة بين المدرسين والطلبة فيما يتعلق بدراسات اللغة:

ينبغي لطالب أي لغة أن يبدأ بتعلم الـتخطاب بها قبل أن يبدأ بتعلم قواعدها حتى يكون واسعًا ومتمكنًا وعارفًا بكلمات كثيرة للغة التي يريد معرفتها ، عكس ما يحدث لمدرسي اللغة العربية وطلبتها في وثبة معرفة الكلمات والاشتغال بتعليم وتعلم القواعد اللغوية من نحو وصرف ، خذ على سبيل المثال في ذلك كتاب تعليم اللغة الإنجليزية كيف نظمه صاحبه على نظام جديد بدأ بالحروف ثم الكلمات فالجمل القصيرة وهكذا [1]، وفي هذا لقد أدى غِطَاطُو بِلُّ أكُّ (Gidado Bello Akko)دورًا هامًا في تطوير هذه الطريقة في كتابه المسمى: "مَحْوُ الأمية"[2] المترجم إلى اللغة الهوسا: " كُويَنْ كَرَاتُو".

5 –مشكلة تأليفية:

تأليف الكتب والمجلات العلمية مما يجعل المجتمع العلمي حيًا ويتهيأ المدرسون للنشاطات التعليمية حتى يقلدهم تلاميذهم في مثل هذه العملية الحساسة، وهذا الأمر هو الذي يساعد في الحفاظ على تقاليد المجتمع في إعداد منهج مطابق لمتطلبات المجتمع، أما هذا الوضع لدى مدرسي اللغة العربية في نيجيريا فهو جامد جدًا قد لا يقوم الأساتذة بتأليف الكتب الحديثة التي تُوائِمُ ظروف وأحوال البيئة النيجيرية إلا نادرًا.

6 – عدم توفير كتب اللغة العربية في المكتبات العامة والخاصة:

تعتبر المصادر والمراجع من الأدوات المهمة التي تؤثر في حقل التعلم والتعليم لأي مادة من المواد الدراسية ،ابتداءً من المدارس الابتدائية ثم الكليات والمعاهد إلى الجامعات ،

---

[1]- Nelson Publishers Limited, The Queen Primer, Part 1 page 1-34

[2] غطاطو بل أكّ، مَحْوُ الأمية"، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

مما يؤسف له في مدارسنا العربية منذ عهد بعيد أن معظمها –المدارس– خ الية من المكتبات، وإن وجدت فيها المكتبة لا تُتوفر فيها الكتب وإن توفِّرت تجدها قديمة والحاجة إليها قليلةً جدًا ثم إن المدرسين لا يُحثّون الطلبة على الدخول فيها فضلا عن قراءتهاوالاستفادة منها. ومما يؤسف له جدً أن الكليات العليا وحتى الجامعات مكتباتها مملو ءة بالكتب في سائر الفنون لكنها خالية من المصادر والمراجع العربية، ولو أراد الطالب أن يستفيد من المطالعة في كتب العربية لا يجد الفرصة .

7 فقدان مهارة القراءة لدىالمدرسين والطلاب والحاجة إلى تنميتها:

مما يساعد على اكتساب مهارات في جميع الفنون هو أن تصبح القراءة عادة لدى المدرسين حتى يقتبس منهم الطلبة ، لكن من المؤسف جدًا أنك تجد من بين المدرسين من يقرأ نصًا من النصوص العربية ولا يستطيع أن يميز بين همزة القطع والوصل نطقًا وكتابةً، وفي بعض الأحايين بين الصاد والسين ، وكذلك بين الذال والزاي وهكذا . وإن كان مثل هذا يحدث بين المدرسين ماذا تظن بالطلبة؟

8 قلة المهارة التربوية عند مدرسي اللغة العربية:

إنّ كثيرًا من مدرسي اللغة العربية تنقصهم المهارة التربوية التي تمكنهم من حمل المتعلمين على إتقان اللغة المتعلمة ، فإن هذه المهارة تجعل الأستاذ يجد لكل عنصر من عناصر التربية اللغوية أهمية . فإن مدرس اللغة، وإن كان ملما بها فإنه مطالب بإعمال مهارات تربوية خاصة في تمكين المتعلم من اللغة الهادفة. وهذه المهارات يمكن حصرها في الأسس التالية:

-معرفة الهدف الرئيس من تعليم اللغة العربية، وبالتالي تحديد الأهداف الجانبية.

-تطبيق الطرق والتقنيات المناسبة لتدريس اللغة العربية .

-استخدام الوسائل المساعدة في تمكين الطلاب من اللغة .

-استعمال أساليب الاختبار الناجحة.[1]

فإذا جهل مدرس اللغة هذه الأمور المذكورة أو تهاون في الاعتبار بها أثناء أداء وظيفته فإن التدريب لا يكون ناجحا، وسيبوء المتعلمون بالفشل وعدم النجاح . والمقصود بالنجاح هنا، التمكن من التعبير، إذ الهدف من تعليم أية لغة أجنبية هو تمكين الطالب من الحديث باللغة المتعلمة في أحواله اليومية مع مراعاة الطلاقة وسلامة التعبير، والمنطق السليم، وقدراته على قراءة كلمات تلك اللغة بسهولة وبدون تعمد الترجمة .[2]

9 -الشعور بالنقص:

إن كثيرًا من المدرسين وطلاب اللغة العربية العزيزة يشعرون بالنقص لأنهم عاجزين أن يعيشوا عيشة طيبة بين مجتمعهم، ومن قبل المدرسين تجده درس هذه اللغة حتى وصل إلى درجة الدكتوراه لكنه لا يعتزّ بها في جميع معاملاته لا في مكتبه ولا في مجتمعه حتى لو سألته عن تخصصهفهو لا يشير بتخصصه في اللغة العربية ، ومن المؤسفجدًا تجد أمثال هؤلاء ينَفِّرون أبناءهم عن دراسة هذه اللغة منهم من رزقه الله أكثر من عشرين أو ثلاثين ولدًا لكنه لا يرسل أيّا منهم ليتعلم اللغة العربية . ولقد زادت الأمور سوءًا في بعض ال دول العربية حين أخذوا بنصائح العولمة، فأهملوا العربية ، وأحلوا الإنكليزية محل الصدارة وتبعهم المدارس الخاصة في دولة من الدول العربية[3] .

---

[1]– جمعية مدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنبجيريا (تنسيدي) ، مجلة اللسان ، العدد الخامس ، يونيو ، 2008م = 1429هـ ص : 5

[2]– محمد أبوبكر عيسى ، الطريقة المنهجية لتعليم مادة "النقد الأدبي" في المدارس الثانوية الإسلامية العالية بنيجيريا ، بحث مقدم بكلية التربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا لنيل شهادة الدبلوم العالي في التربية ، غير منشور ، عام : 2000م ص: 23–34 .

[2]- ahlamontada.com/12-topic

وأما عن جانب الطلبة فتجد كثيرًا منهم يستح يين من أن يتحدثوا بها خارج الفصل في ساحة الجامعة كي لا يقال إنهم طلاب اللغة العربية ولو سألت واحدًا منهم عمّ يدرس مثلًا في الجامعة يقول لك: أنا أدرس اللغويات (Linguistics) أو يذكر شيئًا ما . وهذا لاحظالباحث أيام دراسته في الجامعة في مستوى البكالاريوس بجامعة أحمد بلّو زاريا نيجيريا عند واحد من الزملاء فإذا بفتاة سألت الزميل : ماذا تدرس؟ فأجاب إنه يدرس العلوم الزراعية .

دور الحكومة في محاربة اللغة العربية:

فلم تعد الحكومة المعلم اللغة العربية المعلم الأول، بل تراجع ليكون أثره ضعيفا. ويثبت ذلك في المظاهر الآتية:

- الحكومة لا تفتح المدارس العربية الثانوية كما هو الشأن فيا لمدارس الإنجليزية، فمثلًا في ولاية الباحث ولاية كدونا لا توجد مدرسة عربية ثانوية حكومية إلا واحدة فقط وهي كلية الدراسات العربية للشيخ إبراهيم عرب التذكارية، بيد أنه يوجد أكثر من أربعمائة كلية ثانوية إنجليزية.
- كل من كان تخصصه اللغة العربية ليس له دور أو مجا لات إلا ثلاثة مجال ، إما التدريس، أو القضا ء، أو الإمامة فحسب وهم يُحرمون المناصب الحكومية العالية . وفي مجال التدريس قلما تجد منهم من عينته الحكومة ناظرًا في المدارس الابتدائية أو عميدًا في المدارس الثانوية الحكومية أو مديرًا في الكليات العليا (Polytechnics) أو عميدًا في جامعة من الجامعات الحكومية، أو أي منصب رفيع إلا الندر.
- عدم توفير الكتب المقررة للغة العربية في المكتبات الحكومية العامة في الولايات والحكومات الفدرالية.

طرق معالجة هذه المشاكل:

إن لكل مشكلة حلًا كما أن لكل داء دواء كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الدواء : " تداووا يا عباد الله فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داء واحد[1] قالوا فما هو؟ قال: ((الهرم)) " فلذلك لكل هذه المشاكل المذكورة أعلاه والتي تعانيها اللغة العربية بغية تعلمها وتعليمها في الدولة النيجيرية حلول إن شاء الله يذكرها الباحث في النقاط التالية:

- أن يقوم أساتذة اللغة العربية بإعداد المناهج الدراسية والقيام بمراجعتها بعد كل خمس سنوات بدءًا من المنهج الإبتدائي إلى المنهج الجامعي، ثم الحرص على تطبيقها كما هي.
- أن يحرص كل من المدرسين والطلاب على تقدير هذه اللغة والاعتزاز بها في جميع الأحايين.
- أن يراعي المدرسين تطبيق القواعد في تعلم وتعليم اللغة العربية كما هو الشأن في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات السامية العالمية .
- أن يعكف أساتذة اللغة العربية على تأليف الكتب الحديثة التي تتفق مع المناهج المُعَدَّة ثم القيام بنشر المجلات العلمية داخل وخارج الوطن النيجيري.
- أن تُتاح الفرص لحملة شهادات هذه اللغة كرُصَفائهم من جميع التخصصات للعمل في جميع الوزارات الحكومية المناسبة لهم، من الحكومات المحلية والولايات إلى الحكومات الفدرالية، وكذلك جميع المناصب.
- تدريب معلمي اللغة العربية على استخدام التقنيات الحديثة كإنترنت وغيره. وإفساح المجال للبحث العلمي وفق منظور الجودة الشاملة.

---

[1]- أمين بن الحسن الأنصاري ، النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، الجزء الأول، ص : 154

- تحديد الحد الأدنى لمن يريد القيام بتدريس اللغة العربية لأن بعض المدرسين لا يحملون أدنى شهادة تؤهلهم لذلك وبخاصة في المدارس الابتدائية.

- يجب على كل من مدرسي اللغة وطلابها حبها واحترامها والحرص عليها مع غرس حب هذه اللغة في قلوب أبنائهم ليكونوا خير الخلفاء وخير الورثة لكتبهم، وإلا فقدوا من يرث كتبهم وتصبح جيفة تُرْمَى في الأسواق بلا قيمة، وكذلكيصيبهم ما قاله الشاعرأبو الطيب المتنبي .

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت إيلام[1]

التوصيات والمقترحات:

تتمثل هذه التوصيات والمقترحات في أن هناك مجالات متعددة وأحوالًا متنوعة للقيام بالبحث عن تطوير اللغة العربية فـي نيجيريا ولا سيما من قِبل المدرسين والمناهج فالطلاب، وتتمثل هذه التوصيات في النقاط التالية:

- يرجو الباحث من الحكومةإعادة إرسال المدرسين إلى الدول العربية كما كانت العادة من قديم الزمان حيث يرسلون من المملكة العربية السعودية ، وجمهورية مصر العربية، وجمهورية السودان الديمقراطية وغيرها من الدول العربية.

- يرجو الباحث من جميع الدول العربية تخصيص منح دراسية لمدرسي اللغة العربية في نيجيريا ليستفيدوا من فصاحة اللغة من متحدثيها الخلص ثم تحويلها إلى طلابهم عند العودة إلى الوطن النيجيري .

- أن يقوم العرب بواجبهم في خدمة اللغة العربية وذلك بفتح الباب واسعا لمساعدة المدرسين في مدارسنا والارتقاء بهم لغويا وتربويًا .

---

[1]- ejabat.google.com

- أن تقوم سفارات الدول العربية بنشر اللغة العربية في نيجيريا عن طريق المدارس كما تفعل فرنسا في هذا الخصوص.
- يرجو الباحث أيضًا من الدول العربية أن يستمروا بنشر هذه اللغة في نيجيريا عن طريق دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية كما كان هو الشأن من قِبَل المملكة العربية السعودية في الماضي .
- أن تعين جمعية معلمي اللغة العربية النيجيرية يومًا سنويًا للغة العربية تجري فيه بعض النشاطات كالمسابقات والتمثيليات واللارتجالات الشعرية وغير ذلك من النشاطات إحياءً لهذه اللغة الجليلة كما هو الشأن للغة الإنجليزية.

الخاتمة:

زكزت هذه الورقة علىالمهارات اللغوية لمعلمي اللغة العربية في نيجيريا وكشف عن الصعوبات والتحديات التي تلاقيها إبتداءً من مناهجها الدراسية لكونها لا تتماشى مع المتطلبات الحديثة في حقل التعلم والتعليم للغة العربية . ثم تحدثت الورقة عن المشاكل التي يواجهها مدرسي وطلاب اللغة العربية وعدم مبالاتهم بشأنها في جميع المستويات التعليمية. وكذلك ناقشت الورقة المشاكل المشتركة بين الطرفين المدرسين والطلبة . ثم المشكلة التي تنتج من قبل الرؤساء الدولة من جهة عدم تشجيع أساتذة وطلبة هذه اللغة كأنهم ليسوا من رعيتهم. وأخيرا ألقت الورقة الضوء على ما يساعد في حل هذه المشاكل، ثم طُوِيَت بالتوصيات والمقترحات كما تلي ذلك المصادر والمراجع .

الهوامش:

1. آدم عبد الله الألوري ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثانية ، 1391هـ/1971م (بدون مكان الطبع)، ص : 13
2. [1]Olutayo C. Adesina, "Teaching History in Twentieth Century Nigeria: the Challenges of Change ",*History In Africa* (2006) vol, 33. pp 17 +online

a. http:/answerbag.com/q_view/929673
3. http://ar.wikipedia.org
4. آدم عبد الله الإلوري ، موجز عن تاريخ نيجيريا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت، ص :16 ، عام : 1965م.
5. صلاح صبري ، إفريقيا وراء الصحراء ، مكتبة النهضة المصرية ، ص : 159 ، عام : 1960م .
6. ar. Wikipedia.org/wiki
7. http://ar.wikipedia.org
8. شيخو أحمد سعيد غلادنثي ، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804– 1966م، الطبعة الثانية 1414=1993م (بدون مكان الطبع) ص : 60 .
9. منير ممن ورقة بعنوان: A philosophical Study on Derivation processes And Tenses of Arabic and Hausa " قدمها بقسم اللغات النيجيرية والأفريقية بكلية الآداب، جامعة أحمد بلّو زاريا بتاريخ: 12 أكتوبر، 2006، ص11.
10. آدم عبد الله الألوري ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثانية ، 1391هـ/1971م (بدون مكان الطبع)، ص: 13
11. المجلة العلمية للبحوث في الدراسات الإسلامية ، قسم الآداب والعلوم الاجتماعية التربوية، ، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة أحمد بلّو زاريا، إصدار رابع، رقم: 1، 2013م ص1–22
12. دليل المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية، معهد التربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا ، ص : 23 .
13. مقابلة شخصية مع : يهوذا سليمان إمام، منسق قسم الإحصائيات للمجلس المذكور أعلاه ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا بتاريخ 3 يناير 2014م.
14. www.online Nigeria.com/languages.asp
15. www.101103.net/vb/1629.himl

16. عبد الحميد شعيب أغاكا ، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري ، بحث مقدم لقسم اللغة العربية للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، بجامعة بايرو كنو – نيجيريا ، ص : 112–113 بتاريخ : 1989م .

17. elson Publishers Limited, The Queen Primer, Part 1 page 1-34

18. غطاطو بل أكّ، مَحْوُ الأمية"، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

19. جمعية مدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنبجيريا (تنسيدي) ، مجلة اللسان، العدد الخامس ، يونيو ، 2008م = 1429هـ ص : 5

20. محمد أبوبكر عيسى، الطريقة المنهجية لتعليم مادة "النقد الأدبي" في المدارس الثانوية الإسلامية العالية بنيجيريا ، بحث مقدم بكلية التربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا لنيل شهادة الدبلوم العالي في التربية ، غير منشور، عام : 2000م ص: 23–34 .

21. ahlamontada.com/12-topic

22. أمين بن الحسن الأنصاري ، النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، الجزء الأول، ص : 154

23. *ejabat.google.com*

المصادر والمراجع:

إلياس انطون إلياس و أروار أ. إلياس، القاموس العصري انكليزي – عربي، الطبعة الخامسة عشرة، منقحة ومزيدة، طبع بمطابع مؤسسة الإهرام على المطبعة المصرية، عام: 1968م.

أمين بن الحسن الأنصاري، النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الجزء الأول، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

آدم عبد الله الإلوري، موجز عن تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص : 16، عام: 1965م.

آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثانية، 1391هـ/1971م (بدون مكان الطبع).

جمعية مدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنبجيريا (تنسيدي)، مجلة اللسان، العدد الخامس، يونيو، 2008م = 1429هـ.

صلاح صبري، إفريقيا وراء الصحراء، مكتبة النهضة المصرية، ص : 159، عام: 1960م.

عبد الحميد شعيب أغاكا ، "مشاكل اللغة العربية لدي الطالب النيجيري" ، بحث مقدم لقسم اللغة للحصول على دجة الماجستير في اللغة العربية، بجامعة بايرو كنو – نيجيريا ، بتاريخ : 1989م .

علي الجارم ومصطفي أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

غطاطو بل أكّ، مَحْوُ الأمية"، (بدون تاريخ ومكان الطبع).

شيخو أحمد سعيد غلادنثي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804– 1966م، الطبعة الثانية 1414=1993م (بدون مكان الطبع).

قسم الآداب والعلوم الاجتماعية التربوية، المجلة العلمية للبحوث في الدراسات الإسلامية، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة أحمد بلّو زاريا، إصدار رابع، رقم: 1، 2013م.

محمد أبوبكر عيسى، "الطريقة المنهجية لتعليم مادة "النقد الأدبي" في المدارس الثانوية الإسلامية العالية بنيجيريا"، بحث مقدم لنيل شهادة الدبلوم العالي في التربية، (غير منشور)، بكلية التربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا، عام : 2000م.

محمد بلّو بن عثمان بن فودي (الإمام)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ظامير يرو صكتوا نيجيريا.(بـ،دون تاريخ).

المجلس الوطني للدراسات العربية والإسلامية، دليل المجلس، معهد التربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا ، (بدون تاريخ ومكان الطبع) .

يوسف الشيخ محمد البقاعي: قاموس الطلاب عربي – عربي، دار المعرفة المغرب، بتاريخ: 16 جمادى الثاني 1422= 4 أيلول سبتمبر 2001م.

يهوذا سليمان إمام، منسق قسم الإحصائيات للمجلس الوطني للغة العربية والدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو زاريا نيجيريا، (مقابلة شخصية) بتاريخ: 3 يناير, 2014م.

المصادر الأجنبية:

Ar-wikipedia.org/wik

ahlamontada.com/12-topic

ejabat.google.com

http:/answerbag.com/view/929673

MunirMamman, (2006) A philosophical Study on Derivation processes And Tenses of Arabic and Hausa, A paper presented at Department of Nigerian and African Languages, Faculty of Arts, Ahmadu Bello University, Zaria.

Nelson Publishers Limited, The Queen Primer, Part 1 page 1-34

Nelson Publishers Limited, The Queen Primer, Part 2 page 1-58

Olutayo C. Adesina, "Teaching History in Twentieth Century Nigeria: the Challenges of Change ",*History In Africa* (2006) vol, 33. pp 17 +online

www.online Nigeria.com/languages.asp

www.101103.net/vb/1629.himl

تأثير الثقافة اللغوية في ترجمة جيهان لنصوص مختارة من كتاب:

بلوغ المرام

INFLUENCE OF LINGUISTIC CULTURE IN SELECTED TEXTS OF GEHAN'S TRANSLATION OF THE BOOK: "BULUGUL MARAAM"

Dr. Aliyu Ibrahim Kari
Institute of Education,
Ahmadu Bello University,
Zaria.

ABSTRACT
The paper studies cultural extrapolation in some selected texts of Gehan Abdur – Raouf's Translation of the book "Bulugul Maraam" written by Ibn Hajr Al – Asaqalaani. It explores the significance of language and religious cultures in enhancing effective translation. Therefore, three (3) texts of prophetic traditions and their translation are selected, studied and analyzed in the light of cultural essence in effective rendering from Arabic into English. The paper finds out that the translated texts are full of representations of the original text as a result of translator's indepth knowledge of the cultural peculiarities of both languages and her focuss on Islamic sanctions on certain crimes. These problems put together result in good and effective translation as well as clear expression in the target language (English). The paper recommends among others for the establishment of Departments of Translation in colleges and universities. Through this way it observes, cultural errors in translation from Arabic into English and vice – versa will be minimized and effective translation will be emphasised and improved.

مقدمة:

الترجمة جزء من النشاطات البشرية وعنصر أساسي للتفاعل بين الشعوب والحضارات. من المهم أن يكون النص المترجم في اللغة الهدف خاليا من زيادة أو نقصان أو تشويش حتى يشعر القاريء أو السامع بمثل ما شعر به قاريء النص نفسه في لغة المصدر. ولذلك لا بد أن يكون النص المترجم بأسلوب جميل يؤثر في نفوس القراء كما فعله الأصلي (قاسم:2012) و (مَلُمْفَاشِي:2009).

وللترجمة تعريفات كثيرة من قبل العلماء منها: عملية نقل أقرب الرسالة والأسلوب من لغة المصدر إلى لغة الهدف (نايدا وتابر: 12:1974)، وهي أيضا بمعنى نقل تراث بشري من العلوم والمعارف والثقافة من أمة إلى أخرى بواسطة اللغة (راجي: 2011) بينما عرفها (كَارْتفُورْد:20:1975) بعملية استبدال نص مكتوب في لغة بما يكافؤه في لغة أخرى. والمفهوم من جميع التعريفات هو أن الترجمة عملية نقل الكلام والأسلوب والثقافة من لغة إلى أخرى.

تناقش هذه الورقة دور الثقافة اللغوية في مجانبة جيهان عبدالرؤوف هيبة الصواب أثناء ترجمة نصوص من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) من كتاب "بلوغ المرام"، للحافظ ابن حجر العسقلاني. وستكون المناقشة مع التحليل على ضوء مفهوم نظرية الترجمة الثقافية لكازغْرَاندْ (1954) عن شاهين (1998) وكَرَمَانِينْ (2000) وسَابِيرْ (1975)، وهي نظرية تعتبر الترجمة بأنها تفاعل بين ثقافتين، وأن اللغة تلعب دور كساء تكسو فيها الثقافة (باسنيت:81:1988) والمرء حسب رأي كَازَغْرَاندْ لا يترجم اللغات بل يترجم الثقافات. والثقافة هى تلك المميزات والتقاليد والعقيدة وفلسفة الحياة والخبرات التي تعرف بها أمة وتختص بها، إذ هي طريقة حياة أمة بأكملها.

من ناحية الدراسة، ستقتصر الورقة على معالجة الثقافة اللغوية والثقافة الدينية في ترجمة ثلاثة نصوص من الكتاب المذكور، ثم يعقب الباحث بتحليلها ويذكر ما يراه سببا لوقوع فيها فيقترح حلولا لها.

- **النص الأول:**

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده رضي الله عنهما أن امرأة أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان من ذهب، فقال لها: "أتعطين زكاة هذا"؟ قالت: لا، قال: "أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟" (ص:192:642).

ترجمة المترجمة:

Amr Ibn Shu'aib narrated on the authority of his father, who reported through his grandfather (May Allah be pleased with them all) that a woman came to the Prophet (pbuh) accompanied by her daughter wearing gold bracelets on her wrist. He said to her ''Do you pay Zakat on them?'' she said no. He then said: ''Will you be pleased when Allah encircle your wrist with two bangles of fire on Doomsday.''? (P. 192:642)

ترجمة الباحث:

Amr Ibn Shu'aib narrated on his father's authority from his grandfather (may Allah be pleased with both of them) that a woman came to (see) the Prophet (pbuh) accompanied by her daughter who was wearing two gold bracelets round her wrist. He said to her: ''Do you pay Zakat on them?'' She said no. He then said: ''Will it pleases you, if on the day of Judgment Allah encircles your wrist with two bangles of fire due to them?'' (P. 192:642)

- **ملاحظة الباحث:**

بالإضافة إلى ما في الترجمة من ملاحظات قواعدية وترتيبية وفإن هناك ملاحظات ثقافية، ويفهم هذا بالمقارنة مع ترجمة الباحث. فالملحوظ ثقافيا في النص المترجم هو في ترجمة: "مسكتان"، وهذا الاسم جاء في النص على وجه التثنية، بألف ونون للمثنى زائدتين

على مفرده – "مسكة". وحسب ثقافة اللغة العربية يبدأ الجمع من ثلاث في حين يبدأ الجمع في الإنجليزية من اثنين. ولكن المترجمة لم تحتفظ بثقافة اللغة العربية وخصوصيتها في الإفراد والتثنية والجمع، فترجمت "مسكتان" وهو المثنى أي (two gold bracelets) إلى مطلق الجمع (gold bracelets) في الإنجليزية محتفظة بنظام الجمع فيها.

- **النص الثاني:**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم "رأى ام ٍرأة مقتولة في بعض مغازيه فأنكر قتل النساء والصبيان" (ص:418:1313).

- **ترجمة المترجمة:**

"On the authority of Ibn Umar (may Allah be pleased with them both) that the Prophet (pbuh) watched a woman who was killed in one of his battles, so disapproved of the killing of women and children". (P. 418:1312)

- **ترجمة الباحث:**

On the authority of Ibn Umar (may Allah be pleased with both of them) that the Prophet (pbuh) saw a slain woman in one of his battles, so he disapproved of the killing of women and children.

- **ملاحظة الباحث:**

الفعل "رأى" كما جاء في النص بمعني "أبصر" (القاموس المزدوج عربي – إنكليزي، – إنكليزي – عربي:2006: 345) – أي مشاهدة شيء أو النظر فيه أو إليه بالعين، فإذن يقابله الفعل (saw) في الإنجليزية معنى ووظيفة، بينما الفعل: ''watch'' بمعني "راقب أو ترقَّب أو حرس"، ويحتوي على معنى مراقبة شيء في وقت حدوثه (القاموس المزدوج: المرجع نفسه: 804). فإن استعمل الفعل (watched) ترجمة للفعل العربي: "رأى" في الحديث يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم راقب ما حدث، و الأدق في التعبير عن مدلول العبارة أن يقال: شاهد النبي صلى الله عليه وسلم إمرأة مقتولة بين قتل ى الحرب بعد انتهاء الغزوة. ورغم كون كلا الفعلين: 'saw' و 'watched' يحتوي على معنى النظر بالعين، فإن

الإنجليزية تخصص كل واحد منهما بسياق مناسب وفقاً لثقافتها، فالمشاهدة بالعين زمنا طويلا هو ما يفهم من الفعل 'watched' .بينما لا يستفاد طول الزمن في رؤية العين. وهذا بلا شك فارق أساسي بين الفعلين والمستفاد من الحديث هو الرؤية القصيرة التي لا تناسب المراقبة أو الرؤية التي تأخذ مدة طويلة.

النص الثالث:

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من غسل ميتا فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ"، (ص: 82:33).

- **ترجمة المترجمة:**

On the authority of Abu Huraiara (may Allah be pleased with him) that the Prophet (pbuh) said: "He who washed a dead person (made full ritual washing for him for burial) must make Ghusl (complete washing), and he who carried him must perform ablution." (P. 32:82)

- **ترجمة الباحث:**

On the authority of the Abu Huraira (may Allah be pleased with him) that the Prophet (pbuh) said: "He who washes a dead Person (for burial) should take a bath and he who carries him (the dead Person) should perform ablution."

- **ملاحظة الباحث:**

الفعلان: "غسل" و "حمل" في سياق النص يدل كل منهما على الحاضر البسيط (simplepresent) لا الماضي البسيط (simplepast)، وذلك لأن الفعل الماضي في اللغة العربية يستعمل للدلالة على الحال، ولذا فإن المترجمة ينبغي أن تضع الفارق الثقافي بين العربية والإنجليزية موضع الاعتبار ، ذلك لأن الفعل الماضي في ثقافة اللغة العربية يأتي بمعنى الماضي البسيط أو الحاضر البسيط أو المستقبل، (الشيخ مصطفى الغلاييني: 2005) فمعنى الفعل الماضي "غسل" في: "من غسل ميتا" يختلف عن الفعل الماضي "غسل" في "غسل محمد ثوبه" أو الفعل الماضي في أسلوب الدعاء مثل: "غفر الله لنا ولكم" أو الفعل الماضي بعد مَنْ الشرطية نحو: "من قرأ نجح".

- **مناقشة عامة وتحليل:**

سبق أن عرض الباحث في الفقرات السابقة بعض النصوص لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وترجماتها إلى الإنجليزية – ترجمة المترجمة فترجمة الباحث على الترتيب، وتابعها بملاحظات، وسوف يناقش الملاحظات في ترجمة المترجمة مع التحليل في الفقرات التالية.

في النص الأول خالفة المترجمة الصواب في ترجمتها من حيث أطلقت الجمع في النص المترحم على المثنى في النص المترجم منه، إذ إنها ترجمت: "مسكتان من ذهب" إلى مجرد: ''gold bracelets'' بدلا من: two gold bracelets وذلك لأنها لم تراع الثقافة العربية في علامة التثنية "الألف" و "النون" اللتين يُكوّن بهما المثنى في العربية، فقيدت نفسها بالثقافة الإنجليزية التى تتقيد بالإفراد والجمع فقط في العدد خلافا للغة العربية وثقافتها التى يتركب نظامها اللغوي من المفرد والمثنى والجمع. وهذا أدى إلى نقص فى أداء معنى النص الأصلي.

وفي النص الثاني لم تختر المترجمة ما هو أنصب من أجل اختيارها للفعل: 'watched' ترجمة للفعل العربي: "رأى"، ذلك لأن الفعل: 'watched' يحتمل معنى مشاهدة شيء أو النظر فيه أو إليه وقت حدوثه، إذ هو بمعنى المراقبة والحرس والسهر ، ويحتاج إلى مدة طويلة من الزمن ، خلافًا عن الفعل: 'saw' فعدم اختيار فعل مناسب أو أنسب هنا أدى إلى تشويش معنى النص المترجم، وتشويش جمال اللغة معا.

وبهذا يتضح هنا أن المترجمة تحتاج مراعاة الثقافات اللغوية بالإضافة إلى الثقافة الدينية في ترجمة النصوص العربية إلى الإنجليزية أو العكس لتكون النصوص المترجمة في أحسن موقف، تحمل الرسالة من النص الأصلي معنى وثقافة وتؤديها في اللغة الثانية وكأنها هي المعنى في اللغة المترجم منها، وخاصة فيما يتعلف بالحكم الشرعي الإسلامي.

ويلاحظ أن المترجم لم تراع الصواب في المنظور الثقافي في النص الأخير حين ترجمت الفعل: "غسل" بالماضي البسيط 'simple past – washed' في الإنجليزية، وليس هو المقصود في النص الأصلي، لأن العمل لم يحدث. قد يكون الفعل الماضي في الثقافة العربية بمعنى الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وكذلك إذا جاء الفعل الماضي بعد "مَنْ" الشرطية فإنه بمعنى المستقبل، لكن المترجمة اعتبرت المعنى الحرفي للفعل: "غسل" وترجمته بـ'washed' في الإنجليزية، غير محتفظة بثقافة اللغة العربية. وكذلك ترجمت الفعل "حمل" بـ'carried' ، ولكن الأنسب هو أن تترجم الفعلين بـ'washes' و 'carries' على الترتيب، وفقاً لثقافة اللغة الإنجليزية ومقابلا لمعنى النص الأصلي. وهكذا أن عمل الغسل لم يحدث بل يتطلب به كل من غسل ميتاً بعد الكلام قريباً أو بعيداً أن يقوم بشيء. إذن هناك شرط في الفعل الأول ووقوعه شرط لوقوع الفعل الثاني – وهو جوابه (الغلاييني:2005).

خاتمة:

سبق أن تحدث الباحث عن الترجمة أهميةً وتعريفاً، فانتقل إلى الحديث عن مشاكل الترجمة الثقافية واقتصر على مناقشة مشاكل الثقافة اللغوية والثقافة الدينية في ترجمة جيهان عبدالرؤوف هيبة لبعض نصوص الأحاديث من كتاب "بلوغ المرام من أدلة الأحكام"، تأليف الحافظ بن حجر العسقلاني.

واختار الباحث ثلاثة نصوص من الكتاب مع ترجمة المترجمة ثم أتى بترجماته للنصوص نفسها مع ملاحظاته، مستشهداً بالقواعد من كلتا اللغتين – العربية والإنجليزية. وبعد ذلك ناقش الباحث بعض الملاحظات الترجمانية مع التحليل، فوجد أن المترجمة خالفت الصواب نتيجة عدم اهتمامها بالثقافة اللغوية (ثقافة اللغة العربية وثقافة اللغة الإنجليزية) وكذلك الثقافة الدينية عند النقل بين اللغتين. ولذلك أصبحت بعض معاني النصوص المترجمة في اللغة الهدف (الإنجليزية) مشوشة، لأن الملاظات التي قيدها الباحث أدت إلى أو تشويش المعنى أو جمال اللغة.

اعتباراً لأهمية الترجمة والدور الذى تلعبه في شتى المجالات، يوصي الباحث بالاستمرار فى البحث عن المشاكل الثقافية في الترجمة، وخصوصا تلك القضايا الثقافية التي لم تمتد المناقشة إليها فى هذه الو رقة، كالثقافة الجنسية ونحوها. وكذلك يوصي الجامعات والكليات والمعاهد العلمية بإنشاء أقسام الترجمة مستقلة لتدريس الطلاب تجاه الحصول على درجة الليسانس أو الدبلوم أو الشهادة الوطنية التربوية في الترجمة. ومن توصياته أيضاً، تجنب الاعتماد كلياً على نظرية واحدة أو طريقة واحدة، من قبل المترجمين والمدرسين في عملية الترجمة أو تدريسها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ – العربية:

دار المشرق (1986)، المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والعشرون، المكتبة الشرقية بيروت – لبنان.

مصطفى الغلاييني (الشيخ) (2000). جامع الدروس العربية: موسوعة في ثلاثة أجزاء دار ابن الهيثم القاهرة.

محمد شاهين (1998). نظريات الترجمة وتطبيقها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

مكتبة الدراسات والبحوث (2006). القاموس المزدوج، عربي – إنجليزي إنجليزي – عربي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

ب –غير العربية:

Adamu Ibrahim Malumfashi (2010) Fassara ko Baddalawa? Sharhi a kan matsalolin Attajiri, HIMMA, Journal of contemporary Hausa Studies, Department of Nigeria Languages, Usman Musa "yar adua University, Katsina – Nigeria.

Catford, J. C. (1969) A Linguistics Theory of Translation: An essay in Applied Linguistics, Oxford University Press, London.

Adamu Ibrahim Malumfashi (2009) Matsalolin Fassara, Maiduguri Journal of Linguistics and Literary Studies MAJOLIS, Department of Languages and Linguistics University of Maiduguri.

Nida and Taber (1969) The Theory and Practice of Translation, Leiden E.J Brill

Susan Bassanet. (1989) Translation, Tradition, Transmission, New Comparison Century, No. 8, Autumn.

Qassim, A. H. (2012) Translation, grammatically viewed, Dar-al-khutb wal-wathaiq, Baga.

Raji, M. G. A. (2011), Unpublished Lectures, Department of Nigerian and African Languages, Ahmadu Bello University, Zaria.